العرب
alarab.co.uk

العرب الثقافي

زاهر الجيزاني: تعالي نتكلم بلا كلمات (قصائد جديدة)
أحمد برقاوي: بؤس التراثيين العرب
هالة صلاح الدين: حوار مع الكاتبة الصينية شينران
أمير العمري: السينمائي روي أندرسون وموت القارة العجوز
نوري الجراح: أيام في كولومبيا
ص11 إلى 16

وجوه

الصورة السيلفي
بين الذاكرة ويوميات الإنسان حول العالم
ص 9

فرديناند دليسبس
صاحب المشروع المجنون الذي غير العالم
ص 7

فواد التكرلي
المثقف العراقي بين اللاسؤال واللاجواب
ص 8

ناجي العلي
حنظلة الذي اخترعه ليبقى بعد اغتياله
ص 10

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977
الأحد 2015/08/02 – الموافق لـ 17 شوال 1436
السنة 38 العدد 9995
Sunday 02/08/2015
38th Year, Issue 9995

البارزاني يضحي بأكراد تركيا لاسترضاء أردوغان

● رئيس إقليم كردستان: حزب العمال الكردستاني مسؤول عن إنهاء عملية المصالحة

❑ أربيل (العراق) – فاجأت رئاسة إقليم كردستان العراق أكراد تركيا من خلال دعوة حزب العمال الكردستاني إلى سحب مقاتليه من أراضي الإقليم وتحميله مسؤولية إفشال المصالحة مع أنقرة، في خطوة تعكس رهان رئيس الإقليم مسعود البارزاني على تغليب الدعم التركي له في صراعه مع الخصوم داخل الإقليم ومع الحكومة المركزية في بغداد على أيّ روابط قومية وعرقية مع أكراد تركيا.

وطلبت رئاسة إقليم كردستان العراق السبت من حزب العمال الكردستاني "إخراج قواعده من أراضي الإقليم" لتفادي وقوع ضحايا مدنيين في الغارات التي يشنها الجيش التركي ضد معاقله في شمال العراق.

وجاء في بيان رئيس إقليم كردستان مسعود البارزاني "يجب على قوات حزب العمال الكردستاني إبعاد ساحة الحرب عن إقليم كردستان لكي لا يصبح المواطنون ضحايا هذه الحرب وهذا الصراع".

وقال البارزاني، في مقابلة نشرتها مجلة فوكس الإخبارية الألمانية، إن حزب العمال الكردستاني مسؤول عن نهاية عملية المصالحة مع الحكومة التركية.

وهو الكلام الذي أكده كفاح محمود، المستشار الإعلامي في رئاسة الإقليم، حين قال أمس إن "المسبب الرئيسي هو حزب العمال الكردستاني لأنه لو لم تكن هناك قواعد له في داخل أراضي الإقليم فإن تركيا لن تقصف المدنيين".

وأوضح محمود أن "رئاسة الإقليم تطالب من حزب العمال بإعادة هذه القوات وخاصة أن هناك اتفاقية أمنية بين الحكومتين العراقية والتركية تعطي الترخيص لتركيا بالتوغل داخل الأراضي العراقية وهذه الاتفاقية مازالت سارية المفعول. لهذا نحن نطالب حزب العمال بإخراج قواعده من أراضي الإقليم لأنه يعطي المبررات للحكومة التركية للقيام بهذا القصف".

ووقعت أنقرة وبغداد اتفاقا في عهد الرئيس العراقي السابق صدام حسين يسمح للطرفين بملاحقة المتمردين الأكراد حتى مسافة 15 كيلومترا من على جانبي الحدود.

وقال مراقبون إن موقف البارزاني تغيّر بشكل مفاجئ خلال الأيام الأخيرة بعد أن أعلن الإقليم منذ البداية رفضه للهجوم التركي على حزب العمال الذي تتركز قواعده ومنذ سنوات في جبال قنديل والقرى المحيطة بها، والتي لا تبعد كثيرا عن مدينة أربيل عاصمة الإقليم (120 إلى 150 كم شمالا).

وعزوا هذا التغير في موقف البارزاني إلى زيارة أداها فريدون سينيرلي أوغلو، مستشار وزارة الخارجية التركية، إلى السليمانية الخميس لإقناع الرئيس العراقي السابق جلال الطالباني وقيادات حزب الاتحاد الوطني الكردستاني بالتجديد للبارزاني لدورة رئاسية جديدة، وهو أمر يلقى معارضة كبيرة لدى الحزب وسط تلويح بإعلان إقليم خاص بالسليمانية إذا استمر تمسك البارزاني بالرئاسة.

وترفض شخصيات عديدة تتحكم في ميزان القوى التمديد للبارزاني لفترة رئاسية جديدة، معتبرين أن ذلك مناف للدستور، فضلا عن أنه يكرس سيطرة الحزب الديمقراطي الكردستاني على الإقليم.

ويحكم البارزاني (68 عاما) الإقليم منذ إنشاء النظام الرئاسي به عام 2005.

ويسعى رئيس إقليم كردستان العراق إلى مكافأة تركيا على وقوفها معه في صراعه مع الطالباني، وخاصة مع الحكومة المركزية في بغداد بخصوص تصدير نفط الإقليم عبر الأراضي التركية وإيفائه بالعقود التي أبرمها مع الشركات العالمية المختصة.

وعملت أربيل على مد خط أنابيب خاص بها باتجاه تركيا التي عرضت شراء نفط الإقليم، والسماح بتصديره عبر ميناء جيهان بطاقة تقدر بمليون برميل يوميا. كما أعلنت استعدادها بدء عمليات استكشاف نفطية في أراضي الإقليم.

ويقول مقربون من البارزاني إنّه فضل الانتصار لأنقرة على حساب حزب العمال الكردستاني، الذي كان يدعمه تاريخيا بالتدريب والتسليح، في محاولة منه للاحتماء بتركيا والولايات المتحدة في مواجهة دعم إيران للطالباني ولحكومة بغداد.

وإيران عدو تاريخي لرئيس إقليم كردستان، وقد انحازت إلى غريمه الطالباني في الحرب الأهلية الكردية منتصف التسعينات، فيما كان هو مدعوما من الرئيس العراقي الأسبق صدام حسين.

ويعرض البارزاني نفسه شريكا في الحرب التي تقودها واشنطن على تنظيم "الدولة الإسلامية"، وهو المعطى الذي قد يخدم استمراره الطرف الأقوى في الإقليم سواء تم التمديد له أو أجريت انتخابات رئاسية جديدة ولم يشارك فيها.

وزار رئيس إقليم كردستان العراق الولايات المتحدة في مايو والتقى الرئيس باراك أوباما ومسؤولين بارزين عبّروا عن دعمهم له في ظل حاجة واشنطن إلى قوة عسكرية داخل العراق قادرة على كبح جماح الإيرانيين الساعين للسيطرة التامة على العراق من بوابة ميليشيات الحشد الشعبي.

ولا يستبعد متابعون للشأن الكردي أن يعلن البارزاني دعمه لخطة تركيا في إقامة منطقة عازلة شمال سوريا بزعم مواجهة داعش، وهي في عمقها خطة لتطويق أكراد سوريا ومنعهم من إقامة إقليم خاص بهم شبيه بإقليم كردستان العراق.

ووصف في حواره لفوكس الاتفاق الأميركي التركي على إقامة المنطقة العازلة بأنه سوف يكون له "تأثير هائل في المنطقة".

والتقى البارزاني الثلاثاء الماضي بالسفير الأميركي في العراق ستيوارت جونز والجنرال لويد أوستن قائد القيادة المركزية الأميركية، لمناقشة العمليات العسكرية الأخيرة التي تشنها تركيا ضد حزب العمال الكردستاني في شمال العراق. وحضر اللقاء وفد أميركي يتألف من مسؤولين حكوميين وعسكريين.

❑ متظاهر عراقي يحتج على القطع المتكرر للكهرباء والنقص الحاد لمياه الشرب في مدينة البصرة ضمن موجة احتجاجات تشهدها مدن عراقية بسبب نقص الخدمات الضرورية.

احتجاجات في العراق تطالب بتحسين الخدمات أو رحيل حكومة العبادي ص 3

لماذا المغرب يتطور وغيره يتراجع..

خيرالله خيرالله

ص 5

عودة بحاح تعدل استراتيجية المقاومة لحماية عدن

صالح البيضاني

❑ صنعاء - قال مراقبون إن زيارة نائب الرئيس اليمني ورئيس الحكومة خالد بحاح إلى عدن يرافقه عدد من الوزراء تعكس نصرا سياسيا للمقاومة التي نجحت في تحرير عدن وتوسع أنشطتها لاستعادة محافظات أخرى.

وأكدت مصادر حكومية خاصة لـ"العرب" أن بحاح لا ينوي في الوقت الحالي الاستقرار في عدن، وأنه قد يقوم بزيارة لبعض بلدان الخليج قبل عودته مجددا للرياض.

وقال المحلل السياسي اليمني عبدالله إسماعيل لـ"العرب" إن" هذه العودة تعني عودة الشرعية، وأن عدن أصبحت آمنة وقادرة على أن تتحول إلى عاصمة مؤقتة وقاعدة تنطلق منها الأعمال الحكومية".

وأشار الأستاذ في جامعة عدن قاسم المحبشي إلى أن" عودة بحاح تنطوي على دلالات سياسية بالغة الأهمية بالنسبة إلى معطيات الحرب الراهنة في اليمن، إذ ترمي إلى تأكيد صحة انتصارات المقاومة".

وقالت مصادر مطلعة لـ"العرب" في عدن إن المقاومة الشعبية والجيش الموالي للشرعية باتا قاب قوسين من تحرير محافظتي أبين ولحج المحاذيتين لعدن.

وتكمن أهمية أبين ولحج بحسب محللين عسكريين كونهما تشكلان الحزام الأمني لعدن وأن تحريرهما سيساهم في تأمين عدن بشكل كلي وسيحول مهمة المقاومة والجيش الشرعي من الدفاع إلى وضعية الهجوم باتجاه محافظات أخرى مثل تعز والبيضاء.

وكشف مصدر مطلع في الحكومة اليمنية لـ"العرب" عما وصفه باستراتيجية المقاومة والجيش الشرعي التي تهدف إلى تطويق مناطق النفوذ الحوثي من خلال فتح عدد من الجبهات الجديدة في المخا الساحلية والحديدة من جهة والدفع بجبهة مأرب وصولا إلى العاصمة صنعاء من جهة ثانية.

وتحدث نجيب غلاب رئيس مركز الجزيرة العربية للدراسات لـ"العرب" عما أسماها مؤشرات الانهيار العسكري لتحالف الحوثي-صالح والذي بدأ منذ قيام الحوثيين بالعمل على تفكيك مؤسسات الجيش والأمن وتحويلهما إلى ميليشيات موالية".

وأضاف "هذه الاستراتيجية أدت إلى تفكك مؤسسات الدولة وإلغاء وظائفها وأصبحت أداة بأيدي الميليشيات وهو الأمر الذي أفقد الانقلاب أيّ شرعية في المحيط الإقليمي".

ليس دفاعا عن هيكل

أحمد عدنان

ص 6

دعاة التعريب في الجزائر غاضبون بسبب خطة لتدريس العامية في الابتدائي

❑ الجزائر – اشتعلت الساحة السياسية في الجزائر بعد اقتراح بتدريس اللهجة العامية في المرحلة الابتدائية، حتى أن بعض النواب من دعاة التعريب طالبوا برحيل وزيرة التربية نورية بن غبريط.

ويعكس هذا الجدل صراعا قديما في البلاد بين دعاة التعريب من جهة وخصومهم من "حزب فرنسا" الذين يتهمونهم بالسعي إلى تهميش العربية وإحلال الفرنسية ولغات محلية، وخاصة الأمازيغية" بديلا عنها.

وخلال ندوة حول "تقييم الإصلاح التربوي" حضرتها الوزيرة وافتتحها رئيس الوزراء عبدالمالك سلال الأسبوع الماضي، اقترح بعض الخبراء إدراج اللهجة الجزائرية في الطور الابتدائي من التعليم بدل العربية الفصحى، ما حوّل القضية من نقاش تربوي إلى نقاش سياسي.

واعتبر نواب إسلاميون في المجلس الشعبي الوطني (البرلمان) أن مجرد التوصية باستعمال اللهجة العامية في التدريس يعد "تعديا على الدستور وعلى قوانين الجمهورية". وطالبوا "برحيل الوزيرة فورا نظرا لجرأتها على الخطوط الحمراء باستهدافها مقومات المجتمع الجزائري".

ويقول خصوم الوزيرة إن العامية الجزائرية عاميات كثيرة، وتعميمها يعني ضرب المشترك بين التلاميذ، متسائلين ما الذي يمنع مستقبلا ألا يتم اقتراح العامية للتدريس في مختلف مراحل التعليم كلها بدل الطور الابتدائي فقط.

وردّت وزيرة التربية أن الحديث عن "التدريس (باللهجة) الدارجة إشاعة وضجيج غير مقبول" موضحة أن "اللغة العربية تبقى هي اللغة المدرسية الأولى والمستعملة في تدريس باقي المواد، ثم هناك دستور يبقى هو الفيصل في الأمور".

وتتهم بن غبريط بأنها تهمش العربية وتعلي من شأن الأمازيغية استجابة لضغوط التيار الفرنكفوني الموالي لفرنسا.

وأعلنت الوزارة أن تعليم اللغة الأمازيغية سيشمل عشرين ولاية جزائرية ابتداءً من الموسم الدراسي المقبل، بدل 11 ولاية كما كان مقرّرًا في البداية، وذلك بعدما أعلنت الوزارة سابقًا عن إنشاء مجموعة عمل مع المحافظة السامية للأمازيغية، لأجل تعميم تعليم هذه اللغة.

ورغم فرض خيار التعريب، فإن العربية تعيش وضعا هامشيا في ظل سيطرة اللغة الفرنسية، فضلا عن لغة هجينة تجمع بين الفرنسية والعاميات المختلفة.

والفرنسية اللغة الموروثة من 132 سنة من الاحتلال الفرنسي، حاضرة في كل جوانب حياة الجزائريين من المدرسة، ابتداء من السنة الثالثة ابتدائيا إلى قطاع المال والأعمال إلى الصحف حيث يوجد في البلد 63 صحيفة يومية بلغة فولتير، بحسب إحصاء رسمي لوزارة الاتصال، مقابل 86 صحيفة باللغة العربية.

ومنذ تعيينها في وزارة التربية تواجه بن غبريط المتخصصة في علم الاجتماع من جامعة فرنسية، انتقادات واسعة لعدم إتقانها اللغة العربية وتوجهاتها الفرنكفونية، في قطاع يسيطر عليه المحافظون.

ونظم هؤلاء ندوة موازية حول إصلاحات المدرسة في مقر إحدى الصحف اليومية التي كانت في طليعة المنتقدين لبن غبريط. ونتيجة هذه الندوة ظهرت في الصفحة الأولى للصحيفة الصادرة أمس تحت عنوان "العربية ستحرقكم.. فلا تلعبوا بالنار".

ويطالب "المدافعون عن اللغة العربية" أن يتم اعتبار اللغة الفرنسية كلغة أجنبية مثلها مثل الإنكليزية، بينما يتم تدريس اللغة الأمازيغية في المناطق المنتشرة بها.

واللهجة الجزائرية مختلفة من منطقة إلى أخرى في بلد شاسع تفوق مساحته 2.2 مليون كيلومتر مربع وعدد سكانه 40 مليون نسمة.

ولغة الجزائريين التي يتحدّثونها منذ ولادتهم إلى غاية الست سنوات من العمر بعيدة عن الفصحى المقررة في المدرسة.

وبحسب الخبراء فإن هذا الشرخ هو أحد أسباب الفشل في الدراسة، لذلك يوصون بأن يتم إدراج اللهجة الجزائرية عربية وأمازيغية في العامين الأوّلين لشرح المواد الأساسية وتسهيل تعلمها.

وتقول الوزيرة إن "استخدام اللغة الأم (الدارجة) في التعليم يسمح بتنمية أجزاء مهمة في المخ" مستندة لدراسات قام بها علماء مختصون في الأعصاب.

وأضافت في تصريح لإحدى اليوميات "حتى في الولايات (المحافظات) الجنوبية حيث يتعلم الأطفال (العربية) في المدارس القرآنية (قبل الالتحاق بالمدرسة) فإن النتائج ضعيفة جدا" بسبب طريقة تدريسها. ولكنها قالت إنه "إذا لم يتم إتقان اللغة العربية فإنه لا يمكن استيعاب المواد العلمية والرياضيات".

وتقول الوزارة إنه يجب تعلم الفصحى بصفة تدريجية. فالطفل لا يجب أن يتعرض لصدمة عند التحاقه بالمدرسة واكتشاف لغة ليست هي اللغة التي يستخدمها في البيت.

ولكن "استخدام اللهجة العامية مكان اللغة العربية يعيد الجزائر إلى العهد الاستعماري" بحسب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أسسها عبدالحميد بن باديس الذي يحتفل بيوم وفاته احتفالا رسميا على أنه يوم العلم.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا
AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWETZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

الاقتصار على المقاربة الأمنية يبقي الوضع في غرداية قابلا للانفجار

الجزائر: النظام يوصد الأبواب أمام المبادرات السياسية لحل أزمات الجنوب

تتسم سياسة النظام الجزائري في التعامل مع الأزمات الداخلية (أحداث غرداية مثالا) بقصر نظر ترجمت في اعتماده بشكل كلي على المقاربة الأمنية لحلها، وهو ما يجعل الوضع الداخلي هشا ومعرضا للاهتزاز في أيّ لحظة.

القوى الأمنية على نقاط التماس تراقب الوضع في غرداية

□ **الجزائر** – تعرف مدينة غرداية جنوبي العاصمة الجزائرية حالة من الهدوء المشوب بالتوتر، وسط إجراءات احترازية قامت بها السلطة لمنع عودة العنف بين العرب المالكيين والأمازيغ الإباضيين.

ومن بين هذه الإجراءات عزل الأحياء بالمدينة عن بعضها البعض، وانتشار قوات أمنية خاصة في مناطق التماس.

وعملت السلطات الجزائرية في الأيام الأخيرة على تكثيف ملاحقاتها لأبناء المدينة المتهمين بالتورط في أعمال العنف مع حجز كميات من الأسلحة استعملت في الأحداث الأخيرة.

وحرصت السلطة بالتوازي مع هذه الإجراءات على إبعاد الأطراف السياسية ومنظمات المجتمع المدني عن الملف وأغلقت الأبواب أمام أيّ مبادرات تخرج عنها لحل الأزمة.

ووجه سياسيون وحقوقيون جزائريون انتقادات للحكومة إزاء عجزها عن حل الأزمة من جذورها والإبقاء على إجراءات وقتية تجعل من الوضع في المدينة قابلا للانفجار في أيّ لحظة.

وشهدت غرداية في يوليو الماضي اشتباكات دموية ذات بعد طائفي عرقي أسفرت عن وقوع 21 شخصا خلال أقل من 48 ساعة.

وتعرف المدينة منذ 2013 أعمال عنف متكررة لعل أعنفها تلك التي جدت في مارس 2014.

ويرى محللون أن ما يحدث بهذه المنطقة الغنية بالموارد الطبيعة، وإن تحمل في ظاهرها البعد الطائفي، إلا أن واقع الحال يقول خلاف ذلك.

ويعتبر المحللون أن سياسات النظام وإغفاله التنوع القائم في المجتمع الجزائري وإلغاء دور منظمات المجتمع المدني، جميعها عوامل تدفع إلى هذا "التناحر الاجتماعي".

ويؤكد هؤلاء أن النظام وبدل إعادة النظر في طريقة معالجته للأزمة يلجأ إلى خيارات أمنية وقتية لا تستأصل "الداء" وهو بذلك يستمر في تكرار الأخطاء.

> الاعتماد الكلي على الجيش وتشتيت جهوده سينعكس سلبا عليه في ظل التحديات القائمة على الحدود مع ليبيا ومالي

والتجأ النظام الجزائري خلال أقل من عامين إلى الجيش لفض الأزمة في المحافظة الجنوبية، رغم وجود الآلاف من العناصر الأمنية.

وباتت القوات المسلحة مجبرة على التدخل إلى جانب مهامها التي توصف بالكبيرة، والمتمثلة في حراسة الحدود البرية مع دول الجوار التي تشهد وضعا أمنيا متدهورا، مثل ليبيا ومالي.

ففي 9 يوليو الماضي، كلّف مجلس الوزراء، قائد الناحية العسكرية الرابعة في الجيش، اللواء كمال عبدالرزاق، بتسيير الوضع الأمني في المحافظة.

وفي مارس 2014، قرر الرئيس بوتفليقة، تكليف الجيش بإدارة الوضع الأمني في غرداية مرة أخرى، بسبب اشتداد أعمال العنف الطائفي، والمواجهات المتقطعة تشهدها المنطقة منذ نهاية العام 2013.

وقال محمد سلقن، أحد وجهاء غرداية "منذ ديسمبر 2013، وعلى مدى 21 شهرا، فشلت وحدات مكافحة الشغب التابعة للشرطة، في فرض الأمن بالمحافظة، والسبب هو التعليمات الصادرة لها، والتي تقضي بعدم استعمال القوة المفرطة ضد المشاركين في أعمال العنف الطائفي".

وأضاف "إلا أن تعيين قائد عسكري على رأس القوات العاملة على فرض الأمن والنظام بالمحافظة، في مارس 2014، سمح لقوات مكافحة الشغب بالتدخل بشكل أكثر جرأة ضد المشاركين في المواجهات الطائفية".

بدوره قال خير الدين (أحد الأعيان) قرار الرئيس بوتفليقة، في يوليو الماضي، الاستعانة بالجيش، جاء بعد اجتماع لمجلس الوزراء، حيث أعطى لقائد الناحية العسكرية الرابعة في الجيش، صلاحيات أوسع في التعامل مع أعمال العنف الطائفي التي خرجت عن السيطرة".

وأوضح خير الدين أن القرار "سمح لقوات مكافحة الشغب باعتقال 160 شخصا، وهو عدد كبير في غرداية التي لا يزيد عدد سكانها عن 380 ألف نسمة".

أما الخبير الأمني الجزائري، أحمد بوخليل، فعلق على الوضع، قائلا "بات الجيش فوق مهامه الأمنية على الحدود ومكافحة الإرهاب، مجبراً على مساعدة قوات الشرطة لفرض الأمن في مناطق تعاني من اضطرابات".

ويعود السبب في ذلك، بحسب بوخليل، إلى أن "الشعب الجزائري يثق بالمؤسسة العسكرية ويساندها، لأنها القوة الأكثر تنظيماً في البلاد، كما أن عناصر الجيش ممنوعون من الانتماء للأحزاب، ومن ممارسة السياسة".

بدوره اعتبر حلمي محمد، المختص في علم الاجتماع، أن "الجزائر تعيش في السنوات الأخيرة، مرحلة زيادة نفوذ المؤسسة العسكرية"، مضيفاً أن "الحكومة رفعت قيمة الإنفاق العسكري، وبات الجيش الجزائري مكلفاً بمزيد من المهام لضبط الأمن على الحدود المضطربة مع دول مثل مالي وليبيا، فضلاً عن الاستعانة به في ضبط الأمن في الداخل".

وبالمقابل يقول نشطاء سياسيون إن الاعتماد الكلي على الجيش وتشتيت جهوده سينعكس سلباً عليه في ظل التحديات القائمة، لافتا إلى أن تدخل الجيش في المرة الأولى بغرداية لم ينه الأزمة بل أجلها لجولات لاحقة.

ويرى هؤلاء أن على النظام إيجاد حل لجذور الأزمة وتشريك القوى المجتمعية، بدل الاقتصار على المقاربة الأمنية وحدها.

ولم يقتصر تدخل الجيش في الجزائر خلال السنتين الأخيرتين على إعادة الهدوء إلى غرداية، فقد تم إقحامه في الاحتجاجات التي شهدتها منطقة عين صالح (جنوبي العاصمة) على خلفية رفض أهالي المنطقة لمشروع الحكومة حول استغلال الغاز الصخري.

وأصدر بوتفليقة في نهاية فبراير 2015، أمرا يقضي بتكليف قائد عسكري بالتحاور مع المحتجين بعد أن شهدت المنطقة في الفترة بين يناير وأبريل الماضيين، احتجاجات يومية واعتصامات، للمطالبة بوقف المشروع.

وتمكن قائد عسكري برتبة لواء، من إعادة الهدوء إلى المدينة في فبراير2015، من خلال لقاءات عقدتها القيادة العسكرية مع الأعيان وممثلي المحتجين، بحضور أحد أعيان المدينة، وهو ضبار بلقاسم.

ويقول مراقبون إن تدخل الجيش في عين صالح وإن ساهم بشكل جزئي في حل الأزمة إلا أنها تظل قائمة، ما لم تعدل الحكومة الجزائرية كليا عن المشروع، وكذلك في حال استمرت في اتباع سياسة إقصاء الفاعلين السياسيين والمدنيين وعدم تشريكهم في إيجاد مخارج جذرية لأزمات الجنوب المتكررة.

مواقف متباينة حول تمديد حالة الطوارئ في تونس

□ **تونس** – تباينت ردود أفعال التونسيين حول قرار تمديد حالة الطوارئ في تونس، حيث يرى البعض أن الاستمرار في هذا الإجراء له انعكاسات سلبية على الصعيد الداخلي والخارجي، فيما يؤيد شق آخر التمديد معتبرين أن التهديدات الإرهابية تتطلب إجراءات استثنائية على المواطن التونسي تفهّمها.

وتقول سناء، وهي طالبة جامعية، إن هذا القانون يقدم صورة مغلوطة عن الوضع الأمني في تونس وهذا الأمر من شأنه أن ينعكس بشكل غير مباشر على السياحة التي تعتبر أحد ركائز الاقتصاد التونسي.

وتضيف سناء "كما أن استمرار التمديد يعني كبح الحريات في تونس، بالنظر لما يتضمنه من بنود تمنع التظاهر".

بالمقابل ترى شريحة كبيرة من التونسيين أن البلاد في حالة حرب مع الإرهاب وتستوجب اتخاذ هذا الإجراء، مستندين إلى عبارة عندما "يصبح الأمن مهددا فلا تحدثني عن الحقوق والحريات".

ومددت الرئاسة التونسية حالة الطوارئ في البلاد لشهرين بسبب استمرار خطر الاعتداءات الجهادية، بعدما كانت فرضتها في بداية يوليو لثلاثين يوما إثر الهجوم الذي نفذه مسلح جهادي في مدينة سوسة وكان الأكثر دموية في تاريخ البلاد.

وأعلنت الرئاسة التونسية في بيان أنه "بعد التشاور مع رئيس الوزراء ورئيس البرلمان، قرر رئيس الجمهورية تمديد حالة الطوارئ على كامل التراب التونسي لشهرين اعتبارا من الغد الثالث من أغسطس 2015.

وأوضح المتحدث باسم الرئاسة التونسية معز السيناوي أن القرار لم يتخذ استنادا إلى تهديدات محددة بل "لأن الأسباب (خلف إعلان حالة الطوارئ في بادئ الأمر) لا تزال موجودة". وتابع "نحن في حرب ضد الإرهاب".

ويمنح قانون الطوارئ وزير الداخلية صلاحيات موسعة من ضمنها "حظر التجوال ووضع الأشخاص تحت الإقامة الجبرية، وتحجير الاجتماعات، ومراقبة الصحافة والمنشورات والبث الإذاعي والعروض السينمائية والمسرحية، وتفتيش المحلات، دون وجوب الحصول على إذن مسبق من القضاء".

كما يعطي القانون المحافظ صلاحيات استثنائية مثل فرض حظر تجوال على الأشخاص والعربات ومنع الإضرابات .

ويخوّل دستور تونس لسنة 2014 لرئيس الجمهورية إعلان حالة الطوارئ بحسب الفصل 80 الذي يدعو رئيس الجمهورية إلى اتخاذ التدابير التي تحتّمها الحالة الاستثنائية للبلاد في بيان موجه للشعب التونسي وهو ما قام به الرئيس الباجي قائد السبسي في 4 يوليو 2015.

وليس قانون الطوارئ فقط ما يثر مواقف متباينة بين التونسيين فهناك قانون الإرهاب الذي تمت المصادقة عليه مؤخرا، إذ أبدت منظمات حقوقية محلية ودولية تحفظات على هذا القانون خاصة في بعض بنوده التي تنص على تطبيق حكم الإعدام في حالات معينة.

وكان البرلمان التونسي قد صادق قبل أسبوع على قانون مكافحة الإرهاب بعد الهجوم المسلح على فندق في مدينة سوسة.

تعنت المؤتمر الوطني يعقد مهمة البعثة الأممية في ليبيا

□ **الجزائر** – فشل المبعوث الأممي إلى ليبيا برناردينو ليون في إقناع المؤتمر الوطني المنتهية ولايته بالتوقيع على اتفاق سلام ينهي أزمة الحكم في هذا البلد الذي يشهد فوضى أمنية منذ سقوط العقيد معمر القذافي.

وصرح مصدر ديبلوماسي جزائري أن تعنت المؤتمر الوطني وتمسكه بمطالبه "غير المنطقية" السبب في فشل المشاورات.

ويرى متابعون أن موقف المؤتمر الوطني غير المعترف به تقف خلفه قوى إقليمية وفي مقدمتها تركيا التي تصر على الإبقاء على الوضع المتدهور كما هو ما لم يستجد جديد يغير قواعد اللعبة لصالح حلفاء الداخل.

وانتهت، الجمعة، جولة المشاورات التي احتضنتها الجزائر بين الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة وأعضاء من المؤتمر الوطني العام غير المعترف به دوليا بمشاركة وزير الخارجية الإيطالي باولو جنتيلوني الذي التحق بالاجتماع فيما بعد.

وصرح ليون عقب نهاية المشاورات إن "الحوار مستمر، وسنرى كيف يمكن تجاوز الخلافات" بين الأطراف الليبية، بحسب ما أفادت وكالة الأنباء الجزائرية.

وقال للتلفزيون الحكومي إن المشاورات جرت بشكل ثنائي بين الأمم المتحدة وممثلي المؤتمر العام ثم بمشاركة وزير خارجية إيطاليا باولو جنتيلوني والوزير الجزائري للشؤون المغاربية والأفريقية عبدالقادر مساهل.

وأضاف "لقد اطلعنا على مختلف الأفكار من أجل العودة إلى الحوار"، وسط أنباء عن إمكانية إجراء جولة جديدة من المحادثات الأسبوع المقبل.

وأكد ليون أن بعثة الدعم الأممية في ليبيا "تريد اتفاقا يضم جميع الأطراف دون إقصاء أيّ أحد منها".

وتقود بعثة الأمم المتحدة إلى ليبيا وساطة تهدف إلى حل النزاع المتواصل منذ عام عبر توقيع اتفاق سياسي يجري التفاوض عليه في المغرب وينص على إدخال البلاد في مرحلة انتقالية لعامين تبدأ بتشكيل حكومة وحدة وطنية وتنتهي بانتخابات جديدة.

وانضم الوزير الإيطالي الجمعة إلى المشاورات التي بدأت مساء الخميس، من أجل إقناع المؤتمر العام، المدعوم من ميليشيات فجر ليبيا، بالتوقيع على اتفاق سلام.

وتولي إيطاليا أهمية كبيرة للمحادثات بالنظر لتداعيات الوضع الليبي على هذا البلد الأوروبي، الذي يعاني من تزايد أعداد المهاجرين غير الشرعيين القادمين إليه من ليبيا.

> موقف المؤتمر تقف خلفه قوى إقليمية تصر على الإبقاء على الوضع المتدهور كما هو ما لم يستجد جديد يغير قواعد اللعبة لصالح حلفاء الداخل

وفي 11 يوليو وقعت أطراف النزاع الليبي التي حضرت إلى الصخيرات بالمغرب بالأحرف الأولى على اتفاق "سلام ومصالحة" يفتح الطريق أمام تشكيل حكومة وحدة وطنية لكن ممثلي برلمان طرابلس تغيبوا عن الحضور.

وكان ليون قد قال إن مسودة الاتفاق المقترح بشأن ليبيا قد تشكل قاعدة الاتفاق السياسي الشامل لوقف النزاع السياسي والعسكري، مضيفا أن المسودة تنص على فترة انتقالية محدودة بمدة لا تتجاوز عامين، وترسم الخطوط العريضة لرؤية تستنير بمبادئ الديمقراطية.

كما يفصل الاتفاق المقترح بشكل واضح بين السلطات، ويتضمن تأسيس مجلس دولة حُدّدت صلاحياته بشكل كامل، وفق تصريحات ليون.

ويطرح الاتفاق مقترحا يتعلق بالهيئة التأسيسية لصياغة مشروع الدستور ينص على تمديد ولايتها وإطارها الزمني، كما ينصّ على احترام نتائج الانتخابات التي أجريت في يونيو 2014، بما يشمل الاعتراف بمجلس النواب.

ورفض برلمان طرابلس التوقيع على اتفاق المغرب بزعم أن التعديلات التي طلبها لم تؤخذ بعين الاعتبار، كما اعتبرت ميليشيات فجر ليبيا أن هذا الاتفاق يفتح الطريق أمام عودة ما أسمته "النظام الشمولي"، داعية إلى حوار في ليبيا ودون وساطة أجنبية.

ويستبعد مراقبون أن تنجح محاولات المبعوث الخاص للأمم المتحدة في حل الأزمة الليبية في ظل تعنت المؤتمر الوطني ورغبته في أن يكون له نصيب الأسد من السلطة والنفوذ وفي ظل استمرار التدخلات الإقليمية.

ليون يفشل في إحراز أي تقدم في مشاورات الجزائر

المواقف الأميركية المتقلبة تثير ريبة الحلفاء الأكراد في سوريا

وحدات حماية الشعب تتهم أنقرة باستهدافها

يثير الاتفاق التركي الأميركي مخاوف أكراد سوريا، خاصة وأن الولايات المتحدة لم تبد أيّ موقف حيال قيام أنقرة باستهداف مواقع لوحدات حماية الشعب الكردي الذين تعتبرهم امتداد لحزب العمال الكردستاني.

□ **دمشق** – اتهمت، أمس السبت، قوات كردية في سوريا تركيا باستهداف مواقعها أربع مرات على الأقل في الأسبوع المنصرم، مطالبة التحالف الدولي لمواجهة تنظيم الدولة الإسلامية "بتوضيح" موقفه من أنقرة في ضوء ذلك.

وتسلط الاتهامات الضوء على التوترات التي تحيط بانضمام تركيا إلى المعركة ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

وتخشى القوات الكردية التي تقودها وحدات حماية الشعب الكردي من أن يكون الاتفاق الأميركي التركي يستهدفها.

وغيرت تركيا موقفها من المشاركة ضمن التحالف الدولي ضد داعش الأسبوع الماضي عندما منحته حق استخدام قاعدتها الجوية بـ"إنجرليك" وبدأت تقصف أهدافا مرتبطة بتنظيم الدولة الإسلامية في سوريا.

ويأتي التحرك التركي في ضوء اتفاق عقدته مع الإدارة الأميركية يقضي بمهاجمة معاقل حزب العمال الكردستاني (الذي أعلنته أميركا منظمة إرهابية)، وإقامة منطقة آمنة شمال سوريا.

وترغب أنقرة من خلال إقامة مثل هذه المناطق في شل طموحات أكراد سوريا بهذا الشطر بالتوازي مع جعلها منصة لحلفائها من المعارضة السورية لاستهداف النظام السوري.

وتعد أنقرة الدولة الإقليمية الأكثر تشددا إزاء الأسد، حيث اتهم الجمعة الرئيس رجب طيب أردوغان النظام السوري بأنه الداعم الرئيسي للمنظمات الإرهابية في إشارة إلى التنسيق الحاصل مع الأكراد في سوريا ونعني وحدات حماية الشعب الكردي.

ووحدات حماية الشعب الكردي هي الذراع العسكرية لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي الذي يرأسه صالح مسلم.

ومعروف عن حزب مسلم قربه من حزب العمال الكردستاني حتى أن بعض المحللين يقولون إنه فرع العمال في سوريا.

ونفت وحدات الشعب الكردي أن تكون لها أيّ صلة بالعنف الحاصل بين حزب العمال الكردستاني والدولة التركية.

وأوضحت الوحدات التي تنسق بانتظام مع القوات الجوية بقيادة الولايات المتحدة التي تقصف الدولة الإسلامية في بيان في موقعها على الإنترنت "رغم إعلاننا بشكل رسمي بأننا لسنا جزءا مما يدور من أحداث واشتباكات داخل الحدود التركية بين حزب العمال الكردستاني والدولة التركية إلا أن الدولة التركية استهدفت مواقعنا".

وسبق أن شدد مسؤولون أتراك أن قوات أكراد سوريا خارج نطاق حملة تركيا العسكرية، في حال ظلوا على الحياد فيما يتعلق بحزب العمال.

واتهمت وحدات حماية الشعب الجيش التركي بالفعل بقصف مواقعها عبر الحدود يوم الأحد الماضي، وقالت في أحدث بيان إنها تعرضت لإطلاق نيران عبر الحدود في أربع مواقف وتحدثت رصدها لطائرات تركية فوق شمال سوريا.

وأضاف البيان "نعتبر هذه التحركات للدولة التركية تحركات استفزازية.. كما ندعو شركاءنا في التحالف الدولي ضد داعش (الدولة الإسلامية) أيضا بتوضيح موقفهم تجاه هذه التحركات".

وفي تعقيب على الاتهامات السابقة قال مسؤول تركي كبير إن الجيش التركي رد بإطلاق النار بعد أن تعرض لإطلاق نار عبر الحدود لكنه قال إن من غير الواضح من المسؤول عن إطلاق النار وشدد على أن وحدات حماية الشعب ليست هدفا.

وعن هذه الواقعة قالت وحدات حماية الشعب إن الجيش التركي قصف مواقعها في قرية على مشارف بلدة جرابلس الحدودية التي يسيطر عليها تنظيم الدولة الإسلامية.

وفي الاتهامات الجديدة أكدت وحدات حماية الشعب أن الدبابات التركية قصفت موقعا تستخدمه الوحدات ومجموعة مسلحة سورية في قرية زور مغار إلى الغرب من عين العرب (كوباني) يوم 24 يوليو الأمر الذي أسفر عن إصابة أربعة مقاتلين وعدد من المدنيين.

كما قالت في واقعة أخرى إن الجيش التركي أطلق النار على سيارة تابعة للوحدات في قرية تل فندر إلى الغرب من مدينة تل أبيض القريبة من أحد المعابر الحدودية.

وأثارت حملة تركيا العسكرية المتجددة ضد حزب العمال الكردستاني التي شملت قصف معسكرات الحزب في العراق الشكوك بأن هدفها الحقيقي هو تحجيم الطموحات الكردية على الأرض وليس قتال الدولة الإسلامية.

وقامت أنقرة بأكثر من 50 طلعة جوية معظمها كانت موجهة ضد معاقل حزب العمال الكردستاني شمال العراق في حين لم ينل داعش إلا أربع ضربات كأقصى تقدير.

وتعد الوحدات حليفا مهما للتحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد تنظيم الدولة الإسلامية لأنها المجموعة الوحيدة على الأرض التي تعمل مع التحالف.

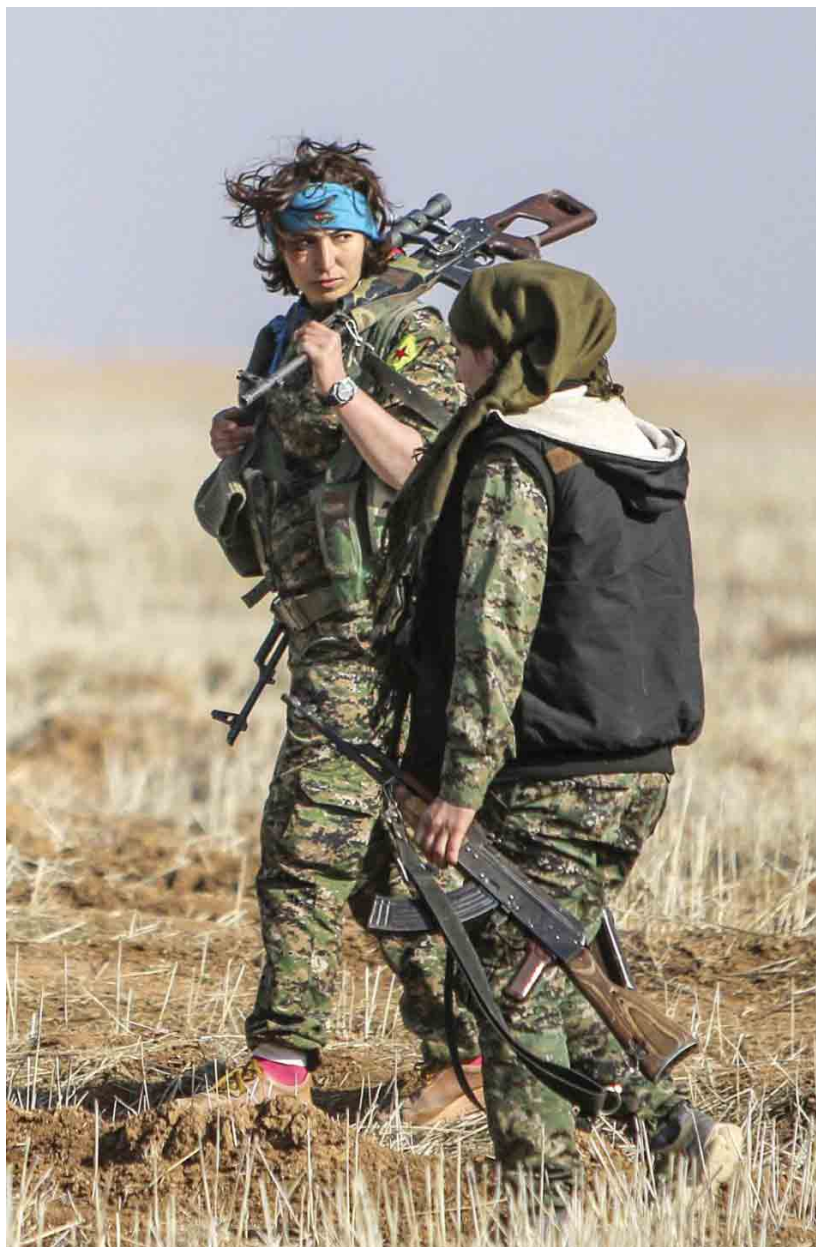

الأكراد القوة الوحيدة في سوريا التي يتعامل معها التحالف في التصدي لتنظيم الدولة الإسلامية

وتشعر أنقرة بالقلق من أن تقدم وحدات حماية الشعب قد يؤجج المشاعر الانفصالية بين أكراد تركيا ويزيد حزب العمال الكردستاني جرأة.

هذه الهواجس تعززت مع سيطرة الوحدات على عدة مناطق في شمال سوريا وبالأخص في الحسكة ومناطق في حلب والرقة.

وكان صلاح الدين دمرداش زعيم حزب الشعوب الديمقراطي الكردي قد صرح في وقت سابق إن الهدف الأساسي من العمليات العسكرية التركية الأخيرة في شمال سوريا هو منع وحدة أراضي الأكراد في سوريا وليس محاربة تنظيم الدولة الإسلامية.

وقال دمرداش "شنت تركيا بضع غارات جوية على الدولة الإسلامية.. مجرد استعراض دون إلحاق أضرار حقيقية بها ولا تشعر الدولة الإسلامية بضغط خطير من تركيا".

وأضاف "العمليات التركية لا تهدف إلى اتخاذ إجراءات ضد الدولة الإسلامية. الهدف الرئيسي هو الحيلولة دون تكوّن كيان كردي في شمال سوريا".

ويرى مراقبون أن الهواجس التركية حيال وحدات الشعب الكردية تبدو منطقية، بيد أن الأمر غير الواضح موقف الإدارة الأميركية التي أعلنت مؤخرا عن تصنيف حزب العمال منظمة إرهابية، فيما هي تتعامل مع وحدات حماية الشعب الكردي.

وجدير بالذكر أن الوحدات ما كانت لتحقق هذا التقدم الكبير ضد داعش لولا الدعم الكبير الذي تقدمه الولايات المتحدة الأميركية.

وتخشى اليوم الوحدات من أن يكون الاتفاق التركي الأميركي مقدمة لاستهدافها، وهذا السبب الذي يدفعها إلى الطلب من التحالف إعلان موقف واضح وصريح من عمليات أنقرة العدائية ضدها.

ويستبعد المحللون حصول تغيير في الموقف الأميركي خاصة وأنه ليس هناك قوة على الأرض بخلاف الأكراد يمكن الاستناد عليها في تحجيم تمدد تنظيم الدولة الإسلامية بسوريا، ما لم يطرأ انقلاب في المشهد السوري.

ويذهب بعض المحللين إلى القول إن واشنطن نجحت في استدراج تركيا إلى المأزق السوري وأن ما تحاول أن تبديه من دعم لها في ضرباتها على معاقل حزب العمال الكردستاني ليس إلا ذرّ رماد في العيون.

ويستند هؤلاء في رأيهم إلى أن الولايات المتحدة ما تزال تتلكأ في إقامة مناطق آمنة في سوريا، رغم اتفاقها مع تركيا، كما أن دعمها الجوي للقوات الكردية لم يطرأ عليه أيّ تحول.

> أنقرة تشعر بالقلق من أن يؤجج تقدم وحدات حماية الشعب المشاعر الانفصالية بين أكراد تركيا ويزيد حزب العمال الكردستاني جرأة

احتجاجات في العراق تطالب بتحسين الخدمات أو رحيل حكومة العبادي

□ **بغداد** – تظاهر مئات العراقيين، أمس السبت، بسبب تردي جودة المياه وانقطاع التيار الكهرباء المستمر في مدن عراقية عدة وخصوص بمدينتي البصرة وكربلاء جنوب البلاد.

وتأتي هذه التظاهرات غداة مشاركة حوالي ألفي شخص في تظاهرة في وسط العاصمة بغداد هتفوا خلالها "حرامية، حرامية، حرامية"، متهمين الحكومة بالفساد.

وأمام مكتب محافظ البصرة، تظاهر حوالي 500 شخص يرفعون الأعلام العراقية واللافتات للمطالبة بإيجاد حل لمشكلة المياه التي ترتفع بها نسبة الملوحة.

وقال الطالب زياد طارق (24 عاما) "نطالب بإقالة المحافظ ومجلس المحافظة، حان الوقت ليحصل سكان البصرة على حقوقهم".

وحين خرج نائب المحافظ للاستماع لمطالب المتظاهرين، رشقه هؤلاء بعبوات المياه البلاستيكية وأصروا على أن يلتقوا المحافظ نفسه.

وتابع طارق إن "الحكومة المحلية تعد دائما بتحسين جودة المياه والكهرباء ولكنهم جميعهم كاذبون ولم يعد لديهم أيّ مصداقية"، مضيفا أن "درجة الحرارة حاليا 54 درجة مئوية في وسط البصرة (...) سكان البصرة غاضبون جدا من قادتهم".

أما رعد جاسم (36 عاما) الموظف في شركة نفط الجنوب، فقال إن غضب سكان البصرة يعود أساسا لعدم استفادتهم من ثروة منطقتهم النفطية، وتابع أن "البصرة تغذي العراق، وتمول الدولة، ولكن ليس لدينا مياه ملائمة".

وبحسب أرقام نشرتها وزارة النفط العراقية السبت، فإن 94.9 من 96.2 مليون برميل نفط صدرها العراق في يوليو أنتجتها الحقول النفطية الجنوبية.

وبرغم ذلك لا تزال مدينة البصرة منطقة غير نامية وتعاني من انقطاع دائم للتيار الكهربائي ومن تردي جودة المياه وعدم جمع النفايات فضلا عن مشاكل اجتماعية وبيئية أخرى.

وانتشرت القوات الأمنية في محيط مركز المحافظة، السبت، بعد أقل من أسبوعين على أعمال عنف اندلعت خلال تظاهرة للاحتجاج على انقطاع الكهرباء.

وقال محمد شاكر (52 عاما) أستاذ تعليم الثانوي، "ينتشر الأمن وكأننا نخطط للانقلاب على الحكومة. نحن نتظاهر سلميا وكل ما نريده هو حقنا في شرب مياه نظيفة وفي الكهرباء".

وارتفعت الشعارات ذاتها في مدينة كربلاء، على بعد 75 كيلومترا جنوب بغداد، إذ تظاهر صباح السبت المئات احتجاجا على " انتشار الفساد وتردّي الخدمات". وسارت التظاهرة باتجاه مبنى الحكومة المحلية وسط إجراءات أمنية مشددة.

متظاهرون في عدة مدن عراقية يتهمون الحكومة بالفساد

وهتف المتظاهرون "باسم الدين باعونا الحرامية"، وبينهم طلاب وفنانون وصحافيون.

وقال عبدالحليم ياسر، عضو تنسيقية كربلاء للحراك المدني المنظمة للتظاهرة، "سنواصل هذا الحراك إلى أن تتحقق مطالبنا بتحسين الخدمات لا سيما الكهرباء والقضاء على الفساد والمفسدين وتحسين الأوضاع المعيشية والأمنية".

وتابع ياسر "إذا لم تستطع هذه الطبقة (السياسية) طيلة 12 سنة من تحسين الأوضاع عليها أن تستقيل وترحل".

ومن جهته طالب الناشط المدني والفنان المسرحي علي الشيباني، المرجعية الشيعية بإصدار "فتوى صريحة بالتظاهر إلى أن تتغير الأوضاع"، مؤكدا أن "الأمور من سيئ إلى أسوأ ولا بد من التحرك الجماهيري ضد هؤلاء الذين سرقوا أموال الشعب وهم يتنعمون بخيراته برواتبهم ذات الأرقام الفلكية ويملكون عقارات بالخارج ويتنعمون بالكهرباء ونحن في حر وعوز وبؤس".

وتضررت البنية التحتية في العراق بشدة إبان الاحتلال الذي قادته الولايات المتحدة في عام 2003 وأدى لإسقاط نظام الرئيس صدام حسين، وتعاني البلاد من أزمة كهرباء مزمنة منذ ذلك الحين، ازدادت وطأتها منذ حكم المالكي التي عرفت العراقفي عهده انتشار لمظاهر الفساد في المؤسسات الحكومية.

وكان رئيس الحكومة العراقية حيدر العبادي أصدر أمرا الأربعاء لمؤسسات الدولة والمسؤولين بتوفير الكهرباء عبر برامج تقنين استهلاكها.

وأنفق العراق على مدى 12 عاما نحو 40 مليار دولار على مشاريع محطات الكهرباء، لكنها لم تفلح في الحدّ من معالجة أزمة انقطاع الكهرباء.

ووعدت الحكومة مرارا بإنهاء الأزمة ولكن العجز مستمر ما أدى إلى انتشار المولدات الخاصة كبديل.

> البنية التحتية في العراق متضررة بشدة منذ الاحتلال الأميركي في عام 2003، وتعاني البلاد من أزمة كهرباء مزمنة

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

مصر والسعودية.. ملامح الخلاف وضرورات الاتفاق

القيادة السياسية في البلدين تتدخل لفرملة التفسيرات السلبية والتأكيد على عمق العلاقات

لا شكّ في أن التباين في وجهات النظر بين مصر والمملكة العربية السعودية في الأزمات الإقليمية يمكن أن يكون مفيداً، فكلاهما يستطيع أن يحافظ على مصلحة الطرف الآخر.

محمد أبوالفضل

❑ **القاهرة** – الكتابة عن العلاقات بين مصر والسعودية، تشبه المشي على الأشواك، إما أن تكون ملمّا بجوانب القضية التي تناقشها، أو تلدغك بعض الثغرات التي لم تأخذها في الاعتبار، وتجعل ما وصلت إليه دربا من الخيال، فالملفات المشتركة التي تجمع بين البلدين كثيرة ومتعددة ومتباينة الاتجاهات، والحسابات والتقديرات لدى كل طرف تبدو في مظاهرها مختلفة، وبحاجة إلى مزيد من تقريب المسافات، وفي جوهرها متناغمة، وتسير على وتيرة واحدة.

الفرق بين العلامات السلبية الظاهرة، التي تطفو على السطح وينفخ فيها البعض، وبين الهواجس الخفية، التي يحاول كل جانب تفسيرها بطريقته، هو الذي سمح لكثيرين بإثارة الغبار ومحاولة الاصطياد في الماء العكر، كلما بدت تصرفات كل دولة مع قضية، كأنها موجهة للدولة الأخرى.

بالطبع من حق كل دولة أن تقيم علاقاتها بالصورة التي تحقق لها مصالحها، وليس بالصورة التي تقبلها الدولة الثانية، طالما أن أيّ مقاربة سياسية، مهما بلغ شكلها وحجمها ونوعها، تقوم بها هذه أو تلك لا تنعكس سلبا على الأخرى، فقد مضى عهد تبني مواقف حرفية وصارمة بين الحلفاء. وأضحت الفروق النسبية معمولا بها ومفهومة في مجال العلاقات الدولية، بعد أن انتهى زمن القطبية الثنائية، كما أن الالتباس والغموض وصعوبة تحديد التصورات النهائية لكثير من القضايا الإقليمية، ضاعف من صعوبة الرهان على تقدير أو تصرف واحد، أو حتى التعويل على دولة واحدة، مهما تنامت قدراتها، وتشعبت مواهبها، واتسعت ملامح نفوذها.

مدخل للتفسير

هذه الزاوية تصلح كمدخل لتفسير الصعود والهبوط الذي يكتنف أحيانا العلاقات بين مصر والسعودية في الآونة الأخيرة، ووصل إلى تبني البعض تخمينات وصفتها بالاقتراب من خانة القطيعة، وبعد فترة بسيطة يتم التعامل معها على أنها استراتيجية وراسخة، ومن الصعوبة

> مهما بلغت حدود التباين بين مصر والسعودية فإن أوجه التقارب أشد وأقوى وأوسع وهي القاعدة التي ينجذب إليها كل طرف استنادا إلى أن الأبعاد الاستراتيجية عميقة ويصعب التفريط فيها

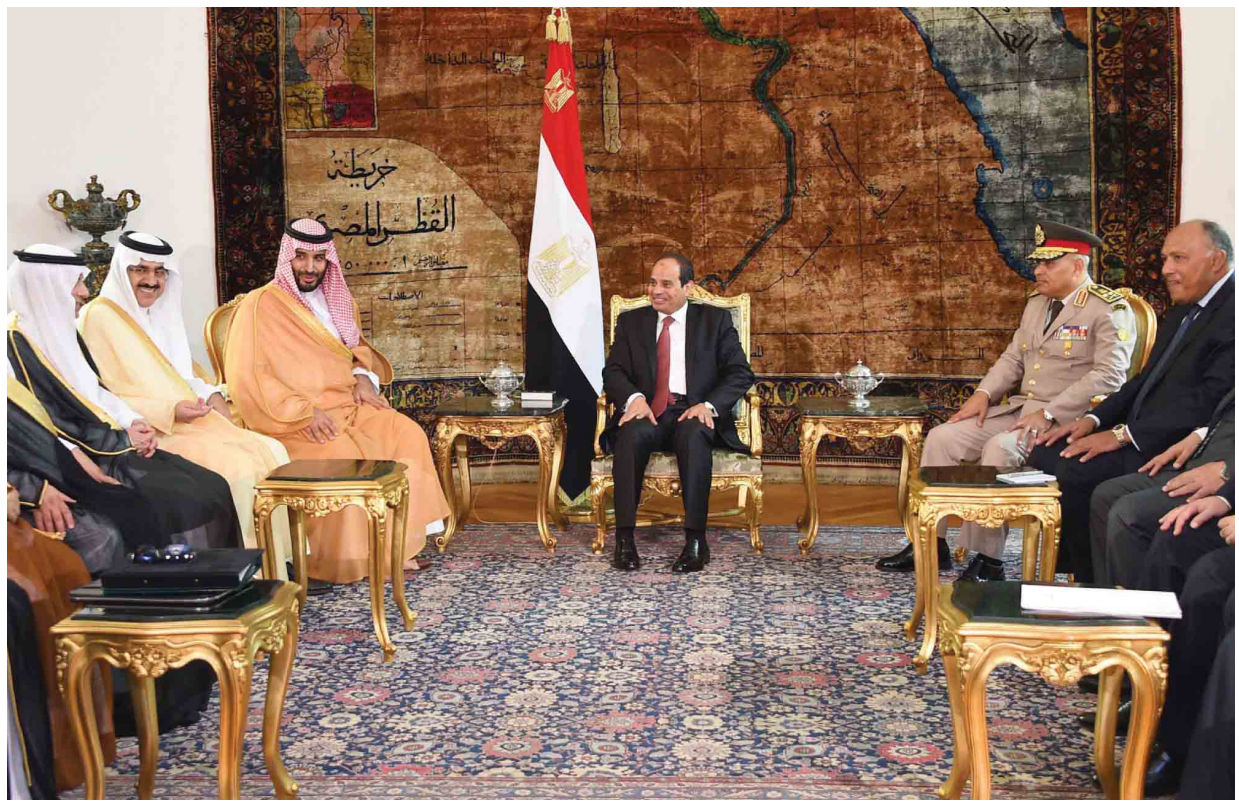

زيارة الأمير محمد بن سلمان وإعلان القاهرة يبددان التكهنات حول الخلافات بين السعودية ومصر

> التباين بين القاهرة والرياض في الأزمة السورية، يمكن أن يكون مفيدا، إذا كان هناك تنسيق وتعاون، فكلاهما يستطيع أن يحافظ على مصلحة الطرف الآخر في الجانب الذي يقف فيه

اهتزازها، أو تأثرها بالرياح والعواصف التي تهبّ عليها من هذا الجانب أو ذاك.

عندما سألت "العرب" مصدرا سياسيا عن سر التذبذب الواضح في العلاقات المصرية–السعودية، وكيف تنتقل بسرعة من الدرجات الدنيا إلى العليا والعكس، ساق السياسي المصري المحنك جملة من المبررات تفسر في اعتقاده هذه المراوحة، ضاربا أمثلة بعدد من الأزمات، أبرزها اليمن وسوريا وليبيا وحماس وإيران، وصولا إلى القوة العربية المشتركة.

قال الدبلوماسي السابق لـ"العرب" إن كلا من مصر والسعودية، ترى في نفسها القوة الإقليمية الأهم، والتي من الواجب أن تلعب الدور الرئيسي في المنطقة، وتقود دفة العالم العربي، ويتعزز هذا الشعور بامتلاك كل منهما مقومات حقيقية للزعامة، كالتاريخ والجغرافيا والسكان والمهام السياسية المفصلية بالنسبة إلى مصر، أو القوة الروحية والمادية والثروة النفطية والنفوذ داخل مجلس التعاون الخليجي والعالم الإسلامي بالنسبة إلى السعودية، الأمر الذي أوجد حساسيات بدت لا تقبل القسمة على اثنين.

أوضح المصدر أن التوافق الذي حدث بين القاهرة والرياض في الأزمة اليمنية، بدأ يهتز بحكم مقتضيات الواقع على الأرض، ففي البداية قادت السعودية عملية عاصفة الحزم، ولم تجعل العملية أمام مصر خيارا سوى أن ترفض العرض أو تنضم إليها، وهو ما قبلته الأخيرة، لأن تخلفها ربما تتولد عنه تبعات إقليمية، تضر بمصالحها، فقد ضمنت العملية زخما إقليميا ودوليا، بغض النظر عن دوافعه، وعندما أخذت تتزايد حلقاتها، دون أن تحقق هدفها بسرعة، أي عودة الرئيس عبدربه منصور هادي إلى صنعاء، تململت القاهرة، من التعويل على الحسم العسكري، مع أنها أبدت تعاونا كبيرا، بحريا وجويا وبريا أيضا.

عندما تريثت مصر وفضلت عدم التمادي في الحل العسكري، وتلقت دعوات مباشرة وغير مباشرة من أطراف يمنية مقيمة في القاهرة بالتدخل السياسي، فهمت بعض الدوائر في الرياض أن هذا الاتجاه ينطوي على تململ مصري، مع أنه في النهاية يصب في المصلحة العربية والسعودية، فأن تضع أوراقك في أكثر من دفتر، أفضل من أن تضعها في دفتر واحد، ضياعه يفقدك أوراقا ثمينة.

من اليمن إلى سوريا

الحالة اليمنية بتعقيداتها انتقلت بشكل مختلف إلى سوريا، مع قاسم مشترك واحد، يكمن في ميل السعودية إلى عدم تهميش جماعة الإخوان المسلمين، الموضوعة على اللائحة المصرية للتنظيمات الإرهابية، والتي تعد المصدر الأساسي للعنف والإرهاب في مصر والمنطقة.

في الأزمة السورية، لم يتغير اقتناع مصر بأن سقوط نظام بشار الأسد، سوف يجلب جماعات إسلامية متطرفة، ويعرّض الدولة للتفتت، ولم تتبدل قناعة السعودية بضرورة رحيل الأسد، وكانت تلمّح أحيانا بأنها تضمن السيطرة على المتطرفين، الأمر الذي عرّضها لانتقادات حادة وضمنية، وفتح الأبواب لأحاديث عن علاقة ما لها مع المتشددين في سوريا.

وقال السياسي لـ"العرب" إن التباين بين القاهرة والرياض في الأزمة السورية، يمكن أن يكون مفيدا، إذا كان هناك تنسيق وتعاون، فكلاهما يستطيع أن يحافظ على مصلحة الطرف الآخر في الجانب الذي يقف فيه، لأنه في النهاية لا أحد ينكر ضرورة رحيل نظام الأسد، لكن كيف، ومتى، ومن هو البديل المقبول؟

الإجابة على هذه التساؤلات كفيلة بإنهاء أيّ خلاف يظهر بين البلدين، بخصوص هذه الأزمة، التي بدت مواقف قوى كبيرة متناقضة ومرتبكة فيها، بحكم الالتباسات التي تحيط بها، كما أن الخلفية التي تظهر فيها إيران وتركيا، أصابت كل طرف بالتوجس، في بعض الأوقات.

وأضاف الدبلوماسي السابق، أن من حسن حظ مصر أن نظام بشار الأسد لم يسقط أيّام حكم الإخوان، ولم يمهلني فرصة للسؤال عن السبب، واستطرد قائلا: في ذلك الوقت كان سيصل مصر على الأقل خمسون ألف متشدد، وعينهم على التمركز في سيناء، لأن مهمتهم في سوريا انتهت بإسقاط الأسد، وعينهم كانت ستتحول للجائزة الكبرى وهي مصر، لمساندة حكم الإخوان المهتز، والذي كان على استعداد لمزيد من فتح الأبواب للمتطرفين، وإذا كان دخول بضع آلاف من هؤلاء أدى إلى ما يحدث في سيناء من توتر الآن، فما بالنا إذا تضاعف الرقم عدة مرات؟ وما هي تداعيات وجودهم عقب رحيل الإخوان؟ وقال النتيجة بالطبع المزيد من المعاناة للجيش المصري، فقد كانت هناك ترتيبات لتحويل سيناء إلى ما يشبه تورا بورا في أفغانستان، والدخول في حرب استنزاف بعيدة المدى.

معضلة إيران

أوضح السياسي المصري أن إيران تظل المعضلة الحقيقية في العلاقات المصرية–السعودية، لأن الرياض لديها هواجس من أن النظام المصري لم يتخذ مواقف رسمية قاطعة منها، حتى في ذروة الأزمة اليمنية، وتدخلات إيران السافرة في كلّ من العراق وسوريا ولبنان، كانت الانتقادات تأتي عامة وغير مباشرة وناعمة، بل على استحياء.

على الرغم من تأكيدات القاهرة للدفاع عن دول الخليج وشعار "مسافة السكة" الذي رفعه الرئيس عبدالفتاح السيسي، ورفض التدخلات الخارجية، وكلها كانت طهران مقصودة بها، إلا أن الرياض لا تزال ترغب في دخول القاهرة مواجهة مباشرة مع طهران، تضمن بها الوثوق تماما في نوايا القاهرة.

وقال المصدر لـ"العرب" إن الهدوء المصري المشوب بالحذر تجاه إيران طبيعي ومفيد، فإذا كانت علاقات الرياض الحقيقية معها بلغت مدى يفوق القاهرة، من النواحي الاقتصادية والدبلوماسية، فهل تقبل مصر أن تبلغ قطيعتها مع إيران خط اللاعودة؟

ولفت الانتباه إلى أن خلافات القاهرة مع طهران، تتعلق أصلا بحسابات مصرية خالصة، اسم شارع وإيواء إرهابيين في طهران، وخشية مصرية من فتح الأبواب للسياحة الإيرانية، مضيفا ربما تكون هذه دوافع واهية، لكنها تظل من الأسباب المعلنة، التي تكشف عن جوهر النوايا السياسية.

وأوضح أن عدم الصدام بإيران، قد يحقق مصلحة سعودية في النهاية، لأن سياسة التكتلات والتحالفات الإقليمية على أسس مذهبية، سوف تكون تكاليفها مدمرة على الجميع، وهو ما تأخذه مصر في الحسبان، لذلك لم تغلق أبوابها السياسية مع إيران خلال العامين الماضيين، حتى وسط التلميحات والاتهامات المصرية المبطنة التي وجهت إلى إيران، كان هناك من يضغط في القاهرة من قوى وأحزاب سياسية لصالح تحاشي التمادي في العداء معها، وهذه الفئة المعارضة، مهما كانت دوافعها، يستثمرها النظام المصري في لحظة معينة، لكبح الاندفاع ضد طهران، إرضاء للسعودية.

وكشف المصدر لـ"العرب" عن معلومة مهمة، عندما أشار إلى تعدد زيارات إعلاميين وسياسيين مصريين، من قوى مختلفة، ورجال أعمال، لإيران في الأشهر الماضية، قائلا: لو كانت الدولة لا تحبذ هذه الزيارات هل كانوا باستطاعتهم الذهاب إلى إيران؟ مضيفا أن هذا الخيط تبقيه القاهرة عن عمد، حفاظا على شعرة معاوية، لأنها لا تريد الانجرار وراء الدخول في عداوة "مجانية" مع إيران، في وقت لا تزال الكثير من الملفات مفتوحة، الأمر الذي بدأت تدركه الرياض، بل وتفهم أبعاده وخلفياته، خاصة بعد أن ألحقت بصمات وأذرع إيران الأمنية الأذى بعدد من دول الخليج.

اختتم السياسي كلامه مع "العرب" بالتأكيد على أن تشكيل القوة العربية المشتركة بصورة متوازنة، وتحقيق الهدف المرجو منها، يمكن أن ينهي الكثير من المنغصات التي تظهر من حين إلى آخر، وتوقف زحف التفسيرات السلبية التي تروّجها بعض الدوائر الرافضة لاستمرار التحالف بين القاهرة والرياض، والتي تلعب أحيانا على وتر الخلافات العربية البينية التقليدية.

سحابة هنا وغمامة هناك

بصرف النظر عن الاتفاق أو الاختلاف مع المعلومات والاستنتاجات السابقة، لكنها في النهاية جديرة بالاعتبار، ومهما بلغت حدود التباين بين مصر والسعودية، فإن أوجه التقارب أشد وأقوى وأوسع، وهي القاعدة التي ينجذب إليها كل طرف، استنادا إلى أن الأبعاد الاستراتيجية عميقة، ويصعب التفريط فيها، أو التقليل من أهميتها، حتى لو ظهرت سحابة هنا أو غمامة هناك، كما أن العلاقة يمكن أن تتعرض لشرخ بسيط، لكن من الصعوبة أن تتعرض لكسر عميق، يصعب إصلاحه، ويؤدي إلى أضرار بالغة للطرفين.

من يدقق النظر في السحب التي تجمعت فوق قضية معينة، يجد أن عوامل تبديدها تأتي بسرعة من أحد الطرفين، ولعل الزوبعة التي أثارتها حركة حماس لفصم العلاقة بين مصر والسعودية، وقيام عادل الجبير وزير الخارجية السعودي بعلاجها بحنكة دبلوماسية، تؤكد أن الرهان على القطيعة بين القاهرة والرياض وهم وضرب من ضروب الخيال، فتهوين الجبير من زيارة خالد مشعل للسعودية الشهر الماضي، فوّت الفرصة على مخطط، هدفه توجيه ضربة للعلاقة بين البلدين في مقتل.

كما أن زيارة الأمير محمد بن سلمان ولي ولي العهد السعودي للقاهرة الخميس الماضي وحضوره العرض العسكري بالكلية الحربية، أوقع عدة عصافير سياسية وأمنية بحجر واحد، وجاء إصدار إعلان القاهرة في ختام الزيارة، ليؤكد أن ملامح الخلاف لا تلغي ضرورات وحتمية الاتفاق.

الملك سلمان والسيسي يؤكدان أهمية «إعلان القاهرة» عربيا وإسلاميا

❑ **الرياض** – أجرى العاهل السعودي الملك سلمان بن عبدالعزيز، مساء الجمعة الماضي، اتصالا هاتفيا بالرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، بحث خلاله الجانبان أهم المستجدات الإقليمية والدولية.

وبددت زيارة ولي ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز إلى مصر الشكوك التي أثارتها وسائل إعلام مرتبطة بتنظيم الإخوان المسلمين حول تصاعد الخلافات بين الدولتين الحليفتين مؤخرا، إثر تكهنات بتقارب محتمل بين الرياض وحركة حماس التي تحكم سيطرتها على قطاع غزة.

وقالت وكالة الأنباء السعودية إن الجانبين أكدا خلال الاتصال على أهمية إعلان القاهرة، "وما يحمله من مضامين عليا ومهمة للأمّتين الإسلامية والعربية"، مؤكدين أن "العلاقة بين البلدين الشقيقين استراتيجية وتكاملية".

كما جرى خلال الاتصال، استعراض العلاقات التي تربط البلدين، وسبل دعمها وتعزيزها في المجالات كافة، وسبل زيادة التعاون المشترك، وتناول مستجدات الأوضاع الإقليمية والدولية، والأمور ذات الاهتمام المشترك.

وكان الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي أجرى محادثات مع ولي ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان بن عبدالعزيز خلال زيارة أجراها إلى القاهرة الخميس الماضي، تمخض عنها إصدار بيان مشترك حمل اسم "إعلان القاهرة".

ونص الإعلان على اتفاق الجانبين على "تطوير التعاون العسكري والعمل على إنشاء القوة العربية المشتركة، وتعزيز التعاون المشترك والاستثمارات في مجالات الطاقة والربط الكهربائي والنقل".

كما اتفق الجانبان على "تحقيق التكامل الاقتصادي بين البلدين، والعمل على جعلهما محورا رئيسيا في حركة التجارة العالمية، وتكثيف الاستثمارات المتبادلة، بهدف تدشين مشروعات مشتركة".

ونص الإعلان أيضا على "تكثيف التعاون السياسي والثقافي والإعلامي بين البلدين، لتحقيق الأهداف المرجوّة، في ضوء المصلحة المشتركة للبلدين والشعبين الشقيقين، ومواجهة التحديات والأخطار التي تفرضها المرحلة الراهنة، وتعيين الحدود البحرية بين البلدين".

ويقول مراقبون إن دعوة الأمير محمد بن سلمان، وزير الدفاع السعودي، لحضور الحفل، الذي حضره أيضا قائد الجيش السابق ووزير الدفاع المشير محمد حسين طنطاوي، تشير إلى رغبة مصر والمملكة العربية السعودية في التقليل من حجم الاختلافات بينهما حول ملفات استراتيجية في المنطقة، من بينها الحرب الأهلية في سوريا والعلاقات مع إيران في مرحلة ما بعد الاتفاق النووي.

> مصر والمملكة العربية السعودية تعملان على التقليل من حجم الاختلافات بينهما حول ملفات استراتيجية في المنطقة، من بينها الحرب الأهلية في سوريا والعلاقات مع إيران في مرحلة ما بعد الاتفاق النووي

ويضيف المراقبون أن هذا الحضور يعتبر دليلا دامغا على صفاء العلاقة بين مصر والسعودية رغم محاولات بعض الجهات الإخوانية والدول الداعمة لها، الدفع نحو حالة من الوقيعة بينهما.

ويعتبر أمرا نادرا أن يحضر مسؤولون كبار من دول أجنبية حفلات تخريج دفعات الكلية الحربية والأكاديميات العسكرية الأخرى في مصر.

وفي كلمة ألقاها خلال الحفل، قال السيسي إن "مصر والسعودية هما جناحا الأمن القومي العربي". وأضاف الرئيس المصري "في الوقت الحالي الذي تمر به المنطقة نحن في أحوج ما نكون لنكون معا لمجابهة التحديات التي تواجهنا... "هذه رسالة لشعبي مصر والسعودية ولدول الخليج أننا دائما يجب أن نبقى معا. إنكم لن تروعنا إلا معا".

وقبل زيارة الأمير محمد بن سلمان إلى القاهرة، زار وزير الخارجية المصري سامح شكري الرياض والتقى نظيره السعودي عادل الجبير.

ونفى الجبير في هذا اللقاء أيّ تقارب بين السعودية وتنظيم الإخوان المسلمين على كافة المستويات.

لماذا المغرب يتطور وغيره يتراجع..

خيرالله خيرالله

❑ في الذكرى السنوية الـ16 لعيد العرش، ألقى الملك محمد السادس خطابا موجّها إلى مواطنيه أوّلا. مرّة أخرى أكّد العاهل المغربي قدرته على المبادرة. إنّه ملك من دون عقد.

في صلب خطاب هذه السنة الاعتراف بأنّ المواطن المغربي ما زال يعاني من مشاكل معيّنة. يقول محمد السادس صراحة "لا أريد أن أتكلم هنا عن المنجزات، ولا أهتمّ بالحصيلة والأرقام فقط. لأنّ كل ما تمّ إنجازه، على أهمّيته، يبقى غير كاف لبلادنا، ما دامت هناك فئات تعاني من ظروف الحياة القاسية، وتشعر بأنّها مهمّشة رغم كلّ الجهود المبذولة". أراد القول إنه لا يمكن التباهي بأنّ كلّ شيء على ما يرام في المغرب. هناك أمور في حاجة إلى معالجة وإصلاح.

كان الخطاب خطاب مصارحة مع المواطنين. هناك إقرار بضرورة معالجة مسائل مرتبطة بـ"الأوضاع الصعبة التي يعيشها بعض المواطنين في المناطق البعيدة والمعزولة".

هناك وعي وإدراك من الملك لحال كلّ مواطن في المغرب، أكان داخل البلد أو خارجه. هناك وعي حتّى بالمشاكل التي يعاني منها مواطنون في تعاملهم مع بعض البعثات القنصلية المغربية في الخارج. يقول في هذا الشأن موجها كلامه إلى المسؤولين عن هذه البعثات أنّه "إذا لم يتمكّنوا من قضاء أغراضهم (أغراض المواطنين المغاربة)، يجب على الأقلّ حسن استقبالهم ومعاملتهم بأدب واحترام". وأكّد أنّه "يجب إنهاء مهام كلّ من يثبت في حقّه القصير".

هناك أيضا وعي بما هو أهمّ من ذلك، أي بما هو في أساس تقدّم الدول والمجتمعات. خصص العاهل المغربي قسما كبيرا من خطابه لـ"إصلاح التعليم". لم يعد سرّا أن لا تقدم لأيّ مجتمع ولأيّ اقتصاد من دون التعليم الراقي والمتطور الذي يزيد من ثروة البلد. سبق لمحمّد السادس أن ركّز في الماضي على ما يمتلكه المغرب من ثروات وكيف يكون تقويم ثروات الدول وشعوبها مركّزا على الثروة الإنسانية كعامل مهمّ في قياس ما يمتلكه هذا البلد أو ذاك من إمكانات بغض النظر عن الثروات الطبيعية وقيمتها.

قال للمغاربة كلاما مباشرا لا يتجرّأ على قوله سوى قلّة في هذا العالم العربي. هذا عائد إلى الثقة بالمغرب وهويته الوطنية، كذلك بوعي الشعب المغربي، في أكثريته طبعا. قال مباشرة "إنّ مستقبل المغرب كلّه يبقى رهينا بمستوى التعليم الذي نقدّمه لأبنائنا". تساءل "لماذا يتسابق العديد (من المواطنين) لتسجيل أبنائهم في مؤسسات البعثات الأجنبية والمدارس الخاصة رغم تكاليفها الباهظة؟". جاء جواب العاهل المغربي على السؤال "لأنّهم يبحثون عن تعليم جيّد ومنفتح يقوم على الحسّ النقدي وتعلّم اللغات ويوفّر لأبنائهم فرص الشغل والانخراط في الحياة العملية. فخلافا لما يدّعيه البعض، إن الانفتاح على اللغات والثقافات الأخرى لن يمسّ الهوية الوطنية، بل على العكس، سيساهم في إغنائها، لأنّ الهويّة المغربية، ولله الحمد، عريقة وراسخة وتتميّز بتنوّع مكوّناتها الممتدة من أوروبا إلى أعماق إفريقيا". شدّد على أنّ "إصلاح التعليم يظل عماد تحقيق التنمية ومفتاح الانفتاح والارتقاء الاجتماعي وضمانة لتحصين الفرد والمجتمع من آفة الجهل والفقر ومن نزوعات التطرّف والانغلاق".

> بعد خطاب محمد السادس، لا يعود مطروحا سؤال من نوع لماذا المغرب يتطور وغيره، في جواره المباشر والمنطقة المحيطة به يتراجع

مثلما كان واضحا على الصعيد الداخلي، خصوصا لجهة التركيز على التعليم وضرورة إصلاحه، كان واضحا على الصعيد الخارجي، خصوصا في مجال الحرب على الإرهاب والوقوف مع المملكة العربية السعودية والملك سلمان بن عبدالعزيز لـ"إعادة الشرعية في اليمن". لم يترك مجالا للشك في الموقف الحازم من قضية الصحراء المغربية، ذلك أنّ المغرب "لن يسمح أبدا بالتطاول على سيادته ووحدته الترابية ونموذجه المجتمعي". كانت تلك رسالة أخرى إلى الجزائر لتأكيد "مبادئ التعامل مع ملف الصحراء المغربية ومرجعياته". يترافق هذا التأكيد مع استيعاب لواقع أن "على الجميع مواصلة اليقظة والتعبئة من أجل التصدي لمناورات الخصوم، ولأيّ انحراف قد يعرفه مسار التسوية الأممي" لملف الصحراء.

في عالم متغيّر، يحافظ المغرب على علاقات متوازنة ضمن معادلة تأخذ في الاعتبار قدرة المملكة على وضع أي مسيء لها في مكانه. فبعد سلسلة من الأخطاء التي ارتكبتها، في الماضي القريب، أوساط فرنسية في حقّ المغرب، تبيّن أن الرباط على استعداد لتجاوز الماضي في حال العودة عن هذه الأخطاء وإجراء مراجعة فرنسية للذات.

من هذا المنطلق، كشف خطاب محمّد السادس عودة العلاقات مع فرنسا إلى مسارها الطبيعي. فبعدما تجاهل العاهل المغربي فرنسا في خطاب العام الماضي، ركّز في خطاب هذه السنة على "أنّ المغرب يواصل العمل على تطوير الشراكات التي تجمعه بدول الاتحاد الأوروبي. وفي هذا الصدد، نحرص على تعزيز الشراكة الاستثنائية مع فرنسا، بتعاون مع الرئيس فرنسوا هولاند، كما نعمل على استثمار روابط الصداقة مع الملك فيليبي السادس لتوطيد علاقات التعاون وحسن الجوار مع أسبانيا". تطبيع مع فرنسا وتأكيد على العلاقة المتميّزة القديمة مع المؤسسة الملكية في أسبانيا، يبدو المغرب واضحا في خياراته وجريئا في طرحها كما هي بعيدا عن مزايدات المصطادين في المياه العكرة الذين سعوا إلى تسميم العلاقات بين الرباط وكلّ من باريس ومدريد.

حرص محمد السادس في ختام خطابه على العودة إلى الوضع المغربي مع توجيه رسالة إلى إيران من دون تسميتها. قال في هذا الصدد "خير ما أختم به خطابي لك، شعبي العزيز، أن أذكّرك بصيانة الأمانة الغالية التي ورثناها عن أجدادنا، وهي الهوية المغربية الأصيلة التي نحسد عليها. فمن واجبك الوطني والديني الحفاظ على هويتك والتمسّك بالمذهب السنّي المالكي الذي ارتضاه المغاربة أبا عن جدّ" مضيفا "هل هناك سبب يدفعنا إلى التخلّي عن تقاليدنا وقيمنا الحضارية القائمة على التسامح والاعتدال واتّباع مذاهب أخرى لا علاقة لها بتربيتنا وأخلاقنا؟ طبعا لا. فلا تسمح لأحد من الخارج أن يعطيك الدروس في دينك. ولا تقبل دعوة أحد لاتّباع أيّ مذهب أو منهج قادم من الشرق أو الغرب أو من الشمال أو الجنوب، رغم احترامي لجميع الديانات السماوية والمذاهب التابعة لها".

> كل ما في الأمر أن هناك ملكا لا يرى عيبا في تسمية الأشياء بأسمائها ولا في القول إن بلده يعاني من مشاكل محددة لا مفرّ من مواجهتها وإصلاحها

بعد خطاب محمد السادس، لا يعود مطروحا سؤال من نوع لماذا المغرب يتطور وغيره، في جواره المباشر والمنطقة المحيطة به يتراجع؟

كلّ ما في الأمر أنّ هناك ملكا لا يرى عيبا في تسمية الأشياء بأسمائها ولا في القول إن بلده يعاني من مشاكل محددة لا مفرّ من مواجهتها وإصلاحها. يبدو قادرا على ذلك لسبب في غاية البساطة. يتمثل السبب في أن المغاربة في أكثريتهم الساحقة أوفياء للهوية المغربية التي تعني أوّل ما تعني التفاعل مع كلّ ما هو حضاري في هذا العالم من دون التخلي عن ثوابت خاصة بهذه الهوية كما وردت في الدستور المعمول به والذي خضع لاستفتاء شعبي. هذه الهويّة تبدو سرّ المغرب وسرّ الاستثناء المغربي الذي يسمح بهذا التعاطي المباشر بين محمد السادس والمواطن..

* إعلامي لبناني

في صلب خطاب هذه السنة الاعتراف بأن المواطن المغربي ما زال يعاني من مشاكل معينة

المغرب: حرب استباقية نموذجية على الإرهاب

حسن السوسي

❑ هناك مقدمتان أساسيتان تفرضان نفسيهما على كل معالجة موضوعية لمسألة الإرهاب تشخيصا ومحاربة.

الأولى، ليس هناك أيّ مجال للشك في أن المعادلات التي تفرضها الحرب على الإرهاب، وخصوصا منها الحرب الاستباقية مع الاحترام الكامل لحقوق الإنسان الأساسية هي من ذلك النوع الدقيق الذي يشبه حد السيف أو المشي على صراط مستقيم.

غير أن توفر الإرادة السياسية في احترام حقوق الإنسان الأساسية يساعد على الابتعاد من ممارسة الشطط والتعسف الذي يمكن أن يرافق كل عمليات استباقية في مجال محاربة الإرهاب. إذ عادة ما يدفع الحرص الشديد على ضمان أمن المجتمع بأسره إلى عدم إيلاء أهمية كبيرة لتجاوزات قد تحدث خلال تلك العمليات على حساب المشتبه بهم في الانتماء إلى خلايا إرهابية نائمة أو نشطة. وهذا ما يمكن اعتباره في سياسات الدول نوعا من النتائج الجانبية للعمليات الجراحية الكبرى التي تقدم عليها في التعامل مع الإرهاب باعتباره الخطر الأكبر والأكثر فتكا بالمجتمعات والشعوب.

أما المقدمة الثانية، فهي الحرص على التوجه إلى الأسباب العميقة وراء هذه الظاهرة وانتشارها بسرعة في مختلف الأوساط الاجتماعية والسياسية التي يبدو أنها تجد فيها حاضنتها الأساسية، لأن الاكتفاء بمحاولة معالجة نتائجها وأساليب من يعتمدون الإرهاب دون غيره لتحقيق أهدافهم السياسية والاجتماعية والفكرية، على الرغم من أهميتها، ليست كافية، متى كان الهدف هو العمل على استئصال الإرهاب من جذوره، وتحصين المجتمعات الانسانية من مخاطره على مستوى استقرارها وأمنها الشخصي والاجتماعي وشروط الاجتماع البشري في مختلف المجالات.

وعلى أساس هاتين المقدمتين يمكن محاكمة مختلف المقاربات المعتمدة هنا وهناك في مجال محاربة الإرهاب في مختلف تجلياته.

وفي هذا السياق تمّ النظر من قبل عدد من الدول والمنظمات الدولية المهتمة بمحاربة الإرهاب إلى التجربة المغربية باعتبارها إحدى التجارب النموذجية الرائدة في هذا المجال على المستويين الإقليمي والأفريقي، وليس ذلك بسبب بعدها الوقائي الفعال متجليا في تفكيك العديد من الخلايا الإرهابية قبل أن تتمكن من الدخول المباشر إلى ساحات فعلها الإجرامي فحسب وإنما يعود أيضا، وربما أساسا إلى اعتماد المغرب مقاربة متعددة الأبعاد والمستويات تتضافر في ما بينها لتشكل عناصر استراتيجية واحدة تهدف إلى التقدم على طريق محاربة الإرهاب بشكل شمولي بما يقلص من حظوظ تنظيماته وخلاياه في استغلال التراخي أو التغافل بخصوص بعد من تلك الأبعاد أو مستوى منها لاستعادة زمام المبادرة والالتفاف على الاستراتيجية المعتمدة في محاربته.

وفي سياق توضيح استراتيجية المغرب المتميزة في محاربة الإرهاب ذكرت وزارة الخارجية اعتماد المغرب استراتيجية تتضافر فيها إجراءات أمنية وتنسيق دولي وإصلاح للشأن الديني ومبادرات للتنمية البشرية بمختلف أشكالها. وبهذا الصدد توقفت الوزيرة المنتدبة بوزارة الخارجية والتعاون المغربي مباركة بوعيدة عند مكونات استراتيجية المملكة خلال اجتماع لجنة مكافحة الإرهاب التابعة لمجلس الأمن الدولي حول مكافحة تدفقات المقاتلين الإرهابيين الأجانب نظمته الأمم المتحدة مع وزارة الخارجية الأسبانية بمدريد ما بين 27 و28 يوليو الماضي.

وفي معرض تقديم تلك الاستراتيجية والجهود التي يبذلها المغرب في التصدي لمخاطر الإرهاب الذي انتشر في محيطه الإقليمي، وخاصة في بعض دول شمال أفريقيا والذي يهدد بانتشاره مجتمعات المنطقة وجوارها كافة بما في ذلك أوروبا، أشارت الوزيرة المغربية إلى "أن بلادها وضعت استراتيجية شاملة ومتعددة الأبعاد تجمع بين الإجراءات الوقائية، التي تسعى للقضاء على العوامل المساعدة على التطرف، وضرورات الحفاظ على الأمن والاستقرار.

وأوضحت بوعيدة أن بلادها نجحت، بالتعاون مع بعض البلدان الصديقة في تفكيك عدة خلايا للتجنيد والتلقين وتسفير مقاتلين مرشحين وتقديم أفرادها أمام المحاكم المختصة، واعتقالهم في المراكز الحدودية عند المغادرة أو العودة.

يذكر أن تعاون المغرب مع جارته الأوروبية أسبانيا في مجال محاربة الإرهاب، كان متعدد المستويات والأبعاد خاصة في مجالات تبادل المعلومات الاستخباراتية حول تحركات الأفراد والتنظيمات ذات الارتباطات الممكنة أو الفعلية مع قوى الإرهاب في مختلف بؤر التوتر والنزاعات المسلحة والأهلية وخاصة في منطقة الشرق الأوسط وفي سوريا والعراق أساسا. وقد نجم عن هذا التعاون الوثيق بين الأجهزة المختصة بين البلدين تفكيك خلايا إرهابية عديدة في كلا البلدين.

> الخبرة التي راكمتها الأجهزة الأمنية المغربية في مجال المكافحة الاستباقية للتهديد الإرهابي أصبحت حاليا معترفا بها على الصعيد العالمي

وعلى مستويات أخرى اتخذ المغرب عددا من المبادرات في مجال تحقيق نمو اقتصادي يسمح بإطلاق مبادرات في المجالات الاجتماعية ومحاربة الفقر والتهميش الذي تعاني أوساط وشرائح اجتماعية في مختلف مناطق المغرب.

ويبدو أن الإشارة الملكية الواضحة والصارمة في خطاب العرش الأخير إلى واقع التهميش الذي تعاني منه المناطق المغربية النائية عن المراكز الكبرى وأوضاع الهشاشة في ضواحي المدن الكبرى تأتي لتعطي عنوانا بارزا لجدول أعمال حكومي فعلي لما يستقبل من الأيام خاصة أن الغلاف المالي المرصود (50 مليار درهم) مبدئيا لهذا الورش الاجتماعية كفيل بتأمين انطلاقة نوعية في هذا المجال.

وعلى مستوى آخر فإن المغرب يرى ويعمل على أساس هذا الاعتقاد أن المجال الروحي والهويّاتي يمكن أن يشكل ثغرة في أيّ استراتيجية تتسلل منها قوى الظلام والتكفير والإرهاب للتمكن من مواطئ أقدام لها في المجتمعات الحديثة لذلك أولى المغرب أهمية كبرى لهذا المجال مركزا جهوده على نشر قيم ومبادئ الإسلام الحقيقية القائمة على التسامح والاعتدال.

وفي معرض إبراز هذا البعد في استراتيجية المغرب في محاربة الإرهاب ذكّرت الوزيرة المغربية بافتتاح معهد محمد السادس لإعداد الأئمة المرشدين والمرشدات والوعاظ المغاربة والأجانب في مارس 2015، وهي خطوة ثمّنتها مختلف الدول الإسلامية في أفريقيا خاصة أنها توصلت مع المغرب إلى اتفاقيات لتكوين أئمتها ومرشديها الدينيين كما هو شأن دولة مالي على سبيل المثال. بل إن المغرب لم يكتف بهذا النوع من التعاون في مجال تكوين الأئمة والمرشدين وإنما تم إنشاء مؤسسة خاصة هي مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة مؤخرا لتوسيع مجالات ومراكز إنتاج معرفة روحية منسجمة مع روح الدين الإسلامي.

يمكن هنا العودة إلى ما أكد عليه وزير الداخلية، محمد حصاد، الاثنين الماضي، بالرباط في لقاء مع ممثلي وكالات أنباء، حيث اعتبر أن الخبرة التي راكمتها الأجهزة الأمنية المغربية في مجال المكافحة الاستباقية للتهديد الإرهابي أصبحت حاليا معترفا بها على الصعيد العالمي، وهو ما مكّن المغرب أيضا من قيادة فريق دولي لمكافحة الإرهاب إلى جانب كل من الولايات المتحدة الأميركية وهولندا. وقد أكد أن السياسة الاستباقية، هذه في مجال مكافحة الإرهاب أتاحت للمغرب، منذ سنة 2013، تفكيك 30 فرعا لتجنيد إرهابيين أو خلايا كانت تستعد للقيام بأعمال إرهابية.

والملاحظ أن المغرب حرص في مجال محاربة الإرهاب اعتماد أسلوب الشفافية وتطبيق مقتضيات القانون في الخطوات التي يقدم عليها في هذا المجال حيث يتم اتباع المساطر المعتمدة في القانون المغربي في مجالات التحقيق والمحاكمات. صحيح أن بعض المتهمين في قضايا الإرهاب يحاولون الإيحاء بأن القوى المغربية المختصة اعتمدت أساليب غير قانونية في الحصول على اعترافاتهم التي ينكرونها غير أن الوقائع التي يتم مواجهتهم بها أبانت في كثير من الأحيان أن تلك الادعاءات جزء لا يتجزأ من استراتيجية اعتماد سياسة الضحية المزيفة لاستدرار عطف البعض وتضليل الرأي العام حول الممارسات الإرهابية التي يلجأون إليها لتحقيق أغراضهم المناهضة في الواقع لكل القيم الإنسانية والروحية.

* كاتب وباحث مغربي

ليس دفاعا عن هيكل

أحمد عدنان

❑ للأديب الرائد أحمد عبدالغفور عطار مؤلف بعنوان «صقر الجزيرة» تحدث فيه عن الملك عبدالعزيز. عند صدور الكتاب، قام الوشاة بمخاطبة الملك فيصل مطالبين بمعاقبة (العطار) لأنه أشاد بخصوم الملك عبدالعزيز (الشريف حسين، ابن رشيد).

كلّف الملك فيصل أهم شخصيتين في أمانة مجلس الوزراء بالتحقيق مع (العطار)، هما: الشيخ عبدالله كامل (والد رجل الأعمال المعروف صالح كامل)، والشاعر الرائد عبدالعزيز الرفاعي. تم استدعاء (العطار) الذي كتب للملك ما معناه: ما ذكرته في ابن رشيد حق وعدل، وما ذكرته في الشريف حسين حق وعدل، ويعرف الرجال بخصومهم، فكلما ارتفع قدر الخصوم ارتفع قدر الرجال. وعلى إثر رد (العطار) البليغ تمّ حفظ القضية.

أستذكر هذه القصة على إثر الضجة التي أثيرت سعوديا على حوار الصحفي المصري، الأستاذ محمد حسنين هيكل، في صحيفة السفير اللبنانية، وهي ضجة لم يكن لها ما يبررها أولا، كما أن لغة الحوار الرديئة التي استخدمها بعض الكتاب والإعلاميين السعوديين عززت موقف هيكل ثانيا.

ما قاله هيكل عن السعودية يمكن اختصاره فيما يلي: "السعودية في أزمة داخلية لا أعرف كيف ستكون نهايتها. السعودية ستغرق في مستنقع اليمن. دول الخليج أصغر من أن تشاغب الاتفاق النووي، وننتظر تصرفات السعودية إزاء الاتفاق".

المشكلة أن ما قرأته في مواقع التواصل الاجتماعي عن المقابلة لم أجده فيها أبدا، إذ ادعت مواقع التواصل أن هيكل قال "الملك سلمان لا حضور له في السعودية"، ووصف الأميرين محمد بن نايف (ولي العهد) ومحمد بن سلمان (ولي ولي العهد) بـ "جيل الصغار المتكبر".

لقد قرأت نص المقابلة في الموقع الإلكتروني لصحيفة (السفير) اللبنانية وصحيفة (الشروق) المصرية، التي نشرت المقابلة بالتزامن، ولم أجد فيها هذا الكلام مطلقا، وفوق هذا لم أجد أيّ خبر يتحدث عن قيام موقع السفير أو موقع الشروق بحذف أجزاء من المقابلة.

على كل حال، هيكل ليس نبيا مرسلا ولا ملاكا منزّلا، ولكنه بلا شك قامة صحفية كبيرة، والصحافة – وفق التعريف المدرسي – هي مهنة من يجمع الأخبار والآراء وينشرها، لكن هيكل الذي لا يعرّف نفسه بغير "الصحافي" تحول من باحث عن الخبر إلى الخبر نفسه، ولذلك هو قامة نادرة. أضف إلى ذلك أعماله الصحافية المحترمة كسلسلته عن المفاوضات بين العرب وإسرائيل وسلسلته عن الصراع العربي–الإسرائيلي.

ما قرأته لبعض الزملاء، بأن هيكل "خرف" وبلا قيمة، أو أنه مرتش إيراني أو حاقد على المملكة، يدفعني لحث بعض الزملاء على تعلّم إنصاف الخصوم، صحيح أن هيكل لا يكنّ للنظام السعودي، وأغلب دول الخليج، موقفا إيجابيا لأسباب منها العاطفي ومنها الموضوعي، لكنه لو كان مخرّفا أو بلا قيمة أو مرتشيا لما شنّت هذه الحملات شبه المنظمة عليه، ولما أثارت تحليلاته وتصريحاته كل هذا الجدل. وكعاملين في الصحافة العربية، اعتدنا على الحملات التي تنظمها حكومات العرب ضد بعضها البعض واعتدنا أيضا على حملات حكومات العرب أو وزراء الإعلام العرب أو أنصار الحكام العرب ضد هيكل. ليس غريبا أن تقوم منظومة إعلامية لهذا المحور بمهاجمة ذلك المحور، لكن الغريب هو أن تقوم منظومة إعلامية لدولة أو لدول بالهجوم على شخص هو غالبا هيكل، وربما تكون هذه دلالة على احترام الرجل من الأجهزة الرسمية العربية!

> ما قرأته بأن هيكل «خرف» وبلا قيمة، أو أنه مرتش إيراني أو حاقد على المملكة يدفعني لحث بعض الزملاء على تعلم إنصاف الخصوم

حين تقرأ مذكرات فرانسوا ميتران ستجد أن حكيم أوروبا ورئيس فرنسا الأسبق أهدى مذكراته إلى صديقه الشخصي محمد حسنين هيكل، وإذا عرّجت على مذكرات المرأة الحديدية مارغريت تاتشر ستكتشف أن صديقها هيكل لعب دور الوسيط بينها وبين الناشر الذي أراد كتابا عن تجربتها قبل سقوطها الشخصي، وهذا ما جرح كبرياء تاتشر، فجاءت تسوية هيكل إلى صيغة تجربتها التي أطلت على سقوط عالم القطبين (أميركا – الاتحاد السوفييتي) مع تفكك دولة السوفييت.

أورد هذه المعلومات لأنني أرى أن ربط هيكل بجمال عبدالناصر ظلم لهيكل، وهذا الرأي لن يعجب هيكل ولن يعجب الناصريين.

إن اللقاء الذي قرأته أكثر من مرة في الموقع الإلكتروني لصحيفة السفير وصحيفة الشروق هو مقابلة سياسية مهمة سواء اختلفت مع بعض مضمونها أو اتفقت مع بعضها الآخر، لكن أغلب ردود الفعل كانت أقرب للردح من النقاش السياسي.

والحقيقة أن مضمون اللقاء فيه أكثر من ثغرة سياسية يمكن لخصوم هيكل أن يستثمروها، كرأيه بأن (حزب الله) يدافع عن نفسه في سوريا، واقتناعه بأن أمين عام ما يسمى بحزب الله (السيد حسن نصرالله) ما زال يحتفظ بصورة محترمة في أغلب الوجدان العربي، وتفسيره للثورة السورية كحرب دولية هدفها قص الأجنحة الإيرانية، وتصوره لأزمة سعودية داخلية بين الأسرة الملكية والبرجوازية الناشئة، بل ويمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك إلى تأثير العاطفة على التحليل السياسي لهيكل فيما يخص موقفه من إيران على صعيد أوّل، ومن دول الخليج على صعيد آخر.

ومن باب الإنصاف كان لافتا في المقابلة، إشارته إلى تناقض تاريخي بين إيران وروسيا، وحديثه العميق عن مراد الولايات المتحدة من الاتفاق النووي.

سيأتي أحدهم بتحليل أثبتت الأيام خطأه لـ"الأستاذ"، ومن قال إن هيكل لا يخطئ، وإذا كنا نتحدث عن رجل يتميز بتحليلاته الخاطئة فما المزعج في حديثه عنا؟ وقد يأتي أحدهم بنصوص أقسى لهيكل ضد هذه السلطة السياسية أو تلك، أو بموقف سياسي غريب إزاء هذه القضية أو تلك، إن هذا لا يلغي قيمة الرجل، واحترام الآخر لا يعني التبعية.

حين كتب بوب وودورد كتابه (خطة الهجوم) قائلا إن السعودية تدخلت في الانتخابات الأميركية، وإن سفير المملكة بندر بن سلطان كان على علم بخطط أميركا إزاء العراق قبل كولن باول وزير الخارجية، كتب عبدالرحمن الراشد مقالة بعنوان "إذا أتتك مذمتي من كامل"، قائلا "في نظري لا أرى سببا لنكران الحقائق، إن كانت صحيحة، أو التنكر لعلاقة مميزة إن كانت موجودة. فأنا أقرأ ما كتب على أنها شهادة ثمينة على الجميع أن يفهمها، السعودية دولة في غاية الأهمية. بوب وودورد، صحفي متكامل بما للكلمة من معنى مهني، بخبرته وسمعته وإتقانه لعمله وثقة الخاصة والعامة فيه". لا يهم إن كنت ممن يرون هيكل كاملا، لكنني سأصطف مع من يرون هيكل الناقص متسائلا: ما المشكلة إذن؟

هيكل معنى للحظة نادرة مضت ولن تعود، التقى فيها مجد الصحافة الورقية مع أحلام التحرر والاتحاد وبناء الدولة، وهذا التماس كانت فوائده الخاصة أكبر وأكثر من فوائده العامة للأسف، لذلك فنحن نحارب لعناته لكننا أيضا نتوق لأضوائه، والطريف أن هيكل تجاوز تلك اللحظة وما عاد إليها إلا لتشتيت الانتباه عن تحرره، لكن المشكلة الحقيقية هي تلك التي لازمت رفاقه وصحبه، فلا ماضي تجاوزوا ولا حاضر أدركوا، والمستقبل ضائع في كل الأحوال.

* صحافي سعودي

الاستقالة الممنوعة والحكم الممتنع

شادي علاء الدين

❑ ممنوع على رئيس الحكومة اللبنانية تمام سلام أن يستقيل وممنوع أن يحكم كذلك. المواقف من طرح موضوع الاستقالة كانت لافتة فقد برز حزب الله في واجهة المعارضين للاستقالة ووصل في رفضه لها إلى حدود التهديد، كما أطلق رسائل تحذيرية بالوكالة عبر مجموعات سرايا المقاومة التابعة له والتي ألقت أكياس النفايات على منزل الرئيس سلام.

الرئيس نبيه بري اعتبر بدوره أن مساعي إسقاط الحكومة لن تنجح وأعلن أنه سيقف مع من يمثلهم في وجهها. بدا الجنرال عون وحيدا في سعيه لإسقاط الحكومة لأنه لا يريد للتعيينات الأمنية والعسكرية أن تمر، وحتى يقطع الطريق أمام التمديد أو التجديد لقائد الجيش.

تيار المستقبل ظهر في ثوب المتهم إذ أن هناك ربطا مباشرا وعاما عند الرأي العام اللبناني بينه وبين شركة سوكلين التي تناط بها منذ فترة طويلة مهمة جمع النفايات في لبنان. انتهاء مدة عقدها دون أن يصار إلى الاتفاق على عقد جديد معها أو إيجاد بديل لها، تسبب بما يشهده لبنان حاليا من أزمة نفايات عامة لا تنفع معها الحلول الجزئية والمؤقتة.

أزمة النفايات عصفت بالحكومة التي يحسب رئيسها على تيار المستقبل فكان أن لوّح بنيّته في تقديم استقالته من منصبه، ولكن اتصالات عربية ودولية حالت بينه وبين تنفيذ ما كان ينوي القيام به. المشكلة تكمن في أن رفض استقالة الحكومة لم يستتبع بالسعي الجدي إلى إيجاد مخارج للأزمات المستعصية، بل بدا وكأنه مطلوب من الحكومة أن تبقى لكي تكون شاهداً على الأزمات ليس إلا.

حزب الله لا يريد أن يدخل البلد في أزمة فراغ تتطلب منه بذل جهود إضافية لمعالجة تداعياتها على بيئته الحاضنة، ما سيشتّت جهوده القتالية والحربية في سوريا ويدفعه إلى توزيعها، لذا يصر على بقاء الحكومة كي تقوم عنه بالمهمات اللوجستية. يريد من الحكومة أن تكون خط الدفاع الخلفي له والذي يجب أن يكون مؤمنا كي يمكن للمقاتلين الذاهبين إلى خارج الحدود العمل بأكبر قدر من الراحة والأمان.

> الاستقالة ممنوعة والحكم ممتنع. هذه هي المعادلة التي يدافع عنها الجميع. الكل ينتظر نضوج طبخات دولية قد تنتج انفراجات في ملف الفراغ الرئاسي اللبناني

تيار المستقبل يخشى أنه في حال سقطت الحكومة في ظل الفراغ الرئاسي ووجود سعد الحريري في الخارج فإن الأمر سيتخذ صيغة الخروج السياسي للسنّة من الدولة. مشروع الاعتدال سيبدو وكأنه انتهى تماما وسيتاح لحزب الله الإمساك بمفاصل البلد بشكل تام، وخاصة أنه يلوّح من حين الى آخر بأنه يستطيع أن يجد حليفا سنيا قويا ويسعى إلى إيصاله إلى سدة رئاسة الحكومة. غزل حزب الله الدائم بنهاد المشنوق يأتي في هذا السياق.

تكمن المفارقة الكبرى أن كل الجهات الدولية والعربية التي عملت على ثني الرئيس سلام عن استقالته لم تقدم أي مشروع أو طرح يمنح الحكومة القدرة على اتخاذ حد أدنى من القرارات. فكرة التوافق التي تسيطر على عمل الحكومة، والتي تجعل مرور أيّ قرار مستحيلا ما لم يحظ بالإجماع، تجعل الحكومة رهينة تعطيل دائم.

الاستقالة ممنوعة والحكم ممتنع. هذه هي المعادلة التي يدافع عنها الجميع. الكل ينتظر نضوج طبخات دولية قد تنتج انفراجات في ملف الفراغ الرئاسي اللبناني. خلال هذه الفترة تتراكم أزمات وأزمات تبدو عصية على الحل بشكل يقول إن الأطراف المهيمنة على الحياة السياسية في لبنان، مستعدة لفتح المجال أمام انتخاب رئيس توافقي للجمهورية، حين تكون متأكدة أن حال الرئاسة سيعيد إنتاج الحال الحكومي لناحية الحكم الممتنع.

هكذا تبنى المعادلة بشكل يكون فيه الفراغ قد سدّ في منصب الرئاسة والحكومة بقيت ولكن الشلل يبقى هو المتحكم الأبرز بالرئاسة والحكومة.

* كاتب لبناني

الفوضى في العالم العربي تناسب الدعاية المحلية الروسية

نيكولاي كوزانوف

❑ إذا لم يكن الشرق الأوسط موجودا، بالتأكيد كانت موسكو قد اخترعته. لقد أعطت الفوضى في العالم العربي فرصة ملائمة للكرملين من أجل توجيه نظر الرأي العام في الداخل عن قضايا مثل شرعية النظام، والمواجهة مع الغرب والوضع في أوكرانيا. ونتيجة لذلك، أصبحت الاضطرابات في الشرق الأوسط، على مدى العامين الماضيين، واحدة من أكثر المواضيع الشعبية التي يناقشها الصحفيون والسياسيون الروس.

وبما أن العديد من الطبقات الروسية المتوسطة والعاملة تحن إلى المجد "الإمبراطوري" للاتحاد السوفييتي، يسعى الكرملين إلى أن يوفر لهم ما يريدون مثل: الدعم الروسي لدمشق وإقامة علاقات وثيقة مع طهران والتقارب مع مصر، وكل ذلك هو بمثابة استعادة الكرملين لنفوذه الذي فقده بعد عام 1991.

كل ما ستقوم به السلطات الروسية هو تقديم الشرق الأوسط على أنه مجسم من الحقبة السوفييتية على الرغم من أن هذا الأمر في الغالب لا علاقة له بالواقع اليوم. وبالتالي، يتم تصوير دعم موسكو لنظام بشار الأسد والتقارب مع القاهرة كرمز للوحدة الروسية العربية في نضالها ضد عدم الاستقرار الناجم عن التدخل الأميركي والإرهاب.

في الوقت الذي يتم فيه اتهام الغرب بإحياء لغة الحرب الباردة، تنشد موسكو إحياء عواطف مماثلة عبر إعادة صورة الولايات المتحدة على أنها "الشيطان الأكبر". فضلا عن أخطاء إدارة أوباما في السياسة الإقليمية. وقد جعل الوضع في الشرق الأوسط هذه المهمة سهلة.

في عام 2011، وصف بوتين الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بـ"الصليبيين الجدد" على إثر العمليات العسكرية في ليبيا. وفي مقابلة مع وسائل الإعلام الروسية في شهر أبريل الماضي، اتهم وزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف، واشنطن بأنها مسؤولة عن إنشاء تنظيمي القاعدة والدولة الإسلامية من خلال دعم المجاهدين ضد السوفييت في أفغانستان في الثمانينات، ثم غزو العراق. يذهب بعض المحللين والصحفيين الموالين للحكومة إلى أبعد من ذلك. حيث أنهم ينشرون نظريات المؤامرة على أن الولايات المتحدة زعزعت منطقة الشرق الأوسط عمدا بعد هجمات 9/11 وليس لديها مصلحة حقيقية في وقف إراقة الدماء في سوريا والعراق.

احتجاجات الشوارع التي أعقبت إعادة انتخاب بوتين لولاية رئاسية ثالثة في عام 2012، أجبرت الكرملين على الترويج لفكرة نموذج خاص للحكم يزعم بأنه يناسب روسيا أكثر من الديمقراطية الغربية. وهكذا، اتهم مروجو الدعاية في موسكو الغرب بمحاولة فرض القيم الديمقراطية "غير لائقة" على دول الشرق الأوسط التي التي لم تكن طريقة نشرها ديمقراطية. والتي أدت نظم الحوكمة فيها إلى الفوضى وسفك الدماء.

ومن خلال رواياتها عن الشرق الأوسط، تسعى موسكو إلى إضفاء شرعية على سياستها تجاه أوكرانيا. فبعد فترة وجيزة من بداية العملية التي تقودها السعودية في اليمن ضد المتمردين الحوثيين، صرح أحد رجال الدعاية الروسية ديمتري كيسليوف، على شاشة قناة "روسيا تي. في" الحكومية أنه ليس هناك اختلاف بين اليمن وأوكرانيا. وأضاف أن "المتمردين الراديكاليين في كلا البلدين أطاحوا بالرئيس الشرعي". وطرح سؤالا "إذا كان بإمكان السعوديين دعم الرئيس اليمني، عبدربه منصور هادي، الذي تمت الإطاحة به، وحتى قصف اليمن، فلماذا نلوم روسيا لدعمها لفيكتور يانوكوفيتش، الرئيس الأوكراني الذي اضطر لمغادرة السلطة بعد خروج احتجاجات في الشوارع؟".

بشكل عام، تبدو الدعاية الرسمية الروسية مفتعلة بمكر شديد. وهي تضع مجموعة من الحقائق في الإطار الذي يمكّنها من التحكم في الجمهور وتوجيهه إلى الاستنتاجات المطلوبة. وقد فشلت المعارضة الروسية في الطعن في روايات موسكو حول أحداث الشرق الأوسط. في عام 2014، حاول لاعب الشطرنج البارز والناقد للنظام الروسي، غاري كاسباروف، إلقاء اللوم على بوتين بخصوص الاضطرابات السياسية في الشرق الأوسط. ولم يجد أيّ دعم، حتى في الغرب.

عندما يقوم الساسة ووسائل الإعلام الروس بتغطية أحداث الشرق الأوسط للجمهور المحلي، يستخدمون التصريحات الجريئة والعاطفية بهدف شد انتباه المشاهدين إلى أحد الرسائل البسيطة. ومع ذلك، ما يزال الكرملين يدرك الفرق بين الدعاية والدبلوماسية. وهكذا، في الوقت الذي يتم فيه تقديم زيارة جون كيري إلى سوتشي على أنها نصر دبلوماسي لروسيا، تدرك الحكومة الروسية أنها تحتاج إلى تدخل واشنطن في سوريا بالقدر الذي تحتاج فيه الولايات المتحدة إلى تدخل موسكو.

لفهم النوايا الحقيقية لروسيا، من الضروري مراقبة تحركات موسكو بدلا من الاستماع إلى أقوالها. ولكن يبدو أن الحاجز بين الدعاية والحقيقة هو ما يسهل اختراقه.

تجدر الإشارة إلى أنه في مقابلة تلفزيونية في شهر فبراير عام 2013، ذكر لافروف أن الحكومة الروسية كانت حريصة على تلقين الأميركان "درسا" في سوريا بأنه "ينبغي التعامل مع موسكو على أساس المساواة وتوازن المصالح والاحترام المتبادل". وتلقين هذا الدرس يبدو أنه الهدف من وراء الدعاية الروسية.

الثنائية الروسية الأميركية عداء وتعامل لا غنى عنه

* محلل سياسي في المعهد الملكي البريطاني للشؤون الدولية "تشاتام هاوس"

مصر تقهر الطبيعة من جديد بمشروع قناة السويس الثانية

فرديناند ديليسبس ومشروعه المجنون الذي غير العالم

عبدالله مكسور

❑ مع توسُّع الأسواق العالمية وزيادة حركة الإنتاج في العالم يبدو من الطبيعي أن يطمح القائمون على قناة السويس إلى تطوير المشروع الذي وقَعَ فريسة الإهمال طيلة العقود الثلاثة الماضية كأغلب القطاعات الحيوية في مصر.

فتمَّ البدءُ قبل نحو عام بأعمال الحفر والتجريف بالمعدَّات الحديثة لقناة جديدةٍ ستكونُ موازية للقناة الأصليَّة بحيث تنطلق عند الكيلو 60 لتعود للالتحام مع الجسد الأصلي لقناة السويس عند الكيلو 95 بطول يصل إلى 35 كيلومتراً.

لتتشكَّل بين القناة الوليدة والأصليَّة جزيرةٌ ترابية ستكون مقراً للعديد من المنشآت السياحية والتنموية والعمرانية، فضلاً عن دورها في التصدي لظاهرة البطالة التي ضربَت السوق المصرية عقب الاضطرابات السياسية التي شهدتها البلاد في السنوات الأخيرة.

هذا المشروع الحيوي أيضاً سيؤدي إلى زيادة عائدات قناة السويس بنسبة تتجاوز 295 بالمئة وهي نسبة عالية جداً بالنسبة إلى أيّ مشروع، وإذا أدخلنا هذه النسبة على قيمة عائدات القناة الحالية البالغة ما يقارب 5.3 مليار دولار أميركي، سنجدُ أنَّ العائد سيكون عام 2023 أكثر من 13.226 مليار دولار أميركي فضلاً عن قدرة القناة الجديدة على تحقيق نسبة عبور مضاعفة في الحركة الملاحية ما يؤدّي إلىً زيادة التبادل التجاري بين الدول وبالتالي انتعاش الاقتصاد العالمي.

فكرة شق قناة من البحر الأحمر إلى البحر الأبيض المتوسط تظهر في التاريخ أول مرة من أيام سنوسرت الثالث أحد ملوك الأسرة الفرعونية الثانية عشرة وحتى العام 1874 حين طبقها فرديناند ديليسبس في قصة طويلة تحمل في طياتها حكاية شعب أراد الحياة وانتصر على كل ما قد يعترضه في سبيل تحقيق حلمه.

الأفكار الاولى

الفكرةُ الأولى بمدِّ جسر مائيٍّ يربطُ البحر الأحمرَ بالبحر الأبيض المتوسّط عادَت إلى الظهور بقوَّة عقب وصول الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة نابليون بونابرت، الذي أمَر بدراسة إمكانيَّة تنفيذ شق الأرض الذي عارَضهُ بعد دراسة الجغرافية المهندس لوبير الذي أقنعَ نابليون أنّ مستوى الماء في البحر المتوسط أعلى من البحر الأحمر وبالتالي فإنَّ الماء سيفيض ويُغرق مِصر كلها.

هذا التخيُّلُ المجنون أرعبَ نابليون الذي أمرَ بإيقاف الفكرة بشكل كامل، عقبَ ذلك بثلاثة عقود تقريباً عادَ فريقٌ خبراء فرنسيين إلى القاهرة وأخذوا الإذن من والي مصر في ذلك الوقت محمَّد علي باشا بمعاينة الموقع الجغرافي في منطقة القناة.

وبعد الدراسة اكتشفوا أنَّ المهندس لوبير كان على خطأ في طرحه، وعرَضوا فكرة حفر قناة السويس على محمد علي الذي وافقَ بشرطين يقومان على ضمان القوى العظمى في ذلك الوقت "فرنسا وبريطانيا" حيادية القناة الوليدة، وتكفل الحكومة المصرية بتمويل الحفر كاملاً، هذان الشرطان لقيا رفضاً قاطعاً في باريس لأنَّ ذلك يعني استقلال مصر والاعتراف بسيادتها فطويَ المشروع وعادَ إلى النسيان، حتَّى أيقظَهُ ديليسبس بعد أن طرَحهُ على سعيد باشا نجل محمَّد علي عقبَ اعتلائه عرش الحكم في وادي النيل الذي وافقَ مباشرةً نظراً للعلاقة الخاصَّة التي ربطتهُ بديليسبس.

بين باريس والقاهرة

الحملةُ الفرنسيَّةُ على مصر التي استمرت سنة واحدةً وشهرا لم تتوقَّف في تأثيراتها عند نابليون بونابرت الذي عادَ إلى مركز الإمبراطوريَّة في باريس عام 1801، بل تعدَّى الأمر ذلك إلى الدائرة الضيِّقة التي كانت قريبة من قراراته، فما إن رجَعَ بونابرت إلى عاصمته خالي الوفاض من القاهرة، بعد أن تركَ فيها الجنرال كليبر، حتى أوفد شخصاً يدعى ماتيو ديليسبس مستشارَهُ إلى مصرَ لترتيب اختيار حاكم جديد لها، ذلك الشخصُ الذي كان محمد عليً باشاً الضابطُ الألباني في الحملة الفرنسية بعد أن لاحظَ العسكرُ قدرَتَهُ على فرض حضوره من خلال تقرُّبه من شيوخ الأزهر ونشاطه في الديوان الذي أنشأهُ نابليون ضمنَ مشروع المجمَع العلمي، الذي أحضرَهُ إلى مصَر بداية الحملة، اختيار ديليسبس لمحمد علي كانَ نقطةً فارقةً في حياة الأخير حيثُ بدأ أولى خطواته نحو تحقيق حلمه الدفين بأن يكون قائداً يدخل التاريخ من أوسع أبوابه وربَّما هي الأقدارُ التي دفعَت بهذا ليتمَّ بدءُ العصر الذهبي لمصر وبناءُ الدولة الحديثة التي وصلَ صيتُها وإنجازاتُها خلال العقود التالية إلى كل الدنيا.

مات ماتيو ديليسبس وقبلَ وفاته أوصى الحاكمَ الجديد لمصر محمد علي باشا بالحرص على ابنه الشاب في ذلك الوقت فرديناند ديليسبس، الذي تمَّ تعيينُهُ بعد ذلك وهو في سنه السابعة والعشرين قنصلاً مساعداً لفرنسا في الإسكندرية حيث استقبلهُ محمَّد علي استقبالاً حافلاً عام 1832 وعرض عليه تعيينَهُ في القصر الأميري مُربيًّا لسعيد باشا فوافقَ فرديناند.

في التاسع عشر من نوفمبر من العام 1805 وُلِدَ فرديناند ماتيو ديليسبس في فرساي أحد ضواحي العاصمة باريس لعائلة اشتُهرت بالقرب من الامبراطور نابليون بونابَرت من خلال عمل أفرادها بالسلك الدبلوماسي.

لذا نجدُ أنَّ سنواته الأولى كان قد قضاها في إيطاليا وبلدانَ أخرى متنقلاً مع والده إلى أن التحق بكليَّة هنري الرابع في باريس حيث درسَ الهندسة هناك، وبدأ حياتَهُ العملية في أوروبا قبل أن يتجَّهَ إلى الشرق ممثِّلاً لبلاده كقنصل مساعد في الإسكندرية قبل أن يعودَ مرَّةً أخرى إلى مصر بعد انتهاء عصر نابليون الذهبي وتدهوُر أوضاع عائلة ديليسبس التي تمَّ اعتبارُها إحدى ركائز حُكم نابليون في فرنسا.

الخذلان في الغرب قابلَهُ تذكُّرُ الفضل في الشرق حين دخل فرديناند مرَّةً أخرى الإسكندرية في السابع من نوفمبر عام 1854 مُلتقياً الطفلَ الذي عملَ مُربيًّا له بعد أن صارَ أميراً للبلاد التي احتضنَت في أراضيها نهر النيل، ذلك اللقاءُ الذي أرادَ به الأمير محمد سعيد ردَّ جميل صديقه القديم تضمَّنَهُ عرضُ فرديناند مشروع القناة مرَّةً أخرى فوافق الحاكمُ الجديد دون نقاش و بدأ عصرُ التنفيذ للحُلم الذي بدأ قبل التاريخ.

السخرة

العقلية البرجوازية التي تضاءَلت جُذوَتُها بعد سقوط نابليون في مخيِّلة فرديناند ديليسبس، عادت إلى الظهور من عقله الباطن فور موافقة الباشا المصري على المشروع الجديد، حيثُ قدّمَ الأخيرُ كلَّ التسهيلات القانونية لعمل شركة قناة السويس التي أسَّسَها ديليسبس الذي اتُّهِمَ من مُعارضيه بسرقة المشروع التاريخي، لكنَّهُ استطاعَ التغلُّبَ على كل ذلك من خلال ضرب الفأس الأولى في الرمل الممتد بين بحرَين معلناً أمام محمد سعيد باشا تدشين مرحلة العمل الفعلي في حفر قناة السويس، كان ذلك في الخامس والعشرين من أبريل من العام 1859 حيثُ استمرَّ الحفر لأكثر من عشر سنوات، لجأ خلالَها ديليسبس إلى نظام السخرة الذي كان يقومُ على استجلاب الفلاحين وشباب الصعيد للعمل في القناة الجديدة ما أدَّى إلى خسارة مصر الكثير من طاقاتها البشرية نتيجة الأمراض وضعف العنايةِ الصحية حيثُ كان ديليسبس يتعاملُ مع العمال على أنَّهم عبيد في ظل الدعم الكامل الذي كان يلقاهُ من القصر الأميري.

الشاب الفرنسي فرديناند ديليسبس أتى ذات على ظهر سفينة من تونس إلى مصر، فأصيبَ أحدُ ركَّاب السفينة بالكوليرا ما

> فكرة شق قناة من البحر الأحمر إلى البحر الأبيض المتوسط تظهر في التاريخ أول مرة من أيام سنوسرت الثالث أحد ملوك الأسرة الفرعونية الثانية عشرة وحتى العام 1874 حين طبقها فرديناند ديليسبس في قصة طويلة تحمل في طياتها حكاية شعب أراد الحياة وانتصر على الطبيعة

> قناة السويس الجديدة مشروع حيوي سيؤدي إلى زيادة عائدات القناة بنسبة تتجاوز 295 بالمئة وهي نسبة عالية جدا بالنسبة إلى أي مشروع، وإذا أدخلنا هذه النسبة على قيمة عائدات القناة الحالية البالغة ما يقارب 5,3 مليار دولار أميركي، سنجد أن العائد سيكون عام 2023 أكثر من 13,226 مليار دولار أميركي

دفعَ المسؤولين إلى فرض الحجر الصحيِّ على الركاب، ولأنَّ ديليسبس كان ذاهباً لاستلام مهامِّه الجديدة كمساعد للقنصل في الإسكندرية فقد تمَّ تزويدُهُ ببعضِ الكُتُب خلال الحجر مما أعطاهُ وقتاً كافياً للانكفاء على دراسة المشروع التاريخي عبر بعض الوثائق، ولكنَّهُ اختلف عن كل الحالمين في اختيار التوقيت المناسب لطرح الفكرة وضمان أخذ القبول والدعم لها.

كلمة سر التأميم

المشروع الذي حُفِرَ بالفؤوس والأيدي في الرمال والتراب معاً صار حقيقة بعد عشر سنوات عجاف خسر فيها المصريون أجيالاً دُفنَت في تلك التربة تحت ما يسمَّى السُّخرة، فحتى اليوم لا توجَد إحصاءات دقيقة لأعداد المفقودين خلال الحفر، وربَّما هذا الثأرُ الذي يحملهُ ذوو الراحلين هو ما دفع جمال عبدالناصر إلى أن يجعل كلمة السر لعمليَّة تأميم القناة اسم صاحب المشروع ككل" فرديناند ديليسبس حين ضمَّن ذلك الاسم في سياق خطابه الشهير في المنشية الذي أعلنَ فيه تأميم الشركة العالمية لقناة السويس شركة مساهمة مصرية، بعد أن سحبَ البنك الدولي وواشنطن تمويل السد العالي.

من تلك اللحظة آلت ملكيةُ القناة بكل أصولها ومنشآتها إلى الحكومة المصرية، طبعاً لا شكَّ أنَّ القاهرة في سبيل ذلك خاضت حرباً سياسية عالمية، سبَقَها العُدوان الثلاثي الذي نفَّذتهُ إسرائيل وبريطانيا وفرنسا في العام 1956 والذي أتى بعد إعلان التأميم مباشرةً في سبيل إبعاد يد مصر عن إدارة القناة.

من هنا لا يُمكن رؤيةُ قناة السويس برغم كل امتداد فكرتها تاريخياً وجغرافياً إلا كورقة سياسية واقتصادية رابحة في يد من يمتلكُها، لذا فقد خضعَ المشروع ككل من بدايته إلى مراحل عدَّة تمثَّلت بداية في جسم القناة الذي يمتد إلى ما يقارب 194 كم تنقسمُ خلالها القناة إلى عدَّة أقسام تضمنُ الملاحةَ البحرية فيها ذهاباً وإياباً ضمنَ نظام وضعَهُ ديليسبس وهيئةُ إدارة القناة عقبَ تشغيلها مباشرةً.

عائدات القناة

استمر نظام ديليسبس بصورته الأولى مع بعض التطوير الذي فرَضتهُ ظروفُ مراحل التشغيل خاصَّةً إذا راجَعنا الإحصائيات المتعلقة بمرور السفن لوجدنا أنَّها في ازدياد متواتر حيثُ لم تتوقف القناة عن العمل إلَّا في ظروف قاهرة، خلال الثورة التي قادَها أحمد عرابي، وخلال العدوان الثلاثي وخلال حرب السادس من تشرين، أكتوبر لعام 1973، ضمن هذا المشهد لعبَت قناة السويس دوراً حيوياً في الاقتصاد العالمي عموماً والمصري على وجه الخصوص وصَل إلى أكثر من ملياري دولار في عام 2000 ليقفزَ إلى أكثر من خمسة مليارات في عام 2015.

لا بدَّ من القول أيَّاً كانت الاعتباراتُ التاريخية في نسبة المشروع لفرديناند ديليسبس إلَّا أنَّ حُلُم هذا الرجل وإصرارَهُ دفعَ بالفكرة من على الورق لتكونَ صرحاً عظيماً يَمتدُّ بين بحرَين بفعل السواعد المصرية، وكل ما يمكن أن يكون مستقبلاً من تطوير في جسد القناة وتفرُّعاتها يعودُ في الأصل إلى الطموح الكبير الذي وضعهُ ديليسبس الذي فارق الحياة في السابع من ديسمبر لعام 1894 بعد أن وضعَ على الجغرافية أهمَّ ممرَّين مائيَين في العالم في قناة السويس وقناة بنما.

كاتبٌ شخصياته تعاني الحيرة والقلق والتوق إلى الحرية

فؤاد التكرلي والمثقف العراقي بين اللاسؤال واللاجواب

عواد علي

❏ قبل رحيله في شتاء عام 2008 بفترة قصيرة اعترف بأنه لا يستطيع التعبير عن فصول المأساة المستمرة في بلده العراق، فالوضع هناك يستعصي على أيّ روائي مهما كانت عبقريته، إنه غير معقول، ولا ينطبق عليه حتى وصف العبثية، وأفكار السرياليين تبدو ساذجة تجاه ما يجري.

اعترف بذلك وهو يجيب على سؤال عما إذا استطاعت روايته الأخيرة "اللاسؤال واللاجواب" أن تعكس حال الإنسان العراقي في أقسى المراحل التي مر بها، ألا وهي مرحلة الحصار الظالم البشع، الذي لم يقتصر على الجوانب الاقتصادية فحسب، بل شمل الجانب العلمي والنفسي أيضا.

في مقهى حسن عجمي

في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات كنت أتردد أحيانا، خاصة أيام الجمعة، إلى مقهى "حسن عجمي" ببغداد، الذي كان يرتاده الأدباء وبعض الفنانين والإعلاميين، فأرى التكرلي جالسا إلى جانب صديقه الحميم القاص الراحل موسى كريدي، أسلّم عليهما بخجل شاب لا يزال يتلمس طريقه في عالم الكتابة، وأتذكر أنني تحدثت معه مرة واحدة مبديا إعجابي بروايته "الرجع البعيد" التي كانت قد صدرت حديثا، فابتسم لي وشكرني بتواضع شديد.

بعد 26 عاما التقيته في معرض عمّان الدولي للكتاب، وقدّمت نفسي له فإذا به يعرف اسمي جيدا. يومها كان يعاني من المرض الخبيث، فتحدثنا قليلا عن الرومانسية الناعمة في مجموعته القصصية الأخيرة "خزين اللامرئيات" ونزعة الغوص النفسي فيها كما يشير الناقد محسن جاسم الموسوي في تقديمه لها. وشكرني على مقالة نقدية قديمة كنت قد نشرتها في منتصف الثمانينات عن مسرحية عُرضت في بغداد مكيّفة عن إحدى قصصه.

لعل أفضل مَن رسم شخصية التكرلي هو الشاعر العراقي المغترب هاشم شفيق قائلا "كان التكرلي رجلا خلوقا، مهذبا، هادئا، عالي المقام والرتبة، بجلاء وعيه وندرة تفكيره النيّر ووضوح مراده ومسعاه الأدبي، حين تحاوره لا يرفع من طبقة صوته، فهو إن تحدث لا يتحدث إلا همسا، ولا تستطيع أن تمسك عبر سياق حديثه كلمة غير لائقة، تحاول أن تخرج عن السياق لتخدش طريقة الخطاب، لكن ذلك كله قد تجده في رواياته وقصصه ونثره المستنير والبرّاق، لم يكن غير لبق في الحديث، أو مشاكسا أو متهكما، ساخرا من هذا وذاك، كرفيق طفولته وشبابه الشاعر عبدالوهاب البياتي، إنه العكس تماما، كان مثل صديقه ونظيره الثاني والمنافس الأكبر له في أيام الخمسينات الرائد عبدالملك نوري، ويمكن إضافة غائب طعمة فرمان أيضا إلى الشلة...".

ولد فؤاد التكرلي عام 1927 داخل أسرة عريقة ومثقفة ذات مكانة اجتماعيّة متميزة في محلة باب الشيخ (عبدالقادر الكيلاني) المعروفة ببغداد، وكان جدّه محمد سعيد التكرلي نقيبا لأشراف بغداد. تخرج في كلية الحقوق عام 1949، وعُيّن "كاتبا أول" في محكمة بداءة بعقوبة، ثم عمل محاميا، وتولى مناصب قضائية كثيرة في العاصمة حتى أصبح قاضيا في محكمة بداءة بغداد عام 1964، لكنه لم يلبث في هذا المنصب طويلا، إذ حصل على إجازة دراسية في فرنسا وعاد بعد سنتين ليعمل خبيرا قانونيا في وزارة العدل، واستمر في عمله إلى أن طلب إحالته على التقاعد عام 1983. وفي عام 1990 غادر إلى تونس ليستقر مع زوجته التونسية الكاتبة والمترجمة رشيدة التريكي.

عالمه القصصي والروائي

بدأ التكرلي بكتابة القصة القصيرة في سن مبكرة، لكنه نشر أول قصة له عام 1951 في مجلة الأديب البيروتية بعنوان "همس مبهم"، وأصدر ثلاثة مجاميع قصصية هي: "الوجه الآخر" (1960) "موعد النار" (1991) "خزين اللامرئيات" (2004).

يجد القارئ أن معظم قصص التكرلي يدور وسط أجواء تسودها الكآبة المظلمة: الشخصيات تعيش في ضياع كبير، وتعاني من الحيرة والقلق النفسي، وتتوق إلى الحرية، إلى الخروج من حرج اللحظة التي يكبّلها موقف اجتماعي أو سياسي.

في عام 1948 شرع بكتابة روايته الأولى "بصقة في وجه الحياة"، التي لم ينشرها إلا بعد نصف قرن، واصفا إياها في مقدمته بأنها "ثمرة فجة قطفت قبل أوانها". وعزا تأجيل نشرها إلى أنها تتحدى التابو الجنسي، وتتعاطى مع موضوعة "سفاح المحارم"، لذا لم يكن باستطاعته أن يغامر بنشرها في أواخر الأربعينات ويقضي على مستقبله، وهو لا يزال طالبا في الجامعة، فضلا عن وضعه العائلي الذي كان معقدا آنذاك. وحملت روايته الثانية عنوان "الرجع البعيد" (1980)، وقد استغرقت كتابتها أكثر من عشر سنوات، ثم أصدر ثلاث روايات هي: "خاتم الرمل" (1995)، "المسرات والأوجاع (1998)، "اللاسؤال واللاجواب" (2007)، إضافة إلى حواريات "الصخرة" (1986)، وحواريات "الكف" (1995)، وكتاب "حديث الأشجار" (2007)، وهو الكتاب الأخير ويضم ست قصص قصيرة وست حواريات ذات فصل واحد كتبها في السنوات الأخيرة من حياته.

تيار الواقعية التحديثي

كثيرا ما صنّف النقاد أعمال فؤاد التكرلي القصصية والروائية بأنها تمثل التيار الواقعي التجديدي أو التحديثي في الأدب العراقي أفضل تمثيل، وأنها تحرص على تقديم استقراء لتاريخ العراق المعاصر، خاصة في العقود الخمسة الأخيرة، وشخصياته كلها من الواقع الرافض كل قيد.

لكن التكرلي لم يرق له وصفه بأنه كاتب واقعي لأن في ذلك تحديدا وتضييقا لا فائدة منهما، وكان يرى أن الواقعية، بالنسبة إليه، ليست قانونا أو مذهبا ملزما، بل هي عملية تزوّده بالمادة الخام لأعماله القصصية والروائية. وبهذا المفهوم تبقى له حريته الداخلية لتشكيل الانسجام بين أفكاره وبين المادة التي يعثر عليها. أما صفة الحداثة والتجديد فكان يقر بها ويدافع عنها إلى درجة أنه نسبها إلى القصة القصيرة فقط دون الشعر، خاصة في العراق، ذاهبا إلى أن هذا النوع السردي كان يؤسس، في الخمسينات، موجة حداثة غير مسبوقة في العالم العربي، لكن قلّة من النقاد من التفت إليها لأن الثقافة العربية تحتفي بالشعر، رغم أن موجة الشعر الحر في العراق محض حركة مفتعلة، من وجهة نظره، ولم تأت بجديد، وكل ما أحرزته من تمجيد في العالم العربي سببه الدعاية فقط، وطريقة شعرائها (السياب، والملائكة، والبياتي) في الإعلان عن أنفسهم.

تدور أحداث رواية "الرجع البعيد" في الأشهر الستة التي سبقت انقلاب 8 شباط 1963 في العراق، متوزعة بين مدينة بعقوبة وبغداد، وهي فترة حساسة أنتجها المخاض السياسي والتناقضات الاجتماعية والصراع الأيديولوجي، الذي لم يخل من العنف الدموي. ورغم أن الرواية تغوص في العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الواحدة وامتداداتها في القرابة والتزاوج، فإن شخصياتها، وهي كلها من الطبقة الوسطى (البغدادية) المتعلمة الفقيرة، والجاهلة الميسورة، ترمز إلى انتماءات أيديولوجية كانت سائدة في تلك المرحلة.

لقد دُرست هذه الرواية من منظورات مختلفة، وعدّها أحد النقاد "واحدة من أنجح الأمثلة العربية لما يسمى بالرواية متعددة الأصوات (البوليفونية)، مؤكدا أن مهارة التكرلي في السرد رفيع المستوى تستوعب الموضوعات الكبيرة (مثل: التغيرات الاجتماعية، ووضع المرأة في المجتمع التوليدي الذي يهيمن عليه الرجل) لتوليد تأويلات واقتراح استنتاجات مباشرة.

وتشكّل رواية التكرلي "خاتم الرمل" نموذجا للمأزق الوجوديّة التي يعيشها البطل المثقف هاشم، وهو هنا مهندس مرهف الحس، من أبناء الطبقة المتوسّطة، يعمل في بغداد، ويعشق الموسيقى، وينوء بأعباء غربة داخليّة نتجت عن تورّطه نوعا من القلق الذي صاحب نشأته، تضعه على مسافة طويلة من محيطه الاجتماعي، فيؤجّل زواجه من خطيبته إلى ما لا نهاية لأسباب نفسيّة محضة، ويعجز عن فسخ خطوبته في الوقت ذاته، ولذلك يتعرّض لحملات الكلام والتنديد، المبطّن تارة والسافر طورا، من شقيقة الفتاة المخطوبة وأسرتها وطبقتها. وتدفعه تلك الحملات، شيئا فشيئا، إلى الوقوع تحت حصار نفسي واجتماعي. ثم تتحول الحملة ضده إلى تهديدات متوالية ودعوات للإذعان والتخلي عن المخطوبة مؤجّلة الزفاف، وفي النهاية يلقى مصرعه على يد واحد من الطامعين بالفتاة، وهو واحد من أصحاب النفوذ والهيمنة في المجتمع، وأحد أثرياء بغداد الجدد الذين يشكّل أغلبهم طبقة من الرعاع.

ورغم أن هذه الرواية ليست بضخامة "الرجع البعيد" و"المسرّات والأوجاع ، وقد لا يكون لها الامتداد الروائيّ نفسه، فإنها تبدو دالّة على حالة أساسيّة هي أنها تتخذ،

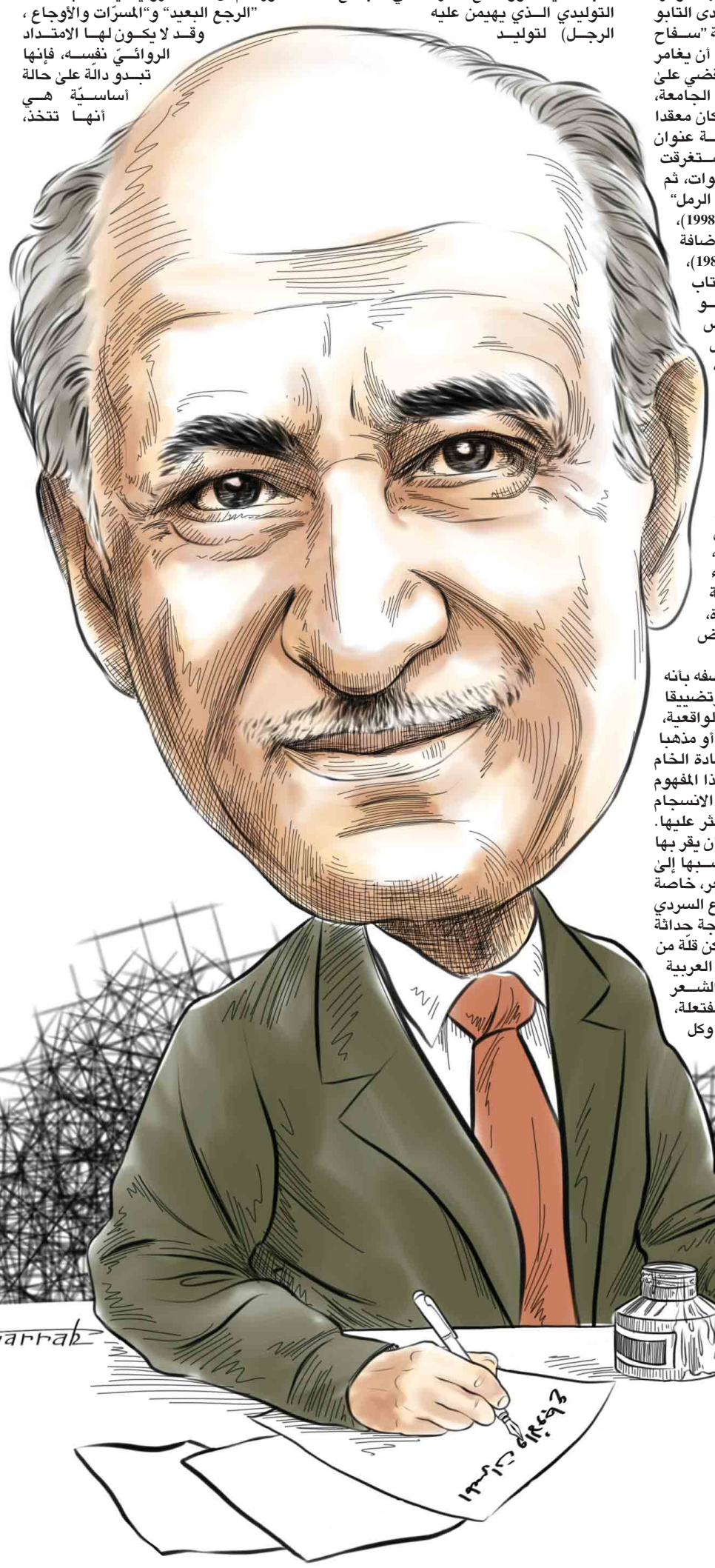

> أفضل من يرسم شخصية التكرلي هو الشاعر العراقي هاشم شفيق حين يقول «كان التكرلي رجلا خلوقا، مهذبا، هادئا، عالي المقام والرتبة، بجلاء وعيه وندرة تفكيره النير ووضوح مراده ومسعاه الأدبي، حين تحاوره لا يرفع من طبقة صوته، فهو إن تحدث لا يتحدث إلا همسا»

بكامل الوضوح في صفحاتها الختاميّة، بعدا احتجاجيّا لا غبار عليه. وهنا يكمن واحد من وجوه الرفض والتمرّد اللاصقة بكل عمل فنيّ أصيل، بمجرّد أنّ يترك المبدع المبادرة لعناصر عمله، تاركا إيّاها تحيا مأزقها العميق من دون توجيه قد تمليه رؤية أيديولوجيّة، قد ينبع من حذر شخصيّ، كما يقول كاظم جهاد.

المسرات والأوجاع

تمثل رواية "المسرات والأوجاع ، التي وصفها صبري حافظ بأنها "رواية العصر الكبرى"، امتدادا لتوغل التكرلي في المزاوجة بين الهمّ الإنساني وبين المراحل التاريخية التي يتصدى لها، ويجعلها خلفية لأبطاله، والوقائع والأحداث التي يصورها. إنها تجسد مرحلة مهمة من تاريخ العراق، خاصة مرحلة الحرب العراقية الإيرانية التي ترصدها على نحو فيه الكثير من الدقة والرهافة. وقد تبدو متسعة في استشراف منحنى زمني وتاريخي طويل ومتشابك لكنها ليست فضفاضة: فتوظيف الاستطراد، وأسلوب كتابة المذكرات، والانتقال من شخصية إلى شخصية ومن جيل إلى آخر، وتعددية الأمكنة، وتنوع جذور الصراع وموجهاتها بدت منسجمة تحيل بعضها إلى بعض ضمن بنية سردية هيمنت عليها تجليات الواقع. وقد تحولت هذه الرواية مؤخرا إلى فيلم سينمائي روائي أخرجه شيخ السينمائيين العراقيين محمد شكري جميل، وكتب له السناريو ثامر مهدي.

اللاسؤال واللاجواب

من مرحلة الحرب في "المسرات والأوجاع ، ينتقل التكرلي في روايته الأخيرة "اللاسؤال واللاجواب" إلى مرحلة عصيبة من تاريخ العراق الحديث في منتصف التسعينات الماضية، مستعيدا الجرح الذي خلفه الحصار على الشعب، وراصدا فيها نصف سنة من حياة أسرة بغدادية، تعيش تحت خط الفقر، تتكون من أربعة أفراد هم المعلم وزوجته وابنتاهما، يقتسمون القليل من أرخص الطعام، والكثير من متاعب الحياة اليومية المحاصرة. ويضطر الأب إلى العمل سائق سيارة أجرة من السادسة مساء حتى منتصف الليل. ونكتشف من خلال هذه الأسرة تحولات العراق كله، فهي تعد نموذجا لأغلب الأسر العراقية التي عانت من صنوف القهر والحرمان نتيجة الممارسات السياسية الحمقاء للنظام، كما يلمّح التكرلي في أكثر من موقع. هذه التحولات الدراماتيكية أحدثت شرخا في بنية الأسرة العراقية، ثم جاء الحصار الجائر ليكمل فصول المأساة. ففي الوقت الذي لم يؤثر فيه هذا الحصار على النظام وأعوانه الذين كانوا "يرفلون في النعيم"، كان الأطفال العراقيون يسقطون مرضى الجوع ونقص التغذية، وكان الشعب يموت قهرا، فـ"العالم كله يجتمع ليقتل شعبا بأكمله، يقتله جوعا وحرمانا...".

في ظل هذا الجور والظلم، يعثر بطل الرواية على كنز من المجوهرات في أثناء عمله الليلي على التاكسي، وبعد تردد وحيرة يحتفظ بها لنفسه كي يتغلب على قسوة الأيام وضنك العيش فيتبدل وضع الأسرة مسكنا ومعاشا إلى الأفضل، لكن الهواجس المقلقة تبقى ملازمة له، وفي النهاية يجد نفسه، في ضوء الفجر الكابي، متكوّما في إحدى زوايا الغرفة الواسعة ذات الأثاث الجديد، ملتمّا على نفسه كحشرة قبيحة في مصيدة، مثل غريغوري سامسا بطل رواية "المسخ" لكافكا، داخلا مرة أخرى في عالمه الثاني الذي لم يخرج منه.

> روايته الأولى «بصقة في وجه الحياة»، يؤجل التكرلي نشرها نصف قرن كاملا، واصفا إياها في مقدمته بأنها «ثمرة فجة قطفت قبل أوانها». ويعزو تأجيل نشرها إلى أنها تتحدى التابو الجنسي، لذا لم يكن باستطاعته أن يغامر بنشرها في أواخر الأربعينات ويقضي على مستقبله

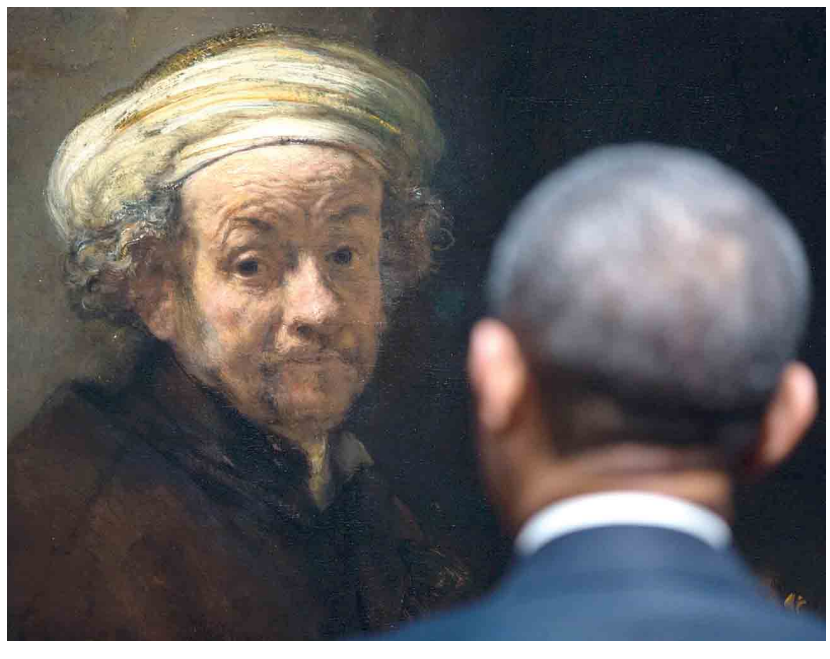

هل أمسك رامبراندت هاتفا ذكيا وصور نفسه؟

الصورة السيلفي في الذاكرة ويوميات الإنسان حول العالم

علي سفر

❏ معرض عن سيلفي القرن السابع عشر، يرد في خبر عابر في الوكالات، ويقول إنه سيعرض لوحات سيلفي رسمها كبار الفنانين في العالم، قبل قرون، يمكن اعتبارها "سيلفي" منوهاً إلى أنه سيفتتح أبوابه في يوم 8 أكتوبر في موريتشيوس Mauritshuis التي تضم إحدى أهم مجموعات العصر الذهبي للفن الهولندي في العالم ويستمر حتى الثالث من يناير من العام القادم 2016.

هذا الخبر يقود الإنسان لتذكر عمل المفكر الفرنسي الراحل ميشيل فوكو في كتابه الرصين "الكلمات والأشياء" الذي تركز على القيام بتحليل بصري تأويلي من نوع ما، للوحة "الوصيفات/ Las Meninas" للفنان الإسباني دييغو فيلاثكيث والتي رسمت في العام 1656.

تلك اللوحة التي طالما اعتبرت من أكثر اللوحات قيمة فنية ومعرفية في التاريخ. حيث أطلق عليها الرسام الإنجليزي توماس لورنس تسمية "فلسفة الفن". وجعلها فوكو من خلال قراءة بنيتها المشهدية مدخلاً لفهم التحول الذي بدأ يصيب التفكير الأوروبي العام في المرحلة التي رسمت فيها.

تصوير الذات

قراءة البعد الفلسفي في المنتوج الفني المرئي، والخروج من هذه القراءة لبناء تصورات عامة، عملية شاقة، ولكنها ممتعة في آن معاً، إذا ما تمّ الارتكاز إلى تحليل المرئي بدقة، وبما يجعل المشاهد العادي لهذا المنتوج يدرك أن نظرته الأولى للوحة كمثال، هي نظرة سطحية حكماً، إذا لم يدقق بالتفاصيل البنائية.

ولهذا فإن ما يأخذه قارئ فضولي غير مهتم بالفلسفة من تحليل فوكو للوحة "الوصيفات"، يتكرس في ضرورة أن يتعمق مرات ومرات في اللوحة.

ليس فقط في هذه اللوحة التي أدى تعقيدها وغموضها ومدى المعاني التي قد تستوحى من شخصياتها المرسومة وزوايا رسمها، إلى جعلها إحدى أكثر الأعمال التي تمت الإشارة إليها في تاريخ اللوحات الفنية، بل أيّ لوحة أو صورة، وما ينطبق على العمل الذي اختاره فوكو ليدلل على ركيزة "التشابهات" الراسخة في الفكر الغربي، ينطبق أيضاً على كل المرئي الذي يستغرقنا، فنحن وللأسف أسرى للقراءة السطحية للمرئي، ولظواهره أيضاً، ونحن مهووسون بالإحالات السريعة، فكل شيء قابل للتفسير وفق تأويلات محدودة، ولكنها معممة ومسوّقة بطريقة تفتك بالاحتمالات المتعددة للتأويلات الأخرى.

ربما يكون هذا هو التعبير الأشد صراحة عمّا نتعرض له حين نقارب ظاهرة بسيطة تحولت إلى هوس بشري عالمي، كظاهرة صور "السيلفي"، فكل القراءات التي عالجت الأمر، نظرت إليه من خلال كونه وباء بشريا غير مؤذٍ، قد يؤدي إلى وقوع حوادث عابرة لمن يخاطرون بالتصوير الشخصي في مواقع خطرة، وبعض هذه القراءات توقف عند عملية التسويق الشخصي، وخاصة تلك التي تمارسها النساء بعد إجراء عمليات التجميل، ولعل أشد القراءات نزوعاً إلى القسرية، ووضعها على "سرير بروكست"، هي تلك التي جعلت من هواة تصوير السيلفي والمكثرين منه تحديداً مرضى نفسيين.

فبحسب دراسة أجرتها الرابطة الأميركية للطب النفسي APA، فإن انتشار هذه الظاهرة يعد مؤشراً على الإصابة باضطراب عقلي تمت تسميته بـ"selfitis" يعكس رغبة جامحة في "التعويض عن انعدام الثقة بالنفس وفجوة في العلاقة الحميمة لدى من يمارسها.

وقد يتهم البحث المبالغ فيه عن تأصيل من نوع ما للظاهرة، بالتفكير السطحي، على عكس ما يفترض الكثيرون، وربما يرى البعض في هذا القول حكم قيمة على تلك الجهود التي بذلت لإثبات أن ظاهرة "السيلفي" كما تتم حالياً ليست بجديدة، بل ترجع إلى عام 1926 وهي تعود لزوجين بريطانيين يمسكان بأداة مثل عصاة السيلفي، ويصوران نفسيهما في أحد الشوارع. خاصة وأن تاريخ التصوير قد تحدث مراراً عن تلك الصور التي كان المصورون يلتقطونها لأنفسهم من خلال جعل الكاميرا تلتقط مشهدهم وهم يقفون أمام المرآة.

قاموس أوكسفورد الإنكليزي المرجعي لم يذهب إلى أيّ شكل من أشكال المبالغة حينما تعاطى مع تعبير سيلفي (كلمة العام 2013) وأعطاه تعريفاً توصيفياً محدداً يقول بأنه "صورة ملتقطة ذاتياً بواسطة هاتف ذكي أو (ويبكام) وتنشر على مواقع للتواصل الاجتماعي"، فقد بني التعريف من خلال ارتباط هذه الظاهرة، بظاهرة أخرى هي ظاهرة "مواقع التواصل الاجتماعي" التي غيرت ومازالت، الكثير من أشكال التواصل بين البشر، كما أنها مكنت جميع البشر من اعتلاء المنبر الشخصي، لممارسة القول، عبر اللغة وعبر الصورة.

مشروع المتحف الهولندي

التفكير البشري عموماً مازال رهين أطر عامة كالتقابلات والتشابهات والمطابقات، وبحسب فوكو الذي ركز محرقه التحليلي على الفكر الغربي، فإنه "حتى نهاية القرن السادس عشر، لعب التشابه دور الباني في المعرفة الثقافية الغربية، فهو الذي قاد في جزء كبير تفسير النصوص وتأويلها، وهو الذي ينظم لعبة الرموز، وسمح بمعرفة الأشياء المرئية، واللامرئية، وقاد فن تمثيلها وتصوّرها".

وضمن هذا السياق يمكن فهم سعي المتحف الهولندي لكشف أن جذور ظاهرة التصوير السيلفي ترجع إلى قرون مضت، وتحديداً إلى القرن السابع عشر، من خلال معرض ينوي إقامته في لاهاي، يقدم فيه مجموعة لوحات هولندية رسمها فنانون كبار لأنفسهم حيث كان تصوير اللوحة الشخصية شائعاً بشكل خاص بين الرسامين الهولنديين في تلك الفترة. ورسم رامبراندت وحده العشرات من هذه اللوحات على مدى حياته. من بينهم إضافة إلى رامبرانت نجد يان ستين وكارل فابريتوس وجيرار دو.

بيان المتحف عن هذا المعرض وكما نقلت وكالة رويترز يقول "إنه في الوقت الذي يستطيع أي شخص يملك هاتفا ذكيا التقاط صورة سيلفي اليوم فإن رسم صورة شخصية للذات كان في الماضي انعكاساً للمهارة العالية". ويضيف البيان "لكنّ هناك شيئاً واحداً ظل دون تغيير: هو حقيقة أن صانعي الصورة الشخصية عليهم اختيار الشكل الذي يريدون أن يبدوا عليه".

> الدراسة التي أجرتها الرابطة الأميركية للطب النفسي APA، تؤكد أن انتشار ظاهرة التقاط الصورة للذات، تعد مؤشرا على الإصابة باضطراب عقلي تمت تسميته بـ«selfitis» يعكس رغبة جامحة في «التعويض عن انعدام الثقة بالنفس وفجوة في العلاقة الحميمة لدى من يمارسها»

التدقيق في إحالة السيلفي إلى اللوحات الشخصية (البورتريه) يبدو أشبه بعملية تسويقية تجارية أكثر منه بحثاً في جذور ظاهرة السيلفي، ففن البورتريه قائم بذاته، وقيام الفنانين برسم ذواتهم يأتي ضمن هذ السياق، كما هو حال المصورين الفوتوغرافيين الذين يصورون الوجوه، ولكنهم يصورون أنفسهم من خلال الكاميرا ذاتها والتي يتم توقيت التقاطها وحدها للصورة أوتوماتيكاً، أو من خلال الوقوف أمام المرآة وجعل الكاميرا تلتقط الصورة الظاهرة فيها.

ما فعله فيلاثكيث في لوحته هو تغيير في منطق التعاطي مع المرآة، فبينما كانت المرايا في لوحات الفن الهولندي بحسب فوكو "تلعب دور المزاوجة : فهي تكرر ما سبق أن قدم للمرة الأولى في اللوحة، ولكن داخل مكان غير حقيقي، معدّل مقلص، منحن. وكنا نرى فيها الشيء نفسه الذي نراه في ابتداء اللوحة، ولكن يكون مفككاً ومركباً من جديد وفق قانون آخر"، فإن فيلاثكيث، الذي وضع نفسه (ضمن منطق السيلفي التشكيلي) داخل إطار مرآة، تنقل ما يجب على اللوحة أن تحتويه في إطار كونها تصوره.

لنفكك الأمر من زاوية السيلفي ذاته، فما فعله رامبراندت حين قام برسم نفسه كبورتريه من خلال النظر في المرآة يشبه راهنا قيام الشخص بتصوير ذاته من خلال المرآة، ولكن الفضاء الذي يحيط بهذا الشخص، يبدو منعدماً لدى رامبراندت فكل ما يظهر خلفه هو فضاء لوني مجرد. بينما تقترب لوحة فيلاثكيث من صورة سيلفي أكثر حيوية ونشاطاً رغم أنها تقوم على نقل ما يقف أمام المرآة.

ومن خلال المقارنة بين سيلفي رامبراندت وسيلفي فيلاثكيث، نجد أنفسنا نذهب إلى السؤال: هل تمثل لوحات البورتريه للفنانين الهولنديين، أصلاً من نوع ما للصورة السيلفي؟ ربما يجيب البعض بنعم، في حال كان المعيار هو قيام الفنان/المصور برسم نفسه وتصويرها. غير أن تجاوز هذه المعيارية نحو معايير أخرى بحسب التعريف الذي قدمه قاموس أوكسفورد الإنكليزي المرجعي، يجعلنا نجيب بلا.. لوحات الفنانين الهولنديين ليست من أصول السيلفي، كما أن لوحة فيلاثكيث ليست صورة سيلفي جماعية، رغم أن الفنان قد رسم نفسه فيها وحوله حاشية من القصر. مسألة البحث عن الأصول هنا لا يجب أن تفسر فهمنا لأن يذهب في هذا الاتجاه، بناءً على نوابض التشابهات الراسخة في الفكر، لأن الظاهرة أبسط بكثير من كل هذا الاجتهاد. ربما يكفينا أن نراجع قواعد التقاط الصورة السيلفي، كي نرى الفرق بين ظاهرة عامة يمكن لأيّ شخص أن ينضم إليها، وبين أن يشتغل الفنان التشكيلي على البورتريه الشخصي، ضمن سياق عمل إبداعي كرس له جزءاً كبيراً من حياته.

موقع wikihow وبيساطة علمية ومعرفية، أقل بكثير جداً، من كل ما ذهبت إليه تأويلات الجميع، يقدم لهواة التصوير السيلفي عدداً من القواعد التقنية الموجبة، من أجل صورة متقنة، ومن بين هذه التعليمات التي ترجمها موقع (ثقف نفسك) تنبيهات خاصة أو وصفات جاهزة بزوايا التصوير، يقول فيها "خذ زاوية جيدة: قم بتجربة زوايا مختلفة بدلاً من التقاط الصورة وأنت وجهاً لوجه مع الكاميرا، لإظهار المزايا الخاصة بك، مل قليلاً إلى اليمين أو الشمال أعلى برأسك قليلاً بعيداً عن الكاميرا حتى تبدو عيناك أكبر وتبدو بأنف أصغر حتى تتجنب أن يبدو أنفك كأنف الخنزير بالصورة، ويجب

> المتحف الهولندي يسعى لكشف جذور ظاهرة التصوير السيلفي وإثبات أنها ترجع إلى قرون مضت، وتحديدا إلى القرن السابع عشر، من خلال معرض ينوي إقامته في لاهاي، يقدم فيه مجموعة لوحات هولندية رسمها فنانون كبار لأنفسهم

أن تتعرف على الجانب الجيد الذي يكون به شكل وجهك أجمل بالصورة، فقم مثلاً بأخذ صورة لوجهك في هذا الوضع لتتأكد من أن الصورة سوف تكون جيدة بهذا الاتجاه".

تعليمات للسيلفي

لعل الطريف في تنبيهات الموقع، أن جوانبها الفنية، تبدو وكأنها قد كتبت لتتعارض مع كل ما قاله الباحثون عن أصول السيلفي في اللوحات الفنية، لنقرأ:

"هناك بعض الفنيات التي يجب أن تنتبه لها في كيف تصور سيلفي:

■ يجب أن يتم التقاط الصورة في أمكنة ذات إضاءة جيدة، لتضمن أن تكون الصورة التي ستلتقطها كاملة الوضوح، فيمكنك الاعتماد على ضوء الشمس أو فلاش الكاميرا مثلاً، أو إضاءة جيدة بالغرفة إذا كنت في مكان مغلق.

■ استخدم الكاميرا الخلفية للموبايل: حيث أن بعض الهواتف المحمولة يكون لها كاميرا خلفية، وكاميرا أمامية، فاحرص على استخدام الكاميرا الخلفية لصور السيلفي، حيث أن نسبة الوضوح تكون أكبر من الكاميرا الأمامية.

■ لا تستخدم المرآة عند التقاط الصورة، إلا إذا لم يكن هناك حل غير استخدامها، كأن تقوم بالتقاط صورة كاملة لجسدك مثلاً.

■ اهتم بخلفية الصورة، وأحرص على أن يكون خلفك مشهد جميل وهادئ سواء زهور أو أشجار أو غيرها من المناظر أو الطبيعة.

■ كن حذراً حتى لا يكون وراءك بالصورة شيء يجعلها قبيحة، بأن يظهر شخص يمر من خلفك بالصورة، أو أن يكون هناك كلب نائم وراءك، أو أن يكون أخوك الصغير واقفاً أو نائماً بجوارك مثلاً.

■ صور السيلفي ليست لشخص واحد فقط، بل يمكنك أن تقوم بالتقاط صورة سيلفي لك ولأصدقائك معاً بأشكال ومناظر جميلة وجذابة".

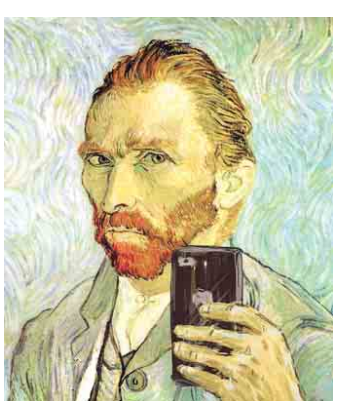

الرسام الذي يضحكنا في كل لحظة بكاء

ناجي العلي وحنظلة الذي اخترعه ليبقى بعد اغتياله

فاروق يوسف

❑ هل كان ناجي العلي يغار من حنظله أم يغار عليه؟ بطريقة أو بأخرى يمكن أن تكون العلاقة بين الاثنين موضع تساؤل بالنسبة إلى حنظلة هو الآخر. فقد يكون ذلك الصبي الذي لن يكبر (عمره كان دائما عشر سنوات) هو الذي اخترع ناجي بالقوة نفسها التي كان ناجي قد ورطنا من خلالها به فصار جزءا من ذاكرة الثقافة العربية البصرية.

الجزء الذي ينتمي إلى الضمير من جهة قدرته على التقاط أكاذيبنا الصغيرة واللعب بفضائحنا التي كان ناجي يسلّينا بها، من غير أن يبتسم.

لم تكن العلاقة بين الاثنين تستجيب لصفتي الصانع والصنيع دائما. فالرجل الذي لم يكن يكتم سرا كان قد أضفى على منافسه في التمرد كل صفات الابن الغاضب الذي لم يعد يطيق أن يرانا فأدار ظهره لنا.

حنظلة في المرآة

ولأن حنظلة لا ينتمي إلى سلالة الأبطال التقليديين فإنه مثلما لم يكن مشاركا في الحكاية التي كانت رسوم العلي ترويها لم يكن أيضا مجرد شاهد، مثله مثل ناجي نفسه. وجوده كائنا افتراضيا لم يقف بينه وبين أن يمارس أثره في التحريض والمعارضة والسخرية من مفردات فقه السياسة العربية الذي كان يُستعمل لغة.

نجح ناجي في تعرية أسلوبها المتحذلق. ذلك الأسلوب الذي ينطوي على الكثير من الكذب. ولكن أما كان حنظلة في لحظة من اللحظات المرآة التي حاول ناجي أن يرى فيها خفته، غير أن المرآة فاجأته حين كانت وفية لقرينه فأظهرت ذلك القرين الذي صار أكثر شهرة منه؟

نخطئ حين ننساق وراء الفكرة التي تجعل من حنظلة توقيعا لناجي. بالدرجة نفسها نخطئ حين نظن أن الاثنين كانا واحدا. كانا كذلك في لحظة مزدوجة.

> ناجي العلي يقترح طرقا للعيش في الأوقات العصيبة، فهو لم يتعلم الرسم ولن يتعلمه. كان في طفولته يرسم على جدران المخيم وحين كبر قليلا صار يرسم على جدران ثكنات الجيش اللبناني حين يتم اعتقاله، أما حين انتقل إلى الورق فقد حدثت معجزة لقائه بالكاتب غسان كنفاني

يوم غادر ناجي مع أهله قرية الشجرة في فلسطين عام 1948 وكان عمره عشر سنوات ويوم ظهر حنظلة عام 1969 صبيا بعمر العشر سنوات هو الآخر. ولكن حنظلة الذي أدار ظهره لنا بعد أن شبك يديه عام 1973 كان قد انفصل عن أبيه الفني، بل انتصر عليه حين قرر أن لا يكبر. الصبي الذي غادر قريته مجبرا بعمر العشر سنوات سيكون قادرا على العودة إلى بيت أهله بالعمر نفسه الذي غادره فيه، فيما كان ناجي عاجزا مثل أيّ إنسان آخر على القيام بذلك. كان حنظلة ورطة ناجي العلي في خياله الذي لم يعد في إمكانه أن يخلق صورة خالية من ذلك الصبي. ستكون مساحته جاهزة للنظر حتى وإن لم يظهر. وقد لا أكون مبالغا حين أقول إن التعرف على ناجي كان يتم من خلال اللقاء بحنظلة.

صار حنظلة هو مَن يقودنا إلى ناجي وليس العكس. لقد نسي الكثيرون وجه ذلك الصبي الذي يشبه صبارة صحراوية، لطالما تمنى الكثيرون أن يلمسوها غير أنهم يعزفون عن ذلك بسبب خشيتهم من أن تجرحهم.

تلك الصبارة

كان وفيا لفلسطين غير أنه لم يكن لأحد. كان هو اللاأحد بذاته. الرجل الذي اكتشف أن الفن وحده يقول الحقيقة من خلال لا انتمائه إلى جماعة بعينها. لذلك كانت الأسرار التي تقع بين يديه هي مشروعه الذي لا يقبل التأويل. وحده كان ذلك اللاأحد الذي لم ترق له كل تلك الاستعراضات الثورية التي كانت تسمّم حياة الناس بالتهريج والترويج للثورة من خلال شعارات تبين في ما بعد أنها كانت زائفة. كان وحيدا لأنه اختار أن يكون مثل قرينه حنظلة ذلك اللاأحد الذي لن يكون مضطرا إلى أن يضع قناعا على وجهه، كونه قد أدار ذلك الوجه عنا ولم يعد في إمكاننا أن نراه. كم كان حنظلة ضروريا لناجي العلي من أجل أن يأنس بوحدته.

كان ناجي وحيدا مثل فلسطين، لقد عرفه قليلون، أما الأكثرية الساحقة فقد كرهت حنظلة. أكان من الممكن أن يختفي حنظلة من غير أن يُقتل ناجي العلي؟ ولكن المشكلة تظل قائمة بالنسبة إلى القتلة وإن لم يستوعبوا الدرس جيدا. ذلك لأن حنظلة ليس ناجي العلي الذي اختفى. فلئن مات ناجي أو قتل فإن حنظلة سيظل موجودا، ليس لأنه كائن افتراضي لا يمكن الإمساك به، بل لأنه صار ضميرا لثقافة التمرد والرفض المقاطعة لسياسة المرثيات الجنائزية المكللة بالورد. لم يكن صبار حنظلة أقل حنوّا على الورد من جوقة الموسيقى التي كانت تدوس على الورد من أجل أن تستلهم صورته. وحده ابن عين الحلوة كان قد تعلم الدرس جيدا.

لم يكن لديه ما يقدمه لسوق الضحك. كان الرجل يكتب من خلال رسومه الساخرة سيرته. وهي سيرة وجعه وعاطفته وعذابه وتشرده ويأسه وشكه وارتباكه، غير أنه في الوقت نفسه كان يتخيل ما لم يقع من وقائع تلك السيرة. كل نبوءة وقعت على سطوح أوراقه كانت قد وجدت طريقها إلى الواقع بعد غيابه. كان ناجي رجل النبوءات التي سيثبتها الواقع باعتبارها بداهات عيش كئيب.

كان ناجي العلي قد اقترح طرقا للعيش في الأوقات العصيبة، لم يتعلم الرسم ولن يتعلمه. كان مثل قرينه حنظله يفرض طريقته التي لا مهرب من اتّباعها باعتبارها وصفة كتبت بحبر سري. كان في طفولته يرسم على جدران المخيم. حين كبر قليلا صار يرسم على جدران ثكنات الجيش اللبناني حين يتم اعتقاله لأيام ومن ثمة يُفرج عنه، أما حين انتقل إلى الرسم على الورق فقد حدثت معجزة لقائه بالكاتب غسان كنفاني الذي اكتشفه ونشر رسومه في مجلة (الحرية). يومها اكتشف ناجي أنه كان محظوظا حين فشل في دراسة الرسم. كان قدره يعده بمكانة مختلفة ستجعل منه سيد الرسم الساخر في عصره. كان تمرده أكبر من الرسم لذلك ظل متمردا عليه. بالنسبة إليه يومها فقد كان كل شيء غير الثورة عبثا، غير أنه لم يكن ذلك الشاب الذي يمكن توقعه منضبطا في إطار منظمات الثورة.

يقول "أنا غير راض عن الثورة. فلسطين في حاجة إلى ملائكة"، كان الكثير من متعهدي الثورة يعتبرونه رمزا من رموزها المؤثرة إعلاميا، غير أنه كان يعتبر نفسه رمزا للأحد. ذلك اللاأحد الذي كان حنظلة يمثله. يقول "حاولوا أن يجعلوني رسام القبيلة" عن أي قبيلة كان الفنان يتحدث وقد صارت تلك القبائل كلها تعتبره عدوا لها؟ ولأنه كان يعتبر نفسه مبشرا بالثورة، فقد كان انحيازه واضحا، وهو انحياز لم يكن مفهوما بالنسبة إلى المثقفين الذين لم ينتم إليهم إلا بطريقة مجازية. كانت رسومه تحرجهم، بالرغم من أن البعض منهم كان يحتفظ بها باعتبارها بوصلة لا تخطئ. مشكلتهم معه وفيه أنه لم يكن يُضحك. كان يضحك وحده من أجل أن يُغيظهم حين يصفعهم بالحقيقة. لقد تدرّب على أن يكون انتحاريا عن طريق الرسم. لذلك لم يكن لديه ما يخسره. ولكن أما كان صعبا أن يُرسم الألم بطريقة لا تحيّده؟ وحدها رسوم ناجي العلي يمكنها أن تجيب على سؤال من ذلك النوع.

رسام حرر الكاريكاتير

يعترف ناجي بتلصصه على رسوم أباطرة الكاريكاتير المصري واللبناني، غير أنه كما أرى لم يتأثر بهم. يقول "لقد تأثرت بهم" وما من شيء يدل على ذلك. ربما قال جملته تلك لتأثيث وجوده في منطقة، يعرف أنها لن تقبل به نزيلا. يبدو ناجي كما لو أنه خرج من فراغ. خطوطه لا تذكر بخطوط أحد كما أن حكاياته التي تدعو إلى التأمل نادرا ما تسبب الابتسام. لقد وهب ناجي العلي فن الكاريكاتير وظيفة جديدة، صارت في ما بعد واحدة من صفاته: أن يكون جادا وحزينا بما يلائم الواقع. ناجي هو مخترع طريقة في الرسم ونظرية في التفكير كما لم يكن هناك أحد قبله.

هل حرر ناجي فن الكاريكاتير من الضحك الأبله ليهبه رصانة البكاء الأعمى؟

ما يجب علينا ألا ننكره من أجل أن نكون منصفين أن هناك لحظة في تاريخ فن الكاريكاتير هي لحظة ناجي العلي. وهي اللحظة التي تفصل ما قبلها عمّا بعدها.

لقد بدا أن كل ضحك قبلها كان مجرد تهريج وكل بكاء بعدها كان مجرد صدى. لقد قلده الكبار ولكنهم لم يتمكنوا من احتواء وإعادة صياغة دموعه. وهي دموع حنظلة التي لم يرها أحد سوى ناجي نفسه.

لقد غير ناجي العلي طريقتنا في النظر إلى الرسم الصحفي. لم يكن حنظلة حيلته الوحيدة في ذلك. كانت صورته عبارة عن مسلسل من الصور المتلاحقة. مجموعة من الوقائع المتلاحقة تضمها صورة واحدة لتكون في النتيجة خلاصة فكرة. وهي فكرة تمتد من اليمين إلى اليسار باعتبارها خطوة مشي واحدة. كان ناجي العلي يمشي ليلحقنا به، أكان ضروريا بالنسبة إليه أن يتخلى عن زمنه الفلسطيني ليكون عربيا كما هو؟

الثورة عنوانه غير أنّه كان عدوا للصوصها، فقد كان ناجي مضطرا إلى أن يصنع مسافة بينه وبين الثورة بزيّها الرسمي. وإذا ما كانت الثورة هي عنوانه الوحيد فإن ثورته لم تكن قادرة على أن تجمعه بثورة الآخرين إلا في الإطار النظري العام. وهو إطار تضج به الكتب ولكنه غالبا ما يخطئ طريقه إلى الواقع. ولكن علينا أن نتمهل في استعمال المفردات. ذلك لأن ناجي كان قد تمرد على الواقع، بطريقة لا تقبل سو الفهم، لذلك كان على الواقع أن يقتص منه. لم تكن رسومه تكتفي بإظهار قبح ذلك الواقع، بل تندد أيضا بمَن انحرف بالواقع عن واقعيته ليجعله قبيحا. وبذلك يكون ناجي قد صنع عدوا كان يقف على ضفتين. ضفة يدافع فيها عن واقع اعتبره الآخرون خياليا وضفة كان قد تمرد فيها على الواقع من جهة كونه خيانة. من وجهة نظرهم لم يكن ناجي واقعيا. ولكن مَن هم؟ سؤال مخاباراتي كانت رسوم ناجي العلي قد أجابت عليه.

في لحظة عبث تاريخي وهب فلسطينيو الثورة رسامها صفة عدو. سيقال دائما إن جهل ناجي العلي بكواليس الثورة كان سببا في تماديه. وهو قول فيه الكثير من البلادة والفظاظة والنفاق السياسي. فالثورة بالنسبة إلى ناجي لا كواليس لها. وهي فكرة كانت مصدر حيرة للكثيرين الذين صاروا يتساءلون "مَن أين يستمد الرسام قوته؟" ولقد اتضح حين اغتياله بأنه كان يستمد قوته من لا أحد. وهو ما كان قد فعله في الرسم تماما.

أكبر من النسيان

من غير ناجي العلي سيكون تاريخ الرسم الساخر في العالم العربي مجرد ملهاة، تطوى صفحاتها بطيّ زمانها. برسوم ناجي العلي سيكون من الصعب طيّ صفحات ذلك التاريخ. كانت المشكلات التي عالجها ناجي برسومه أكبر من أن يحتويها زمن بعينه ليذهب بها إلى النسيان حين يأفل. شيء من ناجي سيظل يأسرنا، كما لو أنه وصية. لا أقصد هنا حنظلة الذي سيبقى صبيا في سن العاشرة إلى أن يضع قدميه على عتبة منزل العائلة في فلسطين بقدر ما أقصد الرسم الساخر الذي حرّره ناجي من الضحك الأبله. لقد حرر الرسام شفاهنا من ابتسامات لم تكن ذات معنى، حررنا من سوقية كوننا كائنات أريد لها أن تتخلى عن كرامتها وهي تضحك، وصية ناجي العلي أن نبكي ولا نغفر الخيانة.

> حنظلة يصبح في لحظة من اللحظات المرآة التي يرى ناجي العلي فيها خفته، غير أن المرآة فاجأته حين كانت وفية لقرينه فأظهرت ذلك القرين الذي صار أكثر شهرة منه

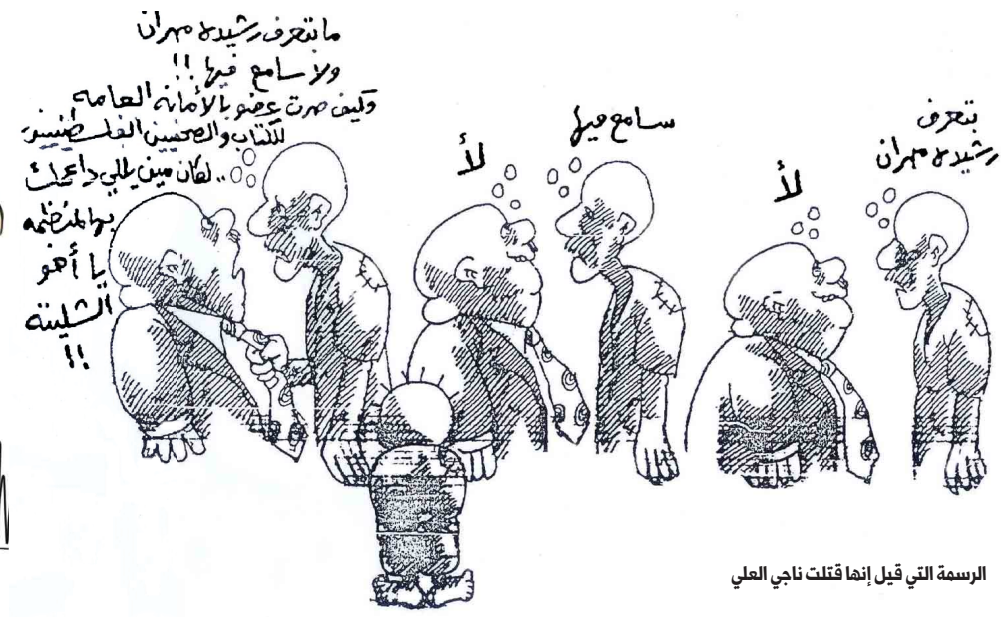

الرسمة التي قيل إنها قتلت ناجي العلي

أيام في كولومبيا

في حضرة أهل الـ«مئة عام من العزلة»

نوري الجراح

❏ الطريق إلى ميدجين الموصوفة بأنها أخطر مدن كولومبيا يمرّ بين جبال صغيرة وكبيرة هبوطا وصعودا، جبال خضراء على طول الطريق، وعلى مدّ النظر. ساعة كاملة يستغرقها الطريق من المطار، نزولا غالبا عبر دروب متعرجة سمقت على جوانبها أشجار يحتاج التعرف عليها على قاموس طبيعي. لكن بعضها هو مما ألفته العين في المتوسط والشمال الأفريقي، كأشجار الوكاليبتوس، والحور والصنوبر، ونباتات شوكية كتلك التي تحمل ثمرة الشوك الهندي، أو الصبار.

عشرة أيام في ميدجين، مدينة المتناقضات، والسكنى في شارع يشق الوسط إلى جهتين أو منطقتين، واحدة يمكنك التجول فيها بحذر، والأخرى، يقال لك إن من الأفضل أن لا تبلغها بمفردك أبدا، ولكن صحبة جماعة من الأصدقاء الكولومبيين.

لكنك لا تصدق، لا تريد أن تصدق أن هذه الوجوه التي تمرّ بك وترتسم فيها ملامح طيبة وحزن وتعب وهموم وطفولة وغيرها من التعبيرات هي لأناس خطرين. مدينة تغصّ بباعة متجوّلين، وآخرين قرّوا عند الزوايا والمنعطفات، تحت الجسور وفي ظلال الأشجار؛ باعة الفواكه الاستوائية بألوانها، باعة الملابس والقبعات والطعام المحلي، يجاورهم باعة الخردة والأدوات المنزلية، وباعة الحاجيات الشخصية والعائلية، أنواع رخيصة من البضائع، الصيني والتايواني غالبا، ومصنوعات محلية، بينها حقائب ومنسوجات، ثم باعة العصير من أنواع الفاكهة المحلية: البابايا والأناناس وجوز الهند والبطيخ والتفاح والبرتقال والمندرين؛ عصائر ملونة طازجة وشهية بحق. وفي الحيطان، حيث كنيسة أو جسر أو حائط مشفى أو بنك، ثمة الغرافيتي يرسم خلفيات ضاجة بالألوان هي الأخرى وفيها فنون تميل إلى التعبير الغرائبي مرات، لكنها تصوّر في مرات أخرى وجوها لمبدعين وزعماء وشخصيات عالمية احتلت حيزا في التاريخ الإنساني والتاريخ المعاصر كهمنغواي، سلفادور دالي، ديستويفسكي، ماركس، غيفارا، بوب مارلي، بابلو نيرودا، بوتيرو، وغيرهم. إنما لن تعدم مع كل هبة هواء عند بعض الأماكن رائحة الماريوانا التي تدوّخ الرأس. فأنت لو كنت من محبي المغامرة وأردت أن تجرّب، فلن تحتاج إلا إلى المرور من جهة معينة وصولا إلى ساحة صغيرة وراء الفندق لتزكم أنفك بما طاب لك من روائحها الفاتنة الفائحة من سجائر المدخنين.

في الطائرة

لم يكن لقائي بأول شاب كولومبي على أرض تلك البلاد الجميلة، ولكن على مقعد الطائرة في السماء. بين مدريد وميدجين، وقد طال الحديث وقصرت الرحلة، خوان، شاب ينتمي إلى الطبقة الكولومبية الوسطى، درس وعاش في أميركا، ويشتغل حاليا في السياحة بروما، ورحلته إلى ميدجين، زيارة عائلية. قلت له إن مقعدي على الممرّ، حيث لطالما فضلت هذا الموقع في الأسفار، لكنه أكّد لي أن هذا مقعده وأن مقعدي بجوار النافذة. ولم أصرّ على كلامي، فقد خطرت لي فكرة عن طول الرحلة وحاجتي إلى أن أنزّه نظري في شيء آخر غير المقاعد ورؤوس الجالسين أمامي ومن حولي. النافذة هي المنقذ من الضجر في رحلة تستغرق 11 ساعة.

بينما الطائرة تستعد للهبوط داعبني صديق الرحلة الكولومبي الإيطالي بقوله: احذر الفتيات الكولومبيات، فاتنات بحق، لكنك وفي أول يوم من العلاقة بفتاة ستكتشف أنك إزاء مشروع متكامل، فأنت المنقذ لها ولأمها وأخيها الصغير وأختها الكبرى وزوج الأخت، وربما لصديقات طفولتها، والجميع يريد أن يودّع القارة اللاتينية ويبلغ أوروبا.

الشعر والآلام

ميدجين، المدينة التي انتزعت من مدن العالم بامتياز لقب عاصمة محبي الشعر. ليس أمرا يمكن تصديقه بسهولة، لو قال لك أحد إن 5 آلاف شخص سوف يتوجهون الليلة إلى ساحة عامة أو فضاء مفتوح ليكونوا جمهورا لشعراء كتبوا قصائدهم بأقلام عزلاء في غرف بعيدة عن صخب الشارع.

ليس أمرا عاديا، ولا يسيرا أن يؤمّ الشعراء مدينة في الأقاصي البعيدة، قادمين من القارات الخمس، ومعهم أصواتهم ولغاتهم، المألوفة والغريبة، لينشدوا بأصوات ولغات بعضها يسمع للمرة الأول في جنبات مدينة لا تخطئ العين جمالها ولا مفارقاتها، حيث السعادة والألم يسيران كتفا إلى كتف في شوارعها الضاجة.

هنا الثريّ والفقير خطوة في السعادة وأخرى في الشقاء. لكن فاكهة المدينة على عربات الباعة بقبعاتهم وابتساماتهم، وألوانها المبهجة تشجعك على اعتبار كل ما هو كولومبي حميم ولطيف. حتى أولئك الذي يقفون عل المنعطفات في الشوارع الخلفية ويسألونك إن كنت ترغب في الماريوانا، أو في شيء أقوى أو أبعد.

وفي الوقت الذي لا يطبع فيه من ديوان الشاعر في غير عاصمة عربية وأوروبية أكثر من ألف نسخة، ولا يحضر أماسي الشعراء في المدن العريقة أكثر من 70 كرسيا، بعضه يشغله حضور أسف ويتيم، ميدجين صنعت هذه المعجزة، وانتزعت لقب عاصمة شعراء العالم. كل من مرّ بهذه المدينة المحاطة بالجبال كما تحيط الأسورة بالمعصم سحر بعلاقة أبنائها بالشعر.

كلنا خلاسيون

أيام خرافية، هنا في ميدجين، وبينما تهب عليك ألوان الغرب اللاتيني، حارة، مموسقة، ومموقعة، بطرب خاص ودلال مبهج، يبعث الحزن اللاتيني اللامع في عيون فقراء المدينة موجة أسى تذكرك بما تركت وراءك في الشرق الحزين، فإذا بالشرق غرب بعيد وبالغرب شرق قريب، وجوه تظن أنك رأيتها في مخيم فلسطيني بلبنان، أو مخيم سوري بالأردن، أو على ضفاف الشقاء الذي لا نهاية له في ما بين العدوتين الشامية والتركية، وبينهما بحر التراجيديا تمخر عبابه الأسماء والحكايات والأقدار البشرية وقد ضاهت ملاحم الميثولوجيا وأسفار التاريخ.

إنها وجوه الموريسكيين والقرطاجيين والدماشقة قبل التغريبة الشامية الكبرى، تستدعيها وجوه الكولومبيين الذين عمّر أجدادهم جنوب القارة الأميركية، بين الجبال، وكذا على الساحل الكاريبي، دم شرقي وغربي يخالط دم أهل القارة المحتفين بالحيوان بوصفه شقيقا، وله في أدعيتهم وفنونهم وعلى ملابسهم صور مدهشة، الكولومبيين الذين أخرجهم غابرييل غارسيا ماركيز إلى فضاء العالم بوصفهم سحر الأرض، وجعل من يومياتهم وتواريخهم وقصصهم الإنسانية سردا لا يضاهى. وكما ساق ماركيز قدر الشاب العربي سانتياغو نصار من شوارع البلدة الكاثوليكية المنسية في جحيم العالم الأرضي إلى روايته المدهشة "حكاية موت معلن"، مكرما بالدم المختلط للكولومبيين الأدب والحياة، كذلك أخرجتني الألفة في وجوه أهل الـ"مئة عام من العزلة" إلى شمس الجمال الإنساني الخليط.

كلنا خلاسيون، بطريقة ما.

الأيام السبعة

بعيدا عن البطولات الشعرية، ولكن قريبا من جمال الحقيقة المدهشة، كان في برنامجي الشعري على مدار عشرة أيام تسع قراءات شعرية، الأولى منها في الافتتاح. وكنت محظوظا أن أكون القارئ الأخير ومن ثمّ يبدأ الحفل الموسيقي، ولسوف أكتشف، مع حلول الموعد، أن الافتتاح الذي شارك فيه 30 شاعرا نصفهم من الكولومبيين، والنصف الآخر كل شاعر من بلد في العالم، سوف يحضره أكثر من 5 آلاف مستمع، ترمى الإبرة بينهم فتُسمع. هل هذا واقع أم حلم مدهش؟

قرأت مقطعا واحدا من قصيدتي "الأيام السبعة" بالعربية، وتركت الفرصة للشاعر ونجم الراب الإسباني من أصل بولوني رافاييل ليتشفسكي لقراءة مقاطع من القصيدة بالإسبانية. ومن يعود إلى التسجيل الحي المصوّر للافتتاح سوف يندهش إلى درجة الانفعال والاحتفاء، والاحتفاء بقصيدة لا يمكن أبدا وصفها بأنها بسيطة اللغة أو سهلة الأخيلة. وقبل مجيء اليوم الأخير، سألني الشاعر لويس إدواردو ريندون، المشرف على القراءات إن كنت أرغب في القراءة في اليوم الختامي. قلت لكنني غير مدرج في البرنامج لكوني قرأت في الافتتاح. فقال إن هناك رغبة لدى الشعراء الكولومبيين في أن أشارك في أمسية الختام. وهكذا كان. والطريف أنني في هذه المرة، أيضا، كنت القارئ الأخير تقريبا، لأن الشاعر الذي تلا كانت معه آلة موسيقية، وكان شاعرا منشدا. والجمهور، كما في الافتتاح، كان آلافا من الشابات والشبان الذين افترشوا الأرض، وأبحروا بأرواحهم وذائقاتهم مع مركب الشعر وأخيلته المبدعة، ومع المواقف الصارخة للشعراء في تعبيرهم عن العذاب الإنساني والكرامة الإنسانية والجمال الإنساني، وفي إقرانهم الشعر بالحرية.

ليس ما تقدّم سوى التحية لما تبقى من مدن الشغف بالشعر، وقد أخذت المدينة المعاصرة بموقف أفلاطون من الشعراء لكن هذه المدن لم تعوّض فكرة الشعر بفكرة الفضيلة، فلا هذا ولا ذاك. لكن الشغف بالحب والجمال والحرية سيبقى ديدن البشر، وما الشعراء إلا صوت هذا الشغف مهما خفت وتوارى في الظل.

المهمة العصيبة

في اليوم الأخير، كانت المهمة العصيبة تقترب، فقد أخذت على نفسي في رحلاتي الشعرية حول العالم أن أصوغ بيانات مؤيدة لنضال الشعبين الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي، والسوري ضد الدكتاتورية الدموية والاحتلال الإيراني لسوريا، وأجمع تواقيع الشعراء على البيانات، هذا ما حدث في سيت بفرنسا 2013، وشيلا في غواتيمالا 2014، والأمر نفسه في ميدجين اليوم. لكن ما بدا طبيعيا في سيت، وسهلا في شيلا، لم يكن كذلك في ميدجين، ففي وقت تتمتع فيه القضية الفلسطينية بشعبية كبيرة في الأوساط اللاتينية هنا، تبدو القضية السورية غامضة ومشوشة ومربكة، وبالتالي تحتاج إلى شرح طويل.

وقع على بيان ميدجين، الذي ترجمه إلى الفرنسية الشاعر التونسي الذي يكتب بالفرنسية معز ماجد، عشرات من شعراء العالم: من تركيا ومنغوليا وكولومبيا وأميركا ومولدافيا وتونس وفرنسا وتايلاند واليونان وشيلي وسوريا وأيرلندا وغيرها. من بينهم: أتاول بهرام أوغلو (تركيا)، مارتن لانغفورد (أستراليا)، دينوس سيوتيس (اليونان)، ستيفانو سترازابوسكو (إيطاليا)، رافاييل لوتشوفسكي (أسبانيا)، رون ريديل (نيوزيلاندة)، بورنبين هانتراكول (تايلاند)، كاتي نيومان (بريطانيا)، دينا روما (الفيليبين)، غالسانسوخ باتار (منغوليا)، معز ماجد (تونس) أيا أيولا أمالي (نيجيريا)، فرنشيسكو ناجيرا (غواتيمالا)، كريستينا تورو (كولومبيا) ماريا أوغوستينا هانشو (مولدافيا)، ألفارو إينوسترازا (شيلي) فريدي شيكانغانا (كولومبيا – من السكان الأصليين)، نوري الجراح (سوريا).

وحمل البيان العنوان التالي "بيان شعراء من العالم المجتمعين في ميدجين – كولومبيا من أجل الحرية والكرامة والاستقلال لسوريا وفلسطين".

ومما جاء فيه: نحن شعراء العالم المجتمعين في مدينة ميدجين – كولومبيا، والموقعين على هذا البيان، وانطلاقا من اعتبارنا الشعر صوت الوجدان والضمير والشاعر معبّرا عن الروح الحرة، وقيم الحرية، نرفع من مهرجاننا الشعري العالمي الصوت عاليا دفاعا عن حياة الإنسان وحريته وكرامته في كل بقعة من كوكبنا، ونتمنى لشعب كولمبيا الكريم الذي احتضن أصواتنا المعبرة عن قيم الجمال والحب والسلام والحرية أن ينعم بالأمن والسلام والحرية والعدالة الاجتماعية والازدهار.

إن ما جرى ويجري من أعمال عدوانية ضد الشعب الفلسطيني في غزة على يد قوات الاحتلال الإسرائيلي العام الماضي، وما رافق ذلك من قتل لأكثر من ألفي إنسان بينهم مئات الأطفال الأبرياء، وجرح الآلاف، وتدمير البنية التحتية ومقومات الحياة في القطاع، لم ينته مع وقف العدوان العسكري، فالحصار على القطاع الفلسطيني مازال قائما، ونعتبر ما قامت به إسرائيل عملا من أعمال الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية. ونلحظ أن ذلك حدث ويحدث بتواطؤ وصمت من قبل الدول الكبرى، وبعض الدول الإقليمية.

والدم المراق في غزة يستدعي، بالضرورة، الدم المراق في سوريا على يد النظام الدكتاتوري المدعوم بصورة لا أخلاقية وغير مشروعة من قبل النظام الثيوقراطي الإيراني والنظام الروسي. وقد تسبب هذا الدعم في مصرع نصف مليون إنسان سوري بريء خلال خمس سنوات من التراجيديا السورية، التي بدأها نظام دكتاتوري عات جوابا على المطالب السورية بالحرية والكرامة والحياة الديمقراطية. وبدلا من أن يستجيب النظام لمطالب شعبه، قام بالتخطيط مع حماته الإيرانيين والروس باستدعاء المرتزقة والإرهابيين الظلاميين (سنة وشيعة) من كل مكان في العالم للاقتتال على أرض سوريا وتدمير حلمها باستبدال النظام الدكتاتوري الدموي بدولة مدنية ديمقراطية، والقول للعالم أنا أقاتل الإرهابيين، وهو في الحقيقة مصنع للإرهاب.

والنتيجة خلال أربع سنوات ونصف السنة من القتل والتدمير: نصف مليون ضحية بينهم أكثر من 25 ألف طفل، وجرح مليون إنسان، واختفاء 130 ألفا من الوجود، وسوق أكثر من 250 ألفا إلى السجون، وتدمير أكثر من ثلث العمران في البلاد، وقد استخدم النظام الدكتاتوري، من دون أي رادع دولي، الطائرات والصواريخ في قصف المدن الآهلة بالسكان، واستعمل الغاز في إبادة شعبه في غوطة دمشق، مرتكبا جرائم إبادة جماعية مروعة يندى لها جبين البشر. وقد شرد العدوان على المدنيين حوالي 13 مليون إنسان، أكثر من 4 ملايين منهم خارج سوريا. وهذه الأرقام وثقتها الأمم المتحدة والمنظمات الحقوقية العالمية في أكبر واقعة إبادة ولجوء في العالم منذ الحرب العالمية الثانية.

لكن العالم لا يتحرك لوقف الجريمة، وأصوات السوريين لا يسمعها العالم، ولا يسمعها من يستطيع إيقاف الجريمة وبدلا من ذلك استعملت روسيا والصين معا ولثلاث مرات الفيتو في مجلس الأمن ضدّ وقفها، في أغرب واقعة أممية لا أخلاقية.

نحن الشعراء، إذ نرفع صوتنا مطالبين بوقف العدوان على الشعب الفلسطيني، وإدانة المعتدي، ورفع الحصار عن غزة، وسوق المجرمين الإسرائيليين إلى المحاكم الدولية وتطبيق القرارات الأممية التي تمكن الشعب الفلسطيني من استعادة حقه التاريخي بأرضه، نرفع في الوقت نفسه الصوت مطالبين بالحرية والكرامة للشعب السوري، وخروج كل المليشيات والعصابات الإرهابية الغازية المعادية لثورة الشعب السوري، وعلى رأسها ميليشيات حزب الله والحرس الثوري الإيراني الغازية والميليشيات الشيعية العراقية، ومعها إرهابيو "القاعدة" و"داعش"، ومطالبة الدول الإقليمية المجاورة إيران وتركيا والعراق ولبنان وغيرها من الدول المتدخلة في الإقليم بالكف عن العبث بمصير الشعب السوري وترك السوريين يلملمون جراحهم ويبنون بلدهم حرا ديمقراطيا كريما. وهو ما طالبت به ثورتهم ضد النظام الدكتاتوري العميل لإيران من اليوم الأول عبر مظاهرات سلمية.

ما نطلبه للسوريين نطلبه لسائر الشعوب المبتلية بالنظم المتوحشة والفاسدة، وهي الشعوب المضطهدة، من قبل الاحتلال الأجنبي أو من قبل الدكتاتوريات القروسطية التي تتحكم في حياة البشر ومستقبلهم، معتبرين أن الاحتلال والدكتاتورية وجهان لعملة الجريمة ضد الإنسان في عصرنا.

* شاعر من سوريا
مقيم في لندن

أشكالنا مطبوعة على الحجر تعاليْ نتكلم بلا كلمات

أريد أن أسمع الذين منعوا من الكلام وأريد أن أسمع الرواية كاملة من الشيطان

زاهر الجيزاني

الأقمار

لن أربحَ إلّا أسرار قلبك
ولن يهتدي إليك إلّا من جربَ خسرانك،
وكلما حاولتُ أن أغطيَ ساقيكِ بالظلال
سقطتْ ظلالي كوشاح ناعم، أنتِ عارية ومسمَّرةٌ على خشبة.
لديك لحظاتٌ مقطوعة، مقطوعةٌ بمقص،
كأنها إطارٌ وأنت في وسطه،
أصابعُ يديك متوهجةٌ،
وأظافرُك نظيفةٌ ومصبوغةٌ بلون كُحْليٍّ غامقٍ
وأمامك الزمن ينزف، ووجهه ضامر،
والأحداث معلقةٌ بذيل ثوبك، كأضابير قديمة،
مصادفة دفعْتُك بكتفي، ونحن على رصيف الضوء مسافران،
المساءُ القصير اختفى، والمطرُ سقط كله في بئر بعيدة، يائسا
فالمدن لأتغرق كما كانت في أصول الكتب.
وقفنا نتصفح الوجوه لنلتقي وجها واحدا لرفقة الطريق .
قلت لي، أيُّ قمر على ذراعك؟
قلتُ لكِ، قمرُ العائد، لأني بحارٌ
وأنت؟
قلت لي، قَمَرُ الله لأني منذورةٌ، لكل عابر سبيل،
قلتُ لك: أدخليني في لحظاتك المنفصلة،
لنجلسَ ونغيرَ أقمارنا،
عندما وقفتُ خلفك في الباص الأحمر،
كان جمرُنا الساخن يطبع على ذراعك قمرَ الإغواء
وكنتُ الفتى الذي أسندَ حَنْكَهُ على كتفك
وعندما نزلنا، قبّلتُ يدك،
وفي غرفة النوم، كان يَخدمنا شجنٌ غريب، ويسألُنا،
أيُّ قمر أطبع؟
وبصوتٍ واحد قلنا: قمرُ المرأة والرجل،
عندما خَلَقَ الله المرأةَ كانت وحيدةً في حوض السباحة
ولا من يد تمسكها من مكان لذتها وترفعها من بطنها على الماء
وعندما سحبتْ ورقة اللعب، ظهرتْ لها صورة شاب
فطلبتْ من الله رجلا، ثم نفخ في فمها،
ثم ولدتْ آدمَ ثم صار ابنَها
ثم صار حبيبَها، ثم صارت طريدتَه،
ثم صار صيادَها.

***

cross roads cafe

24-6-2015

الحنينُ إليك ينضب ويمتلئ
في إحدى المرات،
كنتُ أنظفُ قلادتَك من (ماضي الأيام)
فاستبدلتُ خيطَ السحر بندائي على فمك،
لنلتئمَ أنا ولُعابك،

وكان حنيني لا يقوى أن ينظرَ إلى عينيك
فقط يضع ريشتَه عن بعد في اتجاهك، فتحملُك العاصفة.
كنت تتخفين في كلمة طويلة،
وتتقلين فجرَك ليلا بين البراكين غاضبةً وساخرة،
وأنا في آخر سطرك واقف
ومعي ماءٌ باردٌ وهواءٌ، لتعبك وعتبك وجفافك،
ألصقُ فضتي على لسانك لتمصّ سمومَ الأيام،
وأضمّدُ جروحَك المفتوحة، بالانشغال بك،
لماذا لا يظهرُ وجهُكِ لي إلّا أجزاء باهتة في الضباب؟
من أنت؟
قتلني الوجدُ.
أريدُ أن أسمعَ الرواية كاملةً من الشيطان،
أريدُ أن أسمعَ من الذين تمّ منعهم من الكلام،
لا حنين في كلمات الأنبياء،
سوى الرمل الذي غطّى وجوهنا،
والسلاسل النارية التي حاصرتنا،
كلما غابت الشمس،
انتظرتُ أن يضعَ الربُّ حنيني إليكِ بين الفصول،
ويكون فصلُنا الذي ينضب ويمتلئ
ماذا أفعلُ بك؟
دوّرتُك دوراناً بشهوة الكاميرا،
كي أصلَ يوميا إلى زواياكِ الست
في الزاوية الأولى
غطرسةُ فمك، وذلي
وفي السادسة، انكسارُكِ وموتُكِ وفوزي
وبين غطرستك وفوزي
نتواصل بحنين ينضب ويمتلئ.

***

cross roads cafe

20-6-2015

سأغادر خفيفا بلا حكمة
الصدقُ قليل،
ومبالغاتُ اللغة
كثيرةٌ،

إذن كيف ستصدقيني؟
وفائي لكِ أكثر لغزاً من جلد السماء الذي لا نراه،
لن أتبرعَ بانتظارك المرير لأحد،
فأنا هنا ماكثٌ تحت مظلته،
أكُلُ ضجري كلما نبتَ وَرَقُهُ، وأنتظرُك،
وبعودٍ أقلّبُ أحشاء الحكمة.
الحكمةُ كل صباح على طاولتي .
وكنت أسأل ما هذه المنفوخة كعجين بائت؟
هل هذه هي الحكمة؟
هذه الصاخبةُ المقيمةُ في أصواتنا منذ الآلاف،
وما زالت عاجزةً عن أن تفضّ شجاراً بين اثنين،
لو لديّ مزاجُ المدوّنين القدامى،
لتتبّعتُ القدمَ الحافية، وفسّرتُ لكم كيف كانت تعرق وتتمنى،
فيصبح عرقُها وأمنيتُها أثرين، لهما مفتاح،
لفسّرتُ لكم كيف تتليّنُ الصخور بضربة عصا ملطخة بالأوجاع،
فيستقر الهيام الطري كسيقان لبلاب رخوة على حافة أنصال الصخور،
وتكون العصا وجها نتوجه إليه.
نحن مثبّتون من ياقاتنا بمسمار،
وأيدينا فعلت كل هذا العنف الذي أرتعد منه الله
نحن اسمُك على ورقة البريد
كل هذه الرقة في الآيس كريم،
نحن شريط كاسيت، يجأر،
نحن التصديق المبكر لأصوات الكهوف والبراري،
نحن أجساد، تعرق في الليل،
وتتمنى بصمت.
أسألُك أيتها الحكمة المتجمعة
والملتفة كالثعبان فوق طاولتي
من أيّ أثر أتيت إلينا،
أتيت بلا شرُوط،
وأقمتِ في أصواتنا، وأصبحنا كلنا حكماء
حكمتنا تزداد ومعرفتنا تتناقص
كلنا مجرمون،
ننتزع القلب الساخن من الأضلاع ونأكله،
سأتركُك هنا أيتُها الحكمة، لقد أطفأتُ الأضواءَ، وأنزلتُ الستائر،
وأغلقتُ الباب،
لم يعد لديّ سوى وفائي معي،
سأغادر خفيفا بلا حكمة.

***

cross roads cafe

11-6-2015

أيقونةٌ زرقاء في كنيسة مهجورةٍ
يَدُك ليستْ ساخنةً وليستْ باردةً،
دائما منذ الأزل يدُك دافئةٌ،
تُعيدُ عَصَبَ العينِ الفالت إلى مكانه،
وكلما نَسيتِ جفّ لساني،
وكلما سقط ندمُ نسيانك عليه، ارتوى

العاطلون، وأنا منهم. نتبادل نومَك في منتصف الليل،
لهم انصرافُك عنهم بلا رحمة، ولي استقبالُك لذّةَ حلمي
طيبةً لدرجة أغيّرُ نزولَ محرارك، وأرمي رمزَك وسط لعبة مجانين- (في تجميع أمثلة النكاح- لإثبات مسالك العلة)*
ولا تغضبين مني، وتتركين خطيئتي تحت المطر حتى تبلى وتختفي.
يدُك الدافئة تمسك الخديعة الغائرة
وتزيلها كلطخة سوداء على الباب
ضعي قدميك في حوضي الفائر
ودعي بخاري يصعد عليك، يصعد وينزل
كما كنتُ من قبل في أحشائك رغبة مبهمة،
تمتصُك،
وبقيتُ أمتصُك، من عنبك الأسود
أمتصُك من فمك
ومن عين الماء في سرتك، وكلما امتلأتُ، ملأني الندم،
أقف معاقبا سلالتي كلها، أتربص ليلَك ،
منتظرا نهارك، كي أطلبَ الغفران،
براءتي تخطئ يوميا، ولا ذنب يثبت على زجاجها الصقيل،
محصّنٌ دائما بثقتك، حتى لو انغمست فيك الى النهاية
كان جلدي القديم يسقط،
ومخازن طاعتي مملوءة ، بتقبيل يدك،
أيتها الواضحة أمامي
الخائفة من النسيان
الملتصقة بروحي،
كأيقونة زرقاء في كنيسة مهجورة.

***

cross roads cafe

1-6-2015

مسالك العلة-مجموعة وسائل جدلية خاصة برجال الدين يصلون من خلالها إلى تحديد السبب الذي أدى إلى تحريم أو تحليل أمر ما ، والغريب أن كل الأمثلة المدرجة في مسالك العلة عن النكاح، طبعا هي وسائل مضحكة أشبه بلعبة مجانين.

أول مرة
عندما تعيش في ظلال الحب،
يتوهجُ جَدلُ الإلهةَ قربكَ،
فتكتمل صورتُك وألوانُك كلها وتبزغ
مثل فضة لامعة تكسر الفخار وتخرج
عندما تعيش في ظلال الحب،
ستجدُ نفسَك تعيش في عقل آخر،
يفكر ويتكلم كما لو أن هذا العالم منخفضٌ،
لدرجة أنك تستطيع أن تعبرَه وتدخُل فيه.
كما لو أنك ترى نفسك،
مثلما رأى روبنسون كروسو
أثر قدميه على الرمل
أول مرة.

***

Apo Greek life cafe

27-5-2015

يشير روبرت بيرسك في روايته استجواب القيم، إلى عام 1918، عندما دخلت أول سيارة مكشوفة إلى مدينة نيويورك جلس فيها الرئيس وودرو ويلسن ورفع قبعته الحريرية في مشهد مهيب، كان المجتمع ينتقل من الزمن الفكتوري زمن النبالة والفضيلة، إلى الزمن التكنولوجي، كل شيء ولد من جديد التمرد على التزمت، الطائرات، مسابقات ملكات الجمال، الراديو، المسابح المختلطة، الحب العلني، السينما، الفن الحديث، التحول من حالة إلى حالة إما ينتج تشوها اجتماعيا جديدا أو تطورا جديدا،
تماما كمن يتحول للعيش في ظلال الحب،
إما يرتقي به إلى عمل مفيد أو يحوّله إلى وقت ضائع.

***

أعبدُك
كان مَيّتا
فارغا كساقية
عاريا في البراري*، لم يسمع الرنّةَ الواطئةَ في صوتك،
ولا قدرة لَديه كي يحدسَ التناسبَ في زاوية العين والفم،
سوى جسده الهائم على وجهه،
كلما نشفَ غطته رغوةُ جسدك،
وانفردتْ أصابعُك، بتأديب عطَشه،
يدُهُ مفتوحةٌ كعينِ الكاميرا تلتقطُ هفّةَ ثوبكِ
فيزدادُ يقينُ الميِّتِ بكِ
كل هذه الجواهر
الملطخة بحنّاء قدميك،
انعقدتْ تميمةٌ تشدّ ذراع المريض
كل هذه الاستغاثة التي تزحف على بطنها ولم تصلْ
انعكاسٌ لفجرك الأزرق،
أيتها العاقلة،
كلما انشقّ نهارُك على جبيني،
جلستُ أُصفّق
بجناحي
وأعبدكِ.

***

شارع Yale

20-5-2015

في ملحمة كلكامش، كان ادم (أنكيدو) فاقد الذاكرة يعيش في البراري مع الحيوانات وعندما سمع صوت حواء (إرواء) العاقلة تناديه عادت له ذاكرته، ونقلته إلى الحياة البشرية ثم تمرد عليها وحبسها بقوانين وعادات وأفكار.

***

لا بد من أثر بيننا
أعتقد أنه عرّفكِ من عضّةٍ خفيفة على كتفكِ،
وعرفته،
عندما كنتما تلعبان تحت شجرة سرو
كانت يدُهُ تمسح إبطيكِ، فيموت
وتنفخين في فمه
فيستيقظ،
ويسألك،
من أنتِ؟
وتنظرين في وجهه،
كوجه أدمن النظرَ إلى المرآة،
من أنتَ؟

من سنكون،
لولا هذا الأثرُ على كتفك
لولا هذه الرائحةُ الدائمةُ في يدي،
ما نراه ليس دائما هو الحقيقة
الحقيقة ليست دائما تتطابق مع ما نراه
لابد من أثر
بيننا.

***

شارع Yale

18-5-2015

مثل نجمة العشاء ليّنة وعارمة
العالم قطارات،
مندفعة بأقصى سرعة، من غير جداول ضبط
الدخان والحطام والدماء متناثرة في كل مكان،
وأنا مكسور الذاكرة، تقودني فكرةُ قدميكِ،
قدماك تشعّان من بعيد بسوارين،
تغطيان عري العالم،
أنت المخلّص،
الذي يشفي الذاكرة
أنت الوعد
المنسي على خشب الباب،
أقفُ على أكتاف الأمواج مهتزاً،
كبناية ضربها زلزال،
منتظراً أن أرى قبل أن يحلّ الكسوف،
كيف تبزغين مثل نجمة العشاء
ليّنة وعارمة.

***

شارع yale

17-5-2015

اضحكي
البكاء مثل الأيام لا ينتهي
شذرة صغيرة من ضحكتك كانت معي
كيف أعيدها لتكتملَ الضحكة
كيف أُقنع حاجزا متصدعا
أن لا يرمي أقفالَ قلبه وسط الأمواج ويعجز،
كيف أقنع كل هذا التلاطم، أنه عاجزٌ ولن يصل .
حياتُنا تُهدر بسرعة .
ربما لم تكن الصناعةُ مُحْكَمةً، ربما.
أنا أيضا عاجزٌ أن أنسّق عاطفتين
كي تبدوا في طول واحد
أحاول أن أقوّي ضحكتك، اضحكي،
فالبكاء مثل الأيام لا ينتهي .

***

cross roads cafe

16-5-2015

أنتظرُ رائحتك
سأعلّقُ رائحتي بطرف منديلٍ وأنتظر
رائحتك متى تنهض؟
الحقيقة الوحيدة أنت،
لذلك أنا وظلّي
منذ أربعين عاما
نتذوق ربيع الروائح المارة أمامنا
لم يبق عطر إلا وشممناه
لم تبق قهوة إلا وشرحنا طعمها للغرباء
لم تبق عتبة إلا وربطنا زندها بعين زرقاء كي تراك،
وأنتِ في ظلام القمم،
وأنتِ في الزاوية التي انحرف منها العالم عن محوره،
أحاول أنا وظلي منذ أربعين سنةً، أن نعيد ابتسامتك إلى مرآتي
ليست منْ يد تشفي هذا الولع المريض بكِ
كاد قلبك يختض،
عيناك مغمضتان،
كنتِ معلقةً بقوس بيضاء،
وكنتِ على وشك السقوط على السجادة القديمة
وكنتُ أنا وظلي واقفين نتناوب منذ أربعين عاما لنمسك
يدك كي تمسك حافة الطاولة
كي تنزلي ببطء على الكرسي
ليس الحب فقط أن تكوني فيّ
الحب أن تكوني قربي
وتنظري إليّ
وتكون عينك حارسة
وأن لا تحبسي رائحتك في أرنبة أذنكِ
أنا علقتُ رائحتي بطرف منديل
وأنتظر
رائحتكِ متى تنهض؟

***

cross roads cafe

13-5-2015

ليس هناك فراغ
ليس هناك فراغ بين الأحمر والأبيض
هناك لون غير مرئي
هناك نبرة التهام كثيفة بين حرف وحرف
هناك قلق مكتمل
عندما تزفرين هواء رئتيك،
هناك أنت وحدك في الإطار،
وحين أضع إصبعي على شفتيكِ
يظهر أمامي كل شيء مرئيا
الأحمر والوردي والأبيض،
ليس هناك فراغ بين الأحمر والأبيض.

***

11-5-2015

تعالي نتكلم بلا كلمات
الكلمات تتلصص على بعضها
متعالية لا تتبادل التغذية ولا الأغطية
مثل ورق الكمثرى مقطوع اللسان
عاجز
أن يمتص قطرات الشكوى
المتجمعة في الليل على الكمثرى
لذلك يذوي المعنى ويسقط بمجرد أن نضعه في كلمات
كما تذوي الرغبة بمجرد أن نقولها
الكلمات منكمشة وجافة
هناك الفاعل بيده عصا غليظة وتحت قدميه مفعوله
كهذا التمثال
هناك سلطة غاشمة في كل جملة
في كل جملة هناك كلمة جارحة
وهناك كلمةٌ مجروحة ينهشها فعلٌ كأنه ثقبٌ يبتلع الزمن
وهناك كلمةٌ زائدة تحت شمس الظهيرة بلا مأوى
سأخاطبكِ بالنعاس، ستردين عليّ بألوانك، لا لن أجبرَكِ
لكن سأربط يديكِ بالمسرات، وأجلد غفلتكِ بما يصلكِ من نغم منخفض،
ثم تأمرينني بعينين مغمضتين
فننشغل طول اليوم،
بتبادل الأغاني،
ننشغل بالدمع المتقطع،
مختنقين بالدخان المتيبس
كأنه دمُ البارحة على الرصيف
بهزة الرأس التي تؤكد الموت،
بالتوقف لحظات لمعرفة طعم القُبل أثناء الخوف،
بالندم الذي يقطعنا نصفين
بالحنين المتطاير الذي يجمعنا بقبضة كف
أنهكنا مرض التكرار،
افرشي خرزكِ على المنديل،
سأعرف اللون الذي يمسح سرّتكِ بالقطن وسأعرف الزاوية المهشمة في حديد قلبكِ

كل هذا الكبرياء في زاوية الفم
ينحني لرعد العين الخفي، ويرقّ كلعابكِ أثناء الإغماء
أنت في هذه الإيماءة، تتبددين كرشة ماء على عطَشي
تعالي نتكلم بلا كلمات.

***

cross roads cafe

5-5-2015

نحن العدّائين
لا أحد منا يسجل حلمه كاملاً
ربما نتذكر فقرة مشوشة،
أو أجزاء مركّبة، من أحلام قديمة ميتة،
أو أحلاماً مكبلة الأيدي ممنوعةً تحت سقفنا المظلم
حاراتنا، أزقتها ضيقة وملتوية، تشبه خنادق القتال،
الزقاق الضيق علامة المدن الخائفة
خائفون، ومشوشون،
كل منا يحاول أن يتسلق الجبل
أشكالنا وأشكال من سبقونا مطبوعة على حافات الحجر
مع ثيابهم وصورهم وقهقهاتهم وبكائهم
نحن العدّائين
منذ أن قال الرب كونوا
كنا، وفي ذات اللحظة بدأنا في الجري الجري المستمر بلا توقف نحو الجبل،
أين وصلتُ أنا
أين وصلت أنت
أين وصل الآخَرون ؟
مازلنا نعدو نحو الجبل وسنترك أشكالَنا مطبوعةً هناك على الحجر
مع صورنا وقهقهاتنا وبكائنا
لكن، وفي هذا السباق المرعب
نحتفل في أعياد الميلاد ونتبادل باقات الورد، ونرمي ابتساماتنا على بعضنا
ونطيّر كلمات إطراء نديّة،
ما أجمل الحياة ونحن نهتز فوق حبل الهاوية.

***

cross roads cafe

28-4-2015

نحن كفان ملتصقتان كتوأم
في كفكِ ثلاثة خطوط تشبه خطوط ورقة التين*
خط الرأس
وهو خط الذهب يستدير على الإبهام ويأمره أن ينتصب
خط الحياة
وهو خط الفضة الممدد على الفراش بحلمتين تمريتين
خط القلب
وهو خط الخزف الذي يتصلب ثم يتشرب بالوصال حتى ينكسر
ثم تتجمع شظاياه، وتلتحم
ثم يرتخي ويلين مثل طفل يئن وهو يمص إصبعه
قلادتُكِ تنتهي بزرقة واسمكِ (رام)

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الإلكتروني لـ«العرب»

رف الكتب

دعوة إلى التآخي بين الفرنسيين ومسلمي فرنسا

❏ يحتل عبدالنور بيدار موقعا هاما في الساحة الثقافية الفرنسية كأستاذ جامعي ومكلف بمهمة في وزارة التربية وعضو في مرقب اللائكية ومؤلف متخصص في الشؤون الإسلامية ومنتج لبرنامج "ثقافات الإسلام" في إذاعة فرنسا الثقافية خلفا للراحل عبدالوهاب المؤدب. بعد حضوره اللافت في المنابر الإعلامية كمحلل لانحراف بعض الشباب وتطرفهم الذي أدى إلى عملية شارلي إيبدو، ورسالته المفتوحة إلى العالم الإسلامي التي تابعها أكثر من مليوني قارئ على الإنترنت، نشر مؤخرا كتابا بعنوان "دفاعا عن الأخوّة" دعا فيه إلى استثمار زخم الأخوّة التي تجلت في مسيرة التنديد بعملية شارلي إيبدو المرور من الدفاع الذاتي إلى النقد الذاتي، سواء بالنسبة إلى المثقفين والسياسيين الفرنسيين أو مسلمي فرنسا الذين ينادون بـ"عدم الخلط" والحال أن الوحش الإرهابي خرج من الجسد المريض للإسلام. ويلح على التعاون حتى لا يكون العنصر الثالث من شعار الجمهورية، أي الأخوّة، غير ذي معنى.

وجه الإسلام المنفتح

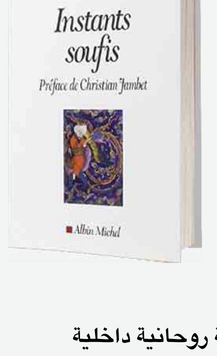

❏ "لحظات صوفية" هو آخر كتاب للراحل عبدالوهاب المؤدب، الذي نذر حياته للتعريف بالجانب التنويري في الثقافة الإسلامية، سواء من خلاله برنامجه في إذاعة فرنسا الثقافية، أو مقالاته ومحاضراته، أو مؤلفاته التي تراوحت بين الإبداع والدراسة. يكشف المؤدب، في هذا الكتاب الذي صدر بعد وفاته، وجه الإسلام المنفتح على الآخر، وعلى الكوني، وفسحه مجال القول والإبداع للذكر والأنثى على حدّ سواء، فهو يستحضر كتابات كبار المتصوفة مثل ابن عربي وجلال الدين الرومي ورابعة العدوية، ليأخذ القارئ في رحلة إلى عالم التصوف، حيث جمال الطبيعة وجمال الفكر، رحلة روحانية داخلية يرج فيها المتصوفة الضيق ويسبرون السرمدي. كتاب ينبني على فصول أشبه بحكايات مستقلة بعضها عن بعض، مزدانة بلوحات خطوطية للفنان العراقي حسن المسعودي، وأشعار ترجمها المؤلف بأسلوب يعكس عمق ثقافته واتساع أفقه.

تاريخ المتوسط الإسلامي في العصر الوسيط

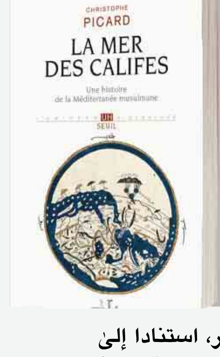

❏ يعتبر فرنان بروديل الحضارة الإسلامية واحدة من كبرى الحضارات المتوسطية، ولكن دورها في تنامي التبادل التجاري في حوض المتوسط خلال قرون كان دون ذلك. وقد جاراه في هذا الرأي كل المؤرخين الذين تناولوا البحر المتوسط في العصر الوسيط، وعدوا بحّارة الإسلام مجرّد قراصنة، لا غاية لهم سوى السلب والنهب. في كتابه "بحر الخلفاء- تاريخ المتوسط الإسلامي من القرن السابع إلى القرن الثاني عشر"، يقترح المؤرخ كريستوف بيكار، الأستاذ بجامعة السوربون والمتخصص في العصر الوسيط، قراءة تاريخية مغايرة للفضاء المتوسطي في ذلك العصر، استنادا إلى الوثائق والمخطوطات الغزيرة التي تركها العرب، والمواقع الكثيرة التي لا تزال تحمل بصمتهم. ويبين أن الخلفاء والعلماء لم يهملوا الفضاء البحري، فبينما كان البحارة والتجار والمحاربون يجوبون ضفافه، كان الرحالة يعدّون الخرائط والموسوعات، بوصف المتوسط فضاء للجهاد في نظر الخلفاء.

ناصر، الضوء والظل

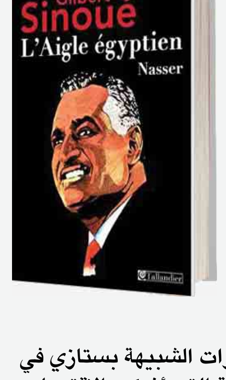

❏ "ناصر، النسر المصري" لجلبير سينوي ليس كتاب سيرة تاريخية بالمفهوم العلمي للكلمة، بقدر ما هو استعراض يغلب عليه الجانب الذاتي لجوانب من حياة شخصية كان لها وزنها الإقليمي والدولي، فالكاتب لا يخفي إعجابه بجمال عبدالناصر، رغم أنه لا يخفي أيضا الكوارث التي خلفتها سياسته. يستعرض ناصر في أوجه عديدة: فهو من جهة الجندي البطل المحارب في فلسطين عام 1948، والوطني الذي وضع حدا عام 1952 لسبعين سنة من الاحتلال البريطاني، والقومي الذي تحدى الغرب عام 1956 بتأميم قناة السويس. ومن جهة ثانية هو مبتدع المخابرات الشبيهة بستازي في ألمانيا الشرقية، ومخطط الاشتراكية البيروقراطية التي أنهكت الاقتصاد، ورجل حرب الأيام الستة والعار الذي لا يمحى. يقول سينوي "أردت بوصفي مؤرخا وروائيا، أن أسرد مختلف أوجه الريّس الذي كان ينقل صوت العرب جميعا عبر العالم. ضوؤه وظله، النسر المصري والحلم المتكلّس".

حقائق حروب أميركا

❏ "إعادة انتشار" أو "نهاية مهمة" في ترجمته الفرنسية، هو عنوان مجموعة قصصية لافتة للأميركي فيل كلاي المجند في الحرب على العراق، ليس لقيمتها الأدبية فحسب، وإنما أيضا لجرأتها في الكشف عن دور أميركا في نشر الدمار في العالم منذ قيامها. اثنتا عشرة قصة تصور الجوانب المظلمة للتدخل الأميركي في العراق، وتحلل مجمل التناقضات التي رافقته، وتصوّر "قلب الإنسان في نزاع مع نفسه" حسب عبارة فوكنر، فتقدم الجندي الأميركي لا كبطل مغوار جاء ينقذ العرب من طاغية ويهبه الديمقراطية على طبق من ذهب، بل كإنسان موزع بين الموت والنجاة، فالحرب لا تخلّف إلا الدمار، المادي والنفسي، فلا استقامة ولا فضيلة عند كتابتها، لذلك ينبغي تصويرها من جهة الشر والرذيلة، سيديها المطلقين كما يقول تيم أوبريان. فلا أحد ينجو من الحرب، حتى الأحياء. الباقون يستضيفون عدة قبور، ولا عزاء لهم إلا قصة يكتبونها.

زفرة المحاربين

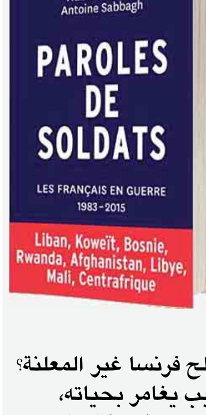

❏ منذ أكثر من ثلاثين سنة وفرنسا في حالة سلم، ولكن جنودها لا يزالون يموتون تحت رايتها، دون أن يخوضوا حربا. هذه المفارقة تحتل مركز الثقل في كتاب "كلمات جنود، الفرنسيون في حالة حرب" لهوبير لورو وأنطوان صباغ، وفيه مزج بين شهادات مجندين وبعض الإيضاحات التاريخية، وفيه أيضا تساؤل عن جدوى هذه الحروب التي لا تقول اسمها. فالجنود يعرفون أن رئيس الدولة هو قائد القوات المسلحة، ولكنهم لا يعرفون من أجل ماذا تجرّد فرنسا سيفها. من أجل حقوق الإنسان أم لحماية مدنيين أم لمقاومة الإرهاب أم باسم المجتمع الدولي أم دفاعا عن مصالح فرنسا غير المعلنة؟ فليس شيء أقسى على الجندي من أن يجهل لأيّ سبب يغامر بحياته، وليس شيء أقسى على بلد من أن يجهل لماذا تصلح جيوشه. فالجندي الفرنسي كما يقول الكاتبان لا يدافع عن وطن أو تراب بل عن تصور غائم للنظام الدولي.

بؤس التراثيين العرب

انشغالات ذهبت هباء

أحمد برقاوي

❑ سبق لي أن كتبت في هذه الموضوعة الإشكالية في الثقافة العربية، ولسوف أدرج على ما سبق، وأستعيد نقاطا وعلامات لعلها أن تتماس وتتشاكل مع المراجعات التي تحاول "الجديد" أن تتيحها للتفكير العربي اليوم، من باب مراجعة الأفكار.

شهدت مرحلة الستينات والسبعينات من القرن الماضي ظاهرة توظيف التراث الفلسفي الإسلامي توظيفاً مباشراً للدفاع عن آراء معاصرة، والعبور من خلاله إلى تجديد الفكر العربي، أو إلى تغيير الواقع ذاته، أو إلى إحداث ثورة في الفكر والواقع كما أراد التراثيون.

حسبنا الاستماع إلى الدعاوى التي أوردها العائدون إلى التراث الفلسفي العربي لنعرف حجم المهمة المستحيلة التي ألقيت على هذا التراث لإنجازها.

فها هو محمد عمارة- حين كان عقلياً - يصدر كتابه "التراث في ضوء العقل" قائلاً «إن الوعي بالتراث وإحيائه، لا يعني تقليده ولا أن نعود بحاضرنا ومستقبلنا ونصبهما في قوالب الأمس.. ولكنه يعني أن نبصر جذور غدنا، الذي نريده مشرقاً، في الصفحات المشرقة في التراث.

وأن نجعل العدل الاجتماعي الذي نكافح من أجله الامتداد المتطوّر لحلم أسلافنا بسيادة العدل في حياة الإنسان وأن نجعل قسمات العقلانية والقومية في تراثنا زاداً طيباً ورواحاً وثورية تفعل فعلها في يومنا وغدنا، وبذلك يصبح تراثنا روحاً سارية في ضمير الأمة وعقلها تصل مراحل تاريخها وتدفع مسيرة تطوّرها خطوات وخطوات إلى الأمام، وبذلك وحده يصبح التراث طاقة فاعلة وفعالة، وليس "ركاماً" أو "أكفان موتى" كما يحسبه ويريده الكثيرون».

ويرى الدكتور حسن حنفي أن «التراث هو نقطة البداية كمسؤولية ثقافية وقومية، والتجديد هو إعادة تفسير التراث طبقاً لحاجات العصر. فالقديم يسبق الجديد، والأصالة أساس المعاصرة، والوسيلة تؤدي إلى الغاية، التراث هو الوسيلة والتجديد هو الغاية، وهي المساهمة في تطوير الواقع، وحل مشكلاته والقضاء على أسباب معوقاته، وفتح مغاليقه التي تمنع أيّ محالة لتطويره».

وبهذا المعنى أيضاً يقول الجابري «اللغة والشريعة والعقيدة السياسية.. تلك هي العناصر التي تتكون منها المرجعية التراثية التي قلنا إنه لا سبيل إلى تجديد العقل وتحديثه إلا بالتحرر من سلطانها، وإذا كنا ندعو ها هنا إلى الانتظام في الجوانب التي أبرزها في فكر ابن حزم وابن رشد والشاطبي وابن خلدون فليس من أجل استنساخ أفكارهم، استنساخاً، ولا من أجل تبني آرائهم تقليداً وتبعية، كلا إن ما ندعو إليه هو توظيف نزعتهم العقلانية-التقدمية كمنطلق يربطنا بقضايا تراثنا لا من أجل تجديدها أو الاغتراب فيها أو رفضها بل من أجل نقلها إلى حاضرنا ونتعامل معها على أساس متطلبات الحاضر وحاجة المستقبل وبالاستناد إلى فكر العصر ومنطقه».

ويرى حسين مروة أن هناك ترابطاً بين المحتوى الثوري لحركة التحرر الوطني العربية في مرحلتها الحاضرة وبين الموقف الثوري من التراث الفكري العربي - الإسلامي «إن ثورية الموقف من قضايا الحاضر تستلزم الانطلاق من هذا الموقف لرؤية التراث، أي لمعرفته معرفة ثورية، أي لبناء هذه المعرفة على أساس من أيديولوجية القوى الثورية نفسها في الحاضر».

أما طيب تيزيني فينهي رحلته الطويلة في كتابه "من التراث إلى الثورة" بالقول «إن ممارستنا الاختيار التاريخي التراثي تجاه تاريخنا وتراثنا العربيين على نحو جدلي تراثي وبغية تحويل الحصيلة الإيجابية إلى واحد من أبعاد الفعل الثوري المبدع في مرحلتنا القومية الناهضة من شأنها أن تسهم في تكوين وتعميق الشخصية القومية الأممية للقوى الثورية العربية. ودونما خوف من عقد التقازم أمام الآخرين والتعملق أمام الأهلين».

يمكننا الاستمرار في عرض المسوغات التي قدمها المشتغلون بإعادة قراءة التراث، ولكن بما أن هدفنا هو الوقوف على أهم هذه المبررات لنكشف عنها، نكتفي بما عرضنا، معتبرين أن هذه المسوغات هي النماذج الكبرى التي تقدم عادة.

وتدقيقاً فيما سبق نجد: أن الهدف المرجوّ من عودة كهذه ينحصر في النقاط التالية :

1- إيجاد الترابط بين الحاضر والمستقبل والماضي، وهذا يعني أن انقطاعاً قد حصل بين ماضي الفلسفة وحاضرها العربي وإيجاد اللحمة مرة أخرى بين الحاضر والماضي من شأنه أن يفتح آفاقاً أفضل. ومن شأنه أيضاً أن يعيّن مفهوم الهوية القومية بوصفها خطأ صاعداً ينزع عنها التفتت الحاصل الآن.

2- يجمع التراثيون على نقطة أساسية ألا وهي أن العودة إلى التراث لا معنى لها إلا في حالة الكشف عمّا فيه من عناصر قابلة للحياة وليس في حالة تقديمه كما هو. فعمارة يريد من التراث قسمات "العقلاني والقومية" وحنفي «يسعى إلى المعاصرة استناداً إلى الأصالة" والجابري «يبحث عن النزعة العقلانية النقدية» في التراث، وتيزيني يستقي من التراث المساهمة في تكوين الشخصية القومية والأممية. ومروة يريد أن يجد في التراث "ثورية" تشتقها "قوى الثورة العربية المعاصرة". وأساسها تلك النزعات المادية الكامنة فيه. إذن المرجعية في دراسات التراث الكشف عن العقلانية والقومية أو الثورية والمادية.

-3 وكان الجميع قد انطلق من أن تأسيس هذه المفاهيم غير ممكن إلا بالكشف عنها داخل الإنجاز الفكري - الفلسفي للتراث العربي. وبالتالي فالمعرفة المعاصرة تلبس التراث لبوساً جديداً ليبدو معاصراً. وهذا يعني أن تأكيدهم رفض الانتقائية، تأكيد زائف إذ طالما أنهم يريدون من التراث أشياء ولا يريدون أشياء أخرى فهذا يعني أن ينتقوا من التراث ما يعزز أفكارهم المسبقة، أو الأساس الفلسفي-الأيديولوجي الذي ينطلقون منه.

وهذا هو الذي يفسّر لماذا يختلفون فيما بينهم حول التراث، وحول ما هو الأبرز في هذا التراث.

ولو نظرنا إلى تنوع الآراء حول ابن رشد مثالاً على تنوع الآراء حوله، لرأينا أن كلاً يريد من ابن رشد ما يريده الآن أصلاً. فعمارة ينظر إلى شروح ابن رشد على أرسطو بداية امتلاك اللغة العربية وفكرها الفلسفي لآراء أرسطو نقية غير مشوبة بما اختلط بها من آراء أفلاطون ونظريات الأفلاطونية المحدثة.. والميلاد الحقيقي للمدرسة الفلسفية العقلانية-المشائية وقدّم ابن رشد أكثر المحاولات جدلية وتوفيقاً في عقد صلات الزمالة والمؤاخاة بين الحكمة (الفلسفة) وبين الشريعة، انطلاقاً من الفهم العقلاني المستنير للدين، وبواسطة البرهان العقلي ومن فوق أرض الفلسفة.

ويكتب الجابري "إقصاء العرفان" والفصل بين "البيان" و"البرهان"، ذلك هو الخط نفسه الذي ينتظم الخطاب الرشدي الذي يستعيد مشروع ابن حزم عبر ابن تومرت وابن باجة على مستوى أغنى وأعمق.

كما يرى فيه إعادة بداية بناء العلاقة بين البيان والبرهان بوعي أعمق وعقلانية واقعية أكثر نضجاً من تلك التي عند ابن حزم وابن تومرت وابن باجة .

بينما استطاع ابن رشد «عبر طرحه لمسألتي العلاقة بين المادة والصورة، ووحدة العالم الكونية المادية، أن يساهم بعمق في تطوير الفلسفة المادية الهرطقية والجدلية إلى الأمام وخصوصاً في تأكيده على العالم في وحدته المادية من طرف، ثم في إبعاده لمفهوم الإله المفارق العلوي من مذهبه الفلسفي حيث جعله جزءاً من الطبيعة من حيث هو عقلها أو قانونية وجودها».

وهذا ما يراه تيزيني في ابن رشد .

إذن ابن رشد آخى بين الفلسفة والشريعة عبر الفهم العقلاني- "عمارة". وأقصى العرفان وقام بفصل بين البيان والبرهان عبر عقلانية واقعية. وفي حالة أخرى نقدية - "الجابري". وتطور الفلسفة المادية الهرطقية والجدلية إلى الأمام "طيب تيزيني".

ولو افترضنا أن ابن رشد يسمح باستنتاج كل ما سبق، فإن إبراز هذا الجانب أو ذاك في فلسفة ابن رشد عملية محكومة بما يراد من ابن رشد.

> سبق لطيب تيزيني أن أشار إلى أن المفكرين العرب الآخذين بالذهنية الإقطاعية قد طرحوا قضية التراث انطلاقاً من أن الجديد هو امتداد ميكانيكي للقديم

إنها عملية جد مشروعة. وليست اتهاماً، إذ لا يمكن أن يكون الموقف من التراث الفلسفي إلا انتقائياً، أما أفكارها فهو أمر من قبيل إضفاء الموضوعية على تناول التراث.

كيف نفهم بروز ظاهرة العودة إلى التراث عامة والتراث الفلسفي خاصة؟ ولو تركنا جانباً الأسباب التي قدمها التراثيون، وقد تكون أسباباً حقيقية بالنسبة إلى كل واحد منهم، لواجهتنا الواقعة التالية: إن معظم الكتب الأساسية التي ظهرت حول التراث، قد صدرت في فترة السبعينات والثمانينات.

"مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط" عام 1971 "من التراث إلى الثورة" عام 1978 طيب تيزيني، "والتراث والثورة" غالي شكري 1973 "نحن والتراث" قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي 1980 "تكوين العقل العربي" 1984 "بنية العقل العربي" 1986 محمد عابد الجابري، "التراث والتجديد" 1981 حسن حنفي، "نظرة جديدة إلى التراث" 1979 "التراث في ضوء العقل"1980 محمد عمارة، "النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية" جزء 1-2/1979 حسين مروة .

صاحب صدور هذه الكتب، دراسات ونقاشات واختلاف آراء، أي لم تخلق هذه الكتب شهرة لأصحابها فحسب بل وخلقت مناخاً فكرياً بدا أنه يتميز بالحيوية.

وقد رأينا أن النماذج من المسوغات التي عرضنا لها جميعها منصبة إما على تنوير الواقع أو دفعه إلى الأمام أو المساهمة في التقدم الخ. ولكن ما الذي كان عليه الواقع حتى يفرض على المفكر العربي التفكير بإدخال التراث كعنصر وعنصر مهم من عناصر "التنوير" و"صنع المستقبل"؟

يبدو لي أن السبعينات هي مرحلة ظهور الأزمة في سيرورة الحركة القومية العربية والماركسية العربية، أو ما اصطلح على تسميته بحركة التحرر العربية ومن ثمة تصاعدها في الثمانينات من ذلك القرن.

واتخذت الأزمة أشكالاً متعددة: هزيمة يونيو المنكرة جداً عام 1967 والتي نظر إليها بوصفها هزيمة عسكرية وأيديولوجية بالوقت نفسه، تراخي الالتفاف حول حركة التحرر العربية، صعوبة تحقيق الأهداف المعلنة، تنامي رد الفعل الإسلامي- أيديولوجيا. ثم تطوره إلى حركة سياسية فاعلة، بروز الدول النفطية -وخاصة السعودية- كدول فاعلة في الحياة العربية.

ويبدو أن البحث عن أسباب هذه الأزمة قد تنوع جداً من البحث عن أسبابها التقنية إلى البحث عن أسبابها السياسية مروراً بالبحث عن أسبابها الفكرية.

في البحث عن هذه الأسباب الأخيرة -أي الفكرية- جاء أول ردة فعل من التيار الإسلامي. الذي رأى أن الأيديولوجية القومية والماركسية هي المسؤولة عن هذا الخراب الذي حل وكان من نتائجها هزيمة حرب يونيو، وآية ذلك أن هذه الأيديولوجيا هي بالأصل أيديولوجيا غربية علمانية خاوية ومغتربة عن "تراث الأمة والأصيل".

والمفكر القومي والعلماني والماركسي، على الرغم من وقوفه ضد هذا التفسير، قد شاطر الإسلامي رأيه ضمناً. فراح يبحث عن اللحمة التي تربط أفكاره العصرية بالتراث العربي. معتقداً في الوقت نفسه أنه يحرر التراث من احتكار القوى التقليدية له، وسالباً إياها مصدر قوتها.

فالأزمة التي دشنتها الهزيمة، لم تقد إلى مراجعة نقدية للفكر العربي السياسي والفلسفي بل قادت إلى نكوص إلى الوراء في محاولة لإنقاذ الأساس الفلسفي -الأيديولوجيا للفكر القومي والماركسي. وللتدليل على أن فكرة الحرية ليست إلا تطويراً لفكرة الحرية عند المعتزلة- وفكرة المساواة استمراراً على نحو جديد لفكرة المساواة عند القرامطة، بل والاشتراكية ذاتها جزء من تراثنا الفكري، ومادية ماركس هي ثمرة لمادية ابن سينا والفارابي وابن رشد. والصراع الطبقي المعاصر الذي ينتج الآن الاختلاف الفكري ليس جديداً، بل إن التناقض الطبقي في العصر الإسلامي الوسيط قد عبر عن نفسه في تناقض المادية والمثالية.

> يجمع التراثيون على نقطة أساسية ألا وهي أن العودة إلى التراث لا معنى لها إلا في حالة الكشف عما فيه من عناصر قابلة للحياة وليس في حالة تقديمه كما هو

وبالتالي فإن التراث العربي الفكري الإسلامي الذي عبّر عن تناقضات طبقية في اتجاهين -تقدمي ورجعي- مازال مستمراً حتى الآن عبر التناقض المعاصر. فالبرجوازية والإقطاعية المعاصرة تتبنّى الرجعي والمثالي في تراثنا، أو تفسّره تفسيراً مثالياً رجعياً، وعلى القوى الثورية أن تبعث الجانب التقدمي المادي العقلاني. لقد عبر كل من مروّة وتيزيني وغالي شكري عن هذه النزعة بكل صراحة. بعقل ساذج كهذا دخل التراثيون عالم علم الكلام والفلسفة الإسلامية.

يقول حسين مروة «إن ثورية الموقف من قضايا الحاضر، تستلزم الانطلاق من هذا الموقف نفسه لرؤية التراث، أي لمعرفته معرفة ثورية، أي لبناء هذه المعرفة على أساس من أيديولوجية القوى الثورية نفسها في الحاضر، أي القوى التي لها علاقة تاريخية موضوعية بالأساس الاجتماعي لإنتاج التراث الفكري في الماضي ونعني بها القوى الاجتماعية السابقة المنتجة للأسس المادية التي انعكست في أشكال الوعي الاجتماعي (الفلسفة، العلم، الأدب، الفن المكونة لهذا التراث)».

وهذا يعني أن هناك قبل كل شيء موقفاً ثورياً من قضايا الحاضر ينتج عنه موقف ثوري من التراث، هذا الموقف الثوري من التراث مستند إلى أيديولوجيا القوى الثورية، وهذه القوى بالتالي لها علاقة بالقوى الاجتماعية التي أنتجت الأسس المادية التي أنتجت التراث ذاته.

ولهذا فالموقف الثوري يجب أن يستند إلى منهج جديد يتجاوز المواقف المثالية والميتافيزيقية. هذا المنهج المادي التاريخي وحده القادر على كشف العلاقة الواقعية الموضوعية غير المباشرة بين القوانين الداخلية لعملية الإنجاز الفكري وبين القوانين العامة لحركة الواقع الاجتماعي، أي كشف التراث في حركيّته التاريخية، وتحديد «ما لايزال يحتفظ منها بضرورة العناصر التقدمية والديمقراطية في تراثنا الثقافي وبين العناصر التقدمية والديمقراطية من ثقافتنا القومية في الحاضر». بهذه الميكانيكية الجلفة فكر الشيخ الماركسي إذ ذاك فإن ما يطمح إليه المثقف الثوري- أي المنهج المادي التاريخي - من جملة ما يطمح إليه هو دراسة الفلسفة العربية-الإسلامية بوصفها نتاج عملية تاريخية داخل حركة الفكر العربي وبارتباط مع تطور المجتمع العربي -الإسلامي القروسطي. والكشف عمّا يحتويه التراث الفلسفي من قيم تقدمية أو نزعات مادية.

وقد سبق لطيب تيزيني أن أشار إلى أن المفكرين العرب الآخذين بالذهنية الإقطاعية قد طرحوا قضية التراث انطلاقاً من أن الجديد هو امتداد ميكانيكي للقديم. وهم سلفيون يتحدثون عن تصورات ومبادئ فوق الزمان والمكان، فهم لا تاريخيون إذن. وبسبب التواطؤ التاريخي الذي عقد بين الذهنية الإقطاعية والذهنية البرجوازية لم يستطع المجددون تجاوز هذا التواطؤ فكرياً فظلّوا انتقائيين معتدلين مساومين.

وهنا يطرح تيزيني تجاوز هذين النمطين عبر المادية التراثية الجدلية التي هي ضد الإقطاع من جهة وضد التواطؤ التاريخي الإقطاعي-البرجوازي .

وغالي شكري هو الآخر يرى أن البرجوازية لا تعمد فحسب إلى التركيز على عناصر التراث التي تفيدها وتدعم كيانها، وإنما تشيع مفهوماً ميتافيزيقا للتراث يعادي العلم والتقدم.

إذن لا بد من تنويره وفق مصالح الطبقات المناهضة للبرجوازية. أن تكون البرجوازية خصماً طبقياً للفئات الفقيرة فهذا مما لاشك فيه، سواء أكانت برجوازية وليدة في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى كما في الوطن العربي، أم برجوازية منتصرة انتصاراً ساحقاً في بلدان أوروبا.

> الأزمة التي دشنتها الهزيمة، لم تقد إلى مراجعة نقدية للفكر العربي السياسي والفلسفي بل قادت إلى نكوص إلى الوراء في محاولة لإنقاذ الأساس الفلسفي -الأيديولوجيا للفكر القومي والماركسي

رسمة: بهرام حاجو

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الإلكتروني لـ«العرب»

الصوت الأنثوي الصيني المسموع

شينران أول عمة للكرب في الصين

بالرغم من تواضع لافت تتحلى به الكاتبة الصينية شينران (1958)، ما فاتني عند حديثي إليها الانتباه إلى نبرة فخر تخللت صوتها، الفخر بأنها أول امرأة نقلت قضايا المرأة الصينية إلى العالم. كانت تقدم برنامجاً إذاعياً بعنوان "كلمات على نسيم الليل" لمدة ثماني سنوات حين كانت تعيش في الصين. تلقت من خلاله مجموعة من الاتصالات من نساء تروي كلٌ منهن قصتها، وقد حقق البرنامج استحساناً من قبل جماعات حقوق المرأة لما يطرحه من صورة واقعية عن نساء الصين الحديثة.

مضت قرون خضعت فيها النساء الصينيات لآبائهن وأزواجهن وأبنائهن، تبعتها سنوات من الاضطراب السياسي جعلت النساء يخفن من المجاهرة بمشاعرهن وأفكارهن. ولكن شينران حازت بصورة سحرية على ثقتهن، ومن خلال تعاطفها ورهافة إصغائها أصبحت أول امرأة تستمع إلى قصصهن الحقيقية.

تناولت في كتابها الجديد "اشْتَرِ لي السماء: القصة الحقيقة لجيل الطفل الواحد في الصين" قانون الطفل الواحد وانتهاكه لحرية الفرد، مجيبة عن الأسئلة المطروحة بشأن ضرورته الاقتصادية والاجتماعية من عدمها.

انتقلت شينران عام 1997 إلى لندن، ولا تزال تعتبر نفسها صينية قلباً وقالباً. قالت لي ضاحكة، "صينيتي المفرطة تمنعني من أن أكون إنكليزية" شينران ليس اسمها الحقيقي. وحين سألتها عن سر اختيار الاسم وإن كانت تتخفى من ماض سابق أو تود إلغاء هوية سابقة، رفضت الإجابة.

أسست في عام 2004 مؤسسة خيرية مقرها بريطانيا تحت عنوان جسر الأم للحب بغرض "مد يد العون إلى الأطفال الصينيين في كل أرجاء العالم: من تربوا خارج الصين، من تبنتهم أسر غربية، من يعيشون في ظروف معيشية بائسة بالصين". وهكذا تجاهد لمد جسور التفاهم بين الصين والدول الغربية لمساعدة هؤلاء الأطفال المغتربين على استيعاب أصولهم وجذورهم.

وقد أطلعتنا في حوارها مع "الجديد" على الوجه السلبي للاقتصاد والمجتمع الصينيين.

شينران أول من ظهر صوت المرأة المقموع في الصين

هالة صلاح الدين

■ الجديد: الصين نموذج اقتصادي خارق، تكاد تكون ظاهرة متفردة. فقد تطوّرت في غضون العقدين الماضيين بسرعة متناهية على المستوى الاقتصادي والعسكري. يقول البعض إنه من المحتوم لهذا التقدم المتسارع أن يشهد انخفاضا متسارعا على نحو معادل. هل تنتابك أيّ مخاوف من انزلاقه إلى مزالق تعوق بلوغ الرخاء؟

● **شينران: لا شك أن الصين أنجزت في الثلاثين عاماً الأخيرة عدداً من التحسينات. انتقلت من اقتصاد فقير، اقتصاد "الأخ الأصغر"، لتصير قوى عظمى. لم يسبق لدولة أخرى في تاريخ الإنسانية أن حسَّنت من الظروف المعيشية لما يزيد على بليون نسمة في مثل هذه الفترة الوجيزة. لا أعتقد مع ذلك أنه وضع اقتصادي يقف على أرضية ثابتة لأنه تشيَّد دون نظام قضائي مستقل أو معرفة عالمية ذات خبرة أو حرية تعبير.**

ولكني أعتقد شخصياً أن الصين في سبيلها الصحيح في اتجاه المستقبل. قد تقْطع مسيرة طويلة حتى تصل إلى مجتمع عادل وتُحقق منظوراً عالمياً، ولكن الجيل الجديد من موظفي الحكومة الصينية أدركوا الأخطاء التي ارتكبوها جراء التطورات المتغيرة المتسارعة كالفساد ونقص الخبرة والنظام القضائي الرديء. لذا شرعوا في اتخاذ خطوات أكثر فعالية من أجل تطهير نظام الأحزاب السياسية وإعادة تشكيل الاقتصاد الصيني.

مجتمع العائلة

■ الجديد: صرحت يوماً بأنك "متفائلة بمستقبل الصين". كيف يستقيم تفاؤلك مع ديكتاتورية متشعبة تتفشى في كل نواحي الحياة في الصين ويد سلطوية تتسلط على الدين والحريات الجنسية وتنتهك حرية التعبير في وسائل الإعلام والشوارع وتضيّق تماماً على التعددية السياسية؟

● **شينران: السبب الذي يجعلني مؤمنة بالأمل في مستقبل إيجابي للصين هو أن هذه الأمة تُرسّخها حضارةٌ ترجع إلى ما يربو على 5000 عام، ويُشكلها مجتمعٌ يتكل على العائلة، وتَنعم بثقافة في منتهى الثراء، ثقافة تتعلق بكل شيء بدءاً من الوجبات اليومية وصولاً إلى المعتقدات الروحية. وعليه فإن أيّ فترة قصيرة من الفوضى السياسية أو حتى الحرب الأهلية لن تستطيع أن تقضي على الأساس المتين الذي تقف عليه الصين.**

الحق أن مواطني الصين لم يجمع بينهم أبداً دينٌ قومي. فقد أقبلت كل الأديان إلى الصين بعد فترة طويلة من الفلسفة الصينية القديمة، على الأقل بعد 1500 عام. وبمقدورك أن تري من لغتنا وفلسفتنا وحياتنا اليومية أن الدين لم يكن قط في محور المجتمع الصيني.

أمَّا الجنس، فهو جانب كبير جداً من الاختلاف الثقافي بين الصين وبقية العالم. لو تعلمين كيف يحترم الصينيون الفراش، سوف تفطنين إلى أننا نتعاطى معه بجدية أكبر بكثير من أيّ ثقافة أخرى. إن الفراش بالنسبة إلى الصينيين هو "أرض العائلة المقدسة".

أمَّا حرية التعبير فهي أصعب باب يمكن فتحه أمام الثقافات الشرقية. يمكنك أن تعي الصعوبة في العائلات الشرقية: يكاد يجرؤ الأطفال على مناقشة آبائهم أو معلميهم أو أيّ شخص يحتل مرتبة أعلى أو سنّاً أكبر، ولكن دون حرية التعبير لن ننال مجتمعاً عادلاً. حرية التعبير معضلة في الصين غير أنها ليست معضلة في الصين وحدها. إنها، بطريقة أو بأخرى، مشكلة كل دولة. ولا زلنا نحارب في سبيل معتقداتنا وعدالة ذات وجه واحد للجميع.

حزب أبوي

■ الجديد: يمكن وصف الصين بأنها مخلوق ذو جسد رأسمالي ورأس شيوعي، ألا يمكن أن يهدد هذا التناقض البيّن الدولة ذاتها بالانهيار يوماً؟ كيف بوسع الحزب الشيوعي التطور ليصبح ديمقراطياً وهو لا يزال يهيمن على كل قطاعات الحياة العامة؟

● **شينران: أجل، تَلوح الصين في اللحظة الحالية مثل هذا المخلوق. ولكني أعتقد أن الحزب الشيوعي الصيني تحوَّل إلى حزب سياسي مختلط يضم شيوعيين ورأسماليين إبان الثلاثين عاماً الماضية. وما مكَّنهم من الهيمنة على كل جانب من جوانب الحياة العامة هو لعب الحزب السياسي دوراً أبوياً في مجتمع يعتمد على القيم العائلية.**

الحق أني أتفق لدرجة ما مع تصوير الإعلام الغربي للمجتمع الصيني باعتباره مجتمعاً يقهره النظام السياسي ويتلاعب به إلا أن الإعلام الغربي يفتقر هو الآخر إلى المعرفة بتاريخ الصين وثقافتها. لذا يَنقصهم الكثير من الاستيعاب لما يفكر فيه الصينيون وكيفية بلوغهم هذا التفكير.

تلك الهوة

■ الجديد: هل تعتقدين أن الشركات الغربية الرأسمالية العاملة في مدن الصين وقراها، موظفةً الأيدي العاملة الرخيصة، تفي بحق العامل الصيني؟

● **شينران: لا، بالقطع لا. إن تعاملاتها يشوبها الاستغلال والسخرة. لقد تولاني الغضب من هذا الوضع عندما كنتُ أجري الأبحاث في الثلاثين عاماً الماضية. وبالرغم من إدراكي أن ذلك الدخل الزهيد جداً يزيد بكثير عن أيّ شيء قد يكسبه أغلب المهاجرين من الريف من الأرض خلال عام، أعتقد أن العديد من الشركات الرأسمالية جنت أموالاً غير شريفة من أجل الربح ليس إلا. أعتقد أيضاً أن المزيد والمزيد من الأيدي العاملة الرخيصة سرعان ما ستعي هذه الحقيقة وتطالب بحقوقها من الشركات الرأسمالية.**

لم تعد هوّة الفقر الساحقة تقتصر على الصين وحدها، يمكن أن نجدها عبر العالم في الأنظمة المالية والاستثمارية الفاسدة. وسوف تدفع الصين ثمن هذا الوضع إن لم تستطع الحكومة التحرك في الوقت الملائم، ولهذا سوابق في التاريخ الصيني.

أصوات الشرق

■ الجديد: كيف ترين خيارات الصين السياسية، ولا سيما دعمها غير المنقوص لنظام بشار الأسد في سوريا؟ هل يعبأ المواطن الصيني العادي بالربيع العربي أم أنه منهمك في قوت يومه؟

● **شينران: لقد تحدثت بالفعل عن هذه العلاقة في كتاب "شاهد الصين: أصوات من جيل صامت". يهتم الصينيون حقاً بما يجري في الشرق الأوسط لأن رابطاً عميقاً يربط تلك المنطقة من العالم بالمسلمين الصينيين منذ ما يعود إلى 1500 قبل الميلاد على الأقل، وأحد أسباب هذا العمق كان طريق الحرير قديماً وكون المسلمين الآن أكبر أقلية في الصين. يتقاسم المسلمون الصينيون نظاماً عصبياً متأصلاً مع الشرق الأوسط.**

جبال الماء

■ الجديد: كتبت عن حقوق الإنسان في إقليم التبت في كتاب "دفن سماوي"، كيف تمكنت الصين من التحكم في هذا الإقليم طيلة كل هذه السنوات؟ وهل يستغل النظام سلمية أهل الإقليم؟

● **شينران: لو تطلعت إلى الخريطة، سوف تكتشفين أن 95 بالمئة من مصادر الصين المائية تنبع من التبت. لذا مع اكتشاف الصينيين لذلك في العهود القديمة، لم يتركوا التبت مطلقاً تحت سيطرة أحد، ولا حتى سيطرة أهلها. في الوقت ذاته لا تنتج التبت شيئاً، وكذا الدول المتاخمة لها، وعليه فالمؤن الحياتية، عدا الطعام وتربية الثور البري، تأتي من التجارة مع الصين. لقد تواصلت التجارة على طريق الحرير لمدة 3000 عام بسبب هذه الحاجات المتبادلة. أعتقد أن الصينيين وأهل التبت يسعون إلى السلام من أجل مستقبلهم. لم أؤمن قط أن الحرب تجلب السلام أو تصنعه بين الثقافات المختلفة.**

أجل ولا

■ الجديد: تسددين بصراحة مطلقة علامات الإدانة إلى أشرار الصين على كل المستويات، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. هل تخشين أيّ اتهامات بالخيانة يصوبها إليك موالو النظام في بلدك الأم؟

● **شينران: أجل، ولا. أجل، لأن سوء الفهم قد يؤذي الناس أحياناً. لا أود أبداً أن أجرح أيّ صيني كابد الكثير في حياته من جراء الفقر والفوضى السياسية والحروب الأهلية والرقابة والجهل الجنسي.**

لا، لأنه من واجبي كصحفية أن أجاهر أثناء حياتي بحقيقة ما يقع في الصين، وأن أهب الصينيات صوتاً، فهن لم يفزن قط بفرصة للحديث علانية. ودون قدر من الصدق والإنصاف، لن ننعم بأيّ عدالة أو تفاهم.

أزواج آلهة

■ الجديد: كانت الصينيات يعتقدن - ولا زلن يعتقدن في الريف - أن أزواجهن آلهة. هل لاحظت تغيراً كبيراً بين وضع المرأة الصينية حين كنت تقدمين برنامجك الإذاعي ووضعها الحالي في المجتمع؟

● **شينران: الصين بلد مترامية الأنحاء، تقريباً في حجم أوروبا بأكملها، وهناك فجوة عظيمة بين المدن والأرياف. لذا تختلف توجهات الصينيات وفقاً لموقعهن أو حتى الجيل الذي ينتمين إليه. وفي الأغلب لا تختلف رؤية ساكنات المدن للحياة عمّن يعشن في الغرب لأنهن حصلن على قدر من التعليم. ولكن الريفيات الفقيرات لا زلن يعشن بالمعتقدات والتصرفات التقليدية ذاتها التي اعتنقتها الأجيال السابقة.**

يد الرقيب

■ الجديد: تُرجم كتابك الشهير "نساء من الصين: قصص وأسرار" إلى أكثر من 30 لغة عالمية، ومنها اللغة العربية عن دار الساقي اللندنية. يضم قصصاً تؤطر القيود الخطيرة المفروضة على الصينيات، ويتكل على حكايات مروعة تناهت إليك من الصينيات عن القهر والجنسانية والفقر وسفاح القربى والاغتصاب وإساءة المعاملة. كيف كان رد فعل السلطات على برنامجك الإذاعي؟

● **شينران: لم يسمحوا أبداً بإذاعة معظم القصص المنشورة في "نساء من الصين". وكثيراً ما عاقبوني لبرامجي "الطائشة" التي اتكلت على حواراتي. لأن أيّ شيء يتعلق بالدين والتاريخ والنظام القضائي والجنسانية ممنوع في وسائل الإعلام العامة حين كنت أعمل هناك. طفقوا الآن ببطء يتحدثون في هذه المواضيع غير أن الكثير منها لا يزال تحت سيطرة يد الرقيب. يحوي الكتاب قصصاً مروعة أحلم بها ليلاً فتفزعني مثل "الفتاة التي ربَّت ذبابة" و"التل الصارخ".**

جسد المرأة

■ الجديد: أيديولوجيا هل تصنفين نفسك كنسوية؟

● **شينران: أعتقد أن الأمر يتوقف على معيار الحكم على النسوية ذاته. أؤمن بأن هناك فروقاً هائلة بين الرجل والمرأة، جسدياً ونفسياً، وأظن أنه من الصعب فهم المساواة بين الرجل والمرأة دون فهم الفروق بين النوعين. الأم التي تختار أن تكون ربة منزل ينبغي أن تتقاضى أجراً على تربية أطفالها لأن الأمهات هن أول معلمات للأولاد، يضعن الأساس لمستقبل المجتمع، وهن جزء لا يتجزأ من المستقبل المهني للرجل. ينبغي أيضاً أن تأخذ النساء إجازات خلال دورتهن الشهرية طيلة مسيرتهن المهنية لأنهن يدفعن ثمناً جسدياً لمستقبل التطور البشري. وينبغي للنساء أن ينلن الحق في اتخاذ القرارات بشأن أجسادهن.**

ينشر المقال بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية والنص كاملا على الموقع الإلكتروني لـ«العرب»

كوميديا سوداء وصورة مجازية لموت القارة العجوز

خاتمة ثلاثية السينمائي روي أندرسون المليئة بالمفارقات

أمير العمري

مشهد التدريب على رقص الفلامنكو: الرغبة والإيروتيكا

❑ كتبت من قبل عن التجربة السينمائية للمخرج السويدي روي أندرسون الذي أخرج حتى الآن ومنذ أن بدأ الإخراج السينمائي قبل 45 عاما، خمسة أفلام روائية طويلة فقط، أهمها ثلاثيته الأخيرة التي بدأها عام 2000 بفيلم "أغنيات من الطابق الثاني" ثم "أنت أيها الإنسان" عام 2007، واختتمها بفيلم "حمامة جلست على غصن تتأمل في الوجود" (2014) الذي حصل على "الأسد الذهبي" في مهرجان فينيسيا العام الماضي.

وقد رأيت في مقالي السابق أن الفيلم الأخير يستحق مقالا مستقلا، كونه يلخص تجربة مخرجه، ويجسد رؤيته السينمائية كما لم يسبق أن جسدها أي فيلم من أفلامه. يتضمن الفيلم، مثله مثل الفيلمين السابقين، عددا من المشاهد التي يغلب عليها الصمت، مصورة داخل الأستديو الخاص بالمخرج، وهو الذي قام بنفسه برسم وتصميم المناظر التي تظهر في خلفية المشاهد. وجميع المشاهد داخلية، باستثناء 3 مشاهد أحدها في حديقة حيث تدلل امرأة طفلها الرضيع، والثاني يظهر فيه زوجان في نافذة يتناوبان تدخين سيجارة، والثالث لصاحب دكان لبيع الجبن، يقف أمام دكانه يدخن. تربط بين معظم مشاهد الفيلم، شخصيتان طريفتان لرجلين تجاوزا منتصف العمر هما "سام" و"جوناثان"، والرجلان دائما التجهم رغم أن عملهما يتلخص في الترويج لبعض الطرائف والأقنعة التي يفترض أن "تدخل البهجة على نفوس الناس"، كما يرددان طوال الوقت وهما يترددان على المنافذ المخصصة لبيع مثل هذه الأشياء. يخذلهما الواقع باستمرار، فموزعو هذه السلع، لا يسددون الثمن، والشركة التي يعمل لحسابها سام وجوناثان، تهددهما بالاستغناء عن خدماتهما، وهما سيفقدان فعلا عملهما في النهاية، ثم يتبادلان الاتهامات، لكن دون أن يفقدا القدرة على تعزية أحدهما الآخر. إنه فيلم عن الموت، يربط سام وجوناثان بين مفاصل الفيلم، لكنهما لا يظهران في كل مشاهده، إنهما تجسيد للترهل والكسل والعجز والإحباط والكآبة والفشل، والدوران في الفراغ.

لقاءات مع الموت

في المشهد الأول نرى رجلا من تلك الشخصيات "الرمادية" المكتئبة الصامتة التي نشاهدها في أفلام الثلاثية، داخل متحف للتاريخ الطبيعي، يتأمل حمامة محنطة مرفوعة على جذع شجرة داخل علبة زجاجية. هذه الحمامة التي اقتبسها روي أندرسون من لوحة "صيادون في الثلج" للفنان الهولندي "بيتر بروغل"، من عصر النهضة، تعود إلى عام 1565، وفيها تبدو ثلاث حمامات تقف في أعلى شجرة داخل غابة تغطيها الثلوج بينما ينتشر الصيادون في أرجائها، وكل حمامة منها ترقب الأفق من زاوية مختلفة.

> يتخذ بناء الفيلم سينمائيا، الشكل المضاد للبناء العقلاني المحكم، بل يبدو مفككا، مفتوحا، فيه قدر من «الفوضى» الظاهرية، والتشظي، والصمت، والسخرية، وكلها من سمات ما بعد الحداثة

بعد هذا المدخل يظهر على الشاشة عنوان "3 لقاءات مع الموت". وعلى إيقاع الموسيقى الجنائزية المستمرة من البداية، نشاهد رجلا يقف في صالة شقته الضيقة، يحاول بكل جهده نزع سدادة زجاجة خمر، بينما تغسل زوجته الصحون في المطبخ وهي تدير ظهرها للكاميرا. تستمر محاولات الرجل نزع السدادة إلى أن يسقط ميتا. وفي المشهد التالي ترقد امرأة مسنة مشرفة على الموت على الفراش في غرفة بمستشفى، تقبض بقوة على حقيبة يدها. يزورها أبناؤها الثلاثة. ترفض بإصرار التخلي عن الحقيبة بل تتشبث بها بقوة وتصرخ كالأطفال كلما حاول أحدهم انتزاعها منها. وفي المشهد الثالث، يسقط رجل ميتا على أرضية حانة بعد أن طلب شطيرة وكأسا من البيرة. يتطلع الجميع إليه في صمت. يفشل رجال الإسعاف في إنقاذه. تلتفت الساقية تسأل الحاضرين: ماذا سنفعل بما طلبه الرجل ولم يتناوله؟ يتقدم رجل يتطوع بقبول كأس البيرة فقط.

بعد هذا المدخل الغريب، ننتقل إلى قاعة للتدرب على الرقص حيث نرى مجموعة من الفتيات والشباب تدربهم امرأة لاتينية سمينة على رقص الفلامنكو. مع تكرار حركات أجسادهم، تقترب المرأة من شاب جميل تتحسس جسده في اشتهاء واضح بينما يقاوم هو في نفور. هذه الحركة تتكرّر مرات عدة. وعلى أرضية الرواق خارج القاعة تجلس عاملة نظافة منهكة القوى، تجيب على مكالمة هاتفية.. تردد بشكل آلي أنها سعيدة بأن الطرف الآخر على ما يرام.

في صالون حلاقة يقف الحلاق يواجه الكاميرا يتطلع إلى الأرض.. هناك زبون واحد جالس في صمت هو "سام". الحلاق يقول وهو يخاطبنا، إنه كان قبطانا في البحرية لكنه ترك وظيفته بسبب معاناته من دوار البحر، وقبل العمل كحلاق بديل لزوج شقيقته المريض. يرن هاتفه. يجيب وينصت ثم يردد أنه سعيد بأن الطرف الآخر على ما يرام. يتسلل "سام" خارجا. في حانة تحت الأرض يجلس "سام" ويدخل زميله "جوناثان" حاملا الحقيبة التي لا يتركها وفيها تلك الألعاب والطرائف المسلية، ومنها قناع مخيف لرجل له ناب، يعتبرها الاثنان باستمرار: "اللعبة الجديدة التي نراهن عليها كثيرا"، جوناثان يفتح الحقيبة ببطء شديد لكي يعرض القناع للموجودين، ثم يغلقها بنفس البطء، وكثيرا ما ينسى القناع المخيف على وجهه.

عودة في الزمن

نعود إلى الوراء في الزمن إلى عام 1943، وداخل نفس الحانة نشاهد كيف يدفع الزبائن ثمن مشروباتهم بالقبلات والأحضان يقدمونها للساقية التي ترقص وتتمايل وهي تردد أغنية لا تزيد عن جملة واحدة، يعيدها الجميع وراءها. وداخل مطبخ في شقة فقيرة، يجلس رجل مترهل مشعّث الشعر في انتظار أن تنتهي زوجته من حديثها في الهاتف مع طرف آخر تقول له إنها سعيدة بكونه على ما يرام.

وإلى حانة مفتوحة على الشارع، يصل إليها سام وجوناثان لكنهما لا يتمكنان من استكمال عرض السلع التي يبيعانها، وفجأة يختلط الحاضر بالماضي البعيد في نفس المشهد، أي في القرن السادس عشر، هنا يصل رئيس حرس ملك السويد شارل الثاني عشر إلى الحانة وهو على صهوة جواده، يطرد النساء لأن "الملك لا يحب رؤية النساء"، ثم ينكل مع باقي الحرس، برجل انصرف إلى اللعب على آلة من تلك الآلات المنتشرة في الحانات الأوروبية ويجرونه إلى خارج الحانة. يواصل فرسان جيش الملك السير في استعراض عسكري خارج الحانة، ثم يدخل الملك الشاب ليبدي إعجابه بالفتى الواقف خلف البار، ويأمر بضمه للجيش على أن يبيت ليلته في خيمة الملك. وعلى نفس إيقاعات ولحن الأغنية التي سمعناها في الحانة من 1943، ينشد الجنود في الخارج نشيدا يتغنى بقوة جيش الملك. هنا تصل سخرية أندرسون إلى ذروتها، إنه يتلاعب بالتاريخ، فعلى حين يصور بلادة وسلبية السويديين الذين عاشوا الحياد أثناء الحرب العالمية الثانية ويجعلهم مفلسين، يسددون ثمن مشروباتهم بالقبلات، يجعل الملك، الذي قيل الكثير في مديح "ذكورته" منجذبا للشباب، وفي مشهد آخر يصور عودة جيشه من الحرب مهزوما، ثم نرى الملك وقيادات جيشه داخل الحانة نفسها حيث يقول قائد الحرس في سخرية: لو كان لدينا فقط خيول أكثر، ولو لم تسقط الأمطار، فيتساءل الملك الشاب: أمطار؟ هل أمطرت؟ فيرد قائد القوات: لا أعتقد ذلك ولكن كان من الممكن أن يحدث.

عن الإنسان الحديث

يحمل القسم الأخير من الفيلم عنوان "الإنسان الحديث" باللاتينية Homo Sapiens، في إشارة إلى أول ظهور لسلالة الإنسان كما نعرفه اليوم، وننتقل إلى داخل معمل حيث نرى قردا يصرخ وهو يتعرض للتعذيب بأسلاك الكهرباء، بينما تقف امرأة تتطلع إلى الخارج من النافذة، مثل كثير من شخصيات الفيلم. وفي مشهد آخر نرى الجنود البريطانيين في إحدى المستعمرات الأفريقية يدخلون الأفارقة داخل إسطوانة ضخمة من النحاس، ثم يشعلون النار أسفلها فتدور حول نفسها، ثم يهبط لفيف من عجائز الأرستقراطية الأنكليزية من الرجال والنساء يتحركون كالجثث، يتطلعون إلى ذلك الاختراع الجديد في إعجاب.

روي أندرسون يرثي الحضارة الأوروبية الحديثة ويسخر منها، ويرى أنها تشهد نهايتها. ينتقل الفيلم من الكوميديا السوداء إلى التراجيديا، ومن القصص الشخصية التي يريد أن يعبر من خلالها عما آل إليه الإنسان الأوروبي، من فقدان القدرة على التخاطب مع الآخر، من ذلك الإحساس السوداوي بالعالم، من حالة الاكتئاب العام، ومن تفاهة التمسك بالشكليات والصغائر حتى أمام الموت، إلى تلك القسوة التي أنزلها الأوروبي بالآخر من خلال "الآلة" التي يفترض أنها جاءت نتيجة التقدم العلمي. اللغة المنطوقة عند أندرسون تبدو كما لو كانت قد فقدت قدرتها على التعبير، فالجميع يكررون نفس العبارة دون معنى. وكل شخصيات الفيلم حزينة، وحيدة تفتقد الدفء الإنساني، والشعور بما يدور من حولها. وجميعهم ينتظرون الموت أو هم موتى بالفعل.

لوحات سوريالية

وشأن الفيلمين السابقين، لا يعتمد أندرسون على خط سردي تقليدي يتطور من مشهد إلى آخر، بل على التعبير باستخدام مشاهد متفرقة مثل اللوحات السوريالية، التي تنبع معانيها من تكويناتها التي يمكن للمشاهد تأملها من خلال اللقطات الطويلة الثابتة من زاوية مباشرة أمامية، تظهر التفاصيل كاملة في لقطات عامة. وهو يستخدم اللونين الرمادي والأصفر أو "البيج"، مع استخدام الموسيقى الإيقاعية وتحريك الشخصيات في إطار الكادر مما يخلق الكثير من الحيوية ويعوض سكون الكاميرا، كما يجعل من حركة الشخصيات، ومعظمها يسير بصعوبة، كما لو كان سيسقط في أي لحظة، تعبيرا عن الألم والعجز والشيخوخة. ويتحدث كثير من الشخصيات إلى الكاميرا مباشرة لكسر الإيهام على طريقة مسرح بريخت، كما تبدو شخصيات أخرى مشغولة تماما عن الآخر الذي يجاورها في المكان، فكل يبدو وكأنه يعيش في عالمه الخاص، بما في ذلك رواد الحانات. والحانة عند أندرسون، كما في أفلام الثلاثية عموما، معادل للقبر، فمعظم هذه الحانات تقع تحت الأرض، والحركة فيها ساكنة تماما، والوحدة قاتلة، الألوان باردة، والموت يقع فيها كما نرى في المشهد الأول، أو يوشك على الإطباق على باقي الشخصيات. وظهور الملك شارل الثاني عشر يبدو كما لو كان صورة لشبح يتراءى لمجموعة من الأشباح التي تسكن قبرا، فهو ليس حلما بل رؤية لما بعد الموت.

يتخذ بناء الفيلم سينمائيا، الشكل المضاد للبناء العقلاني المحكم، بل يبدو مفككا، مفتوحا، فيه قدر من "الفوضى" الظاهرية، والتّشظي، والصّمت، والسّخرية، وكلها من سمات ما بعد الحداثة. ورغم طابعه السوريالي، إلا أنها ليست سوريالية بونويل أو خودوروفسكي، فهي لا تقوم على الهواجس الجنسية وعالم الأحلام عند فرويد، بل سوريالية تنبع من غرابة ما يعتبر من الأشياء العادية، لكنها في عاديتها الظاهرة، تجسد اللامعقول أو اللاعقلاني، وهو بهذا يقترب من مسرح العبث عند بيكيت، ومن سينما جاك تاتي، بشخصياته العادية التي تنبع غرابتها من عاديتها الشديدة. يرسم أندرسون ملامحها بدقة، كما يحدد ما يريده في كل مشهد، مدققا في تفاصيل الصورة، يخفي مصدر الصوت، يوظف الديكور لكي يوحي بالقِدم، بشيخوخة العالم القديم، الذي يعانيَ من الفراغ، فالمساحات الخالية كبيرة، وقطع الأثاث محدودة.

ومن أكثر المشاهد تجسيدا لعبثية الفيلم عندما نرى رجلا متقدما في العمر، يقف وسط مكتب محدود الأثاث، يقبض على مسدس، تطغى معالم الاكتئاب على وجهه، يضع على أذنه سماعة هاتف يستمع من خلالها إلى الطرف الآخر، ويردد بشكل آلي كما يفعل الآخرون، أنه سعيد لسماع أن الآخر على ما يرام، في حين أننا ندرك أنه سينهي حياته بعد نهاية المكالمة، وهو ما لا يصوره أندرسون بالطبع، فهو يعرف أيضا ماذا يكشف وماذا يخفي. وهذه بلاشك، إحدى سمات الفن العظيم.

آلة سلخ البشر: اختراع المستعمر البريطاني

الصحراء البيضاء رحلة إلى الجنة الأرضية في مصر

المكان يجمع إبداع الطبيعة وأسرار الفراعنة وهيبة الصحراء

الصحراء البيضاء في مصر تمثل اكتشافا حقيقيا بالنسبة إلى زوار مصر والقاصدين وجهاتها المعتادة، وتكمن فرادة المكان في جمعه لخصائص عدة في الآن نفسه بدءا بسحر الطبيعية وصولا إلى هيبة الصحراء مرورا بإنجازات فرعونية مذهلة.

منطقة قمم المشروم استراحة للزوار حيث تحيط بها أشجار النخيل والزراعات الكثيفة وينابيع المياه

أحمد حافظ

❏ **القاهرة** – على بعد 570 كيلو مترا جنوب غرب القاهرة، تقع محمية الصحراء البيضاء بمحافظة الوادي الجديد، التي تضم تحفا طبيعية لا مثيل لها في العالم، واعتبرتها الحكومة المصرية متحفا مفتوحا للبيئات الصحراوية والظواهر الجغرافية والحفريات والحياة البرية.

تضم الصحراء البيضاء آثارا وأدوات ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ، ومشغولات فخارية كان يستعملها البشر الذين قطنوا تلك المنطقة منذ الآلاف من السنين، فضلا عن بقايا مومياوات قديمة ونقوش منحوتة تعود إلى أيام الفراعنة، إلى جانب مناظر الكثبان الرملية والتكوينات الجيولوجية لصخور الأحجار الجيرية ناصعة البياض.

يكمن سر بياض هذه المنطقة من الصحراء في التركيب الجيولوجي لسطحها، لأنها مكونة من صخور الطباشير الأبيض، التي يعود أصلها حسب خبراء الجيولوجيا، إلى بحر يعرفونه بأنه جدّ البحر المتوسط الحالي، وكان يعرف ببحر "تيثيس، يغطي شمال أفريقيا وأجزاء كبيرة من شبه الجزيرة العربية وإيران.

> التنقل داخل المحمية يختلف وفقا للوجهة و يتم عبر امتطاء سيارات رباعية الدفع أو ركوب الإبل أو السير على الأقدام

منذ نحو 80 مليون سنة، أي خلال العصر الجيولوجي الطباشيري، انحسرت مياه البحر، تاركة قاعه جافا إلا من بقايا أصداف وهياكل الحيوانات الجيرية التي كانت تعيش هناك في تلك الحقبة الزمنية، وحين نفقت هذه الحيوانات خلّفت صخورا من الطباشير.

الصحراء البيضاء التي استحالت محمية طبيعية منذ حوالي 13 عاما حفاظا على ثرواتها الجمالية الطبيعية تبلغ مساحتها الإجمالية 3010 كيلومترات، ويكسو اللواء الأبيض معظم صخور المحمية، كما أنها تملك صخورا طباشيرية ضخمة، ما جعلها مقصدا للسائحين من جميع أرجاء العالم للاستمتاع بجمال طبيعتها الخلابة، وهم يمثلون حسب إحصائيات رسمية، 10 بالمئة من إجمالي عدد السائحين القادمين لمصر، و تقام فيها العديد من الأنشطة مثل السياحة البيئية وسياحة السفاري.

تحتوي المحمية على مجموعة من النباتات النادرة مثل لبخ الجبل، والرطريط الأبيض، والشويكة، والعجرم، وغيرها، كما تضم العديد من الحيوانات والطيور النادرة المهددة بالانقراض مثل الورل الصحراوي، والحية المقرنة، والعقرب الأصفر، وسحلية قاضي الجبل، والغراب النوحي، والمكاء وغيرها، وتعتبر الصحراء مأوى بعض أنواع الثعالب والغزلان كالغزال الأبيض والغزال المصري والكبش الأروي.

كما تضم المحمية عيونا مائية طبيعية، أهمها عين حضرة، وعين السرو، وعين المكفي، وتحيط بها أشجار النخيل والزيتون والأكاسيا والمزروعات الكثيفة وبعض النباتات الأخرى، وتوفر تلك العيون المياه للحيوانات التي تعيش في رحاب المحمية.

تتمتع الصحراء البيضاء بميزة أخرى، وهي بعدها عن الكثافات السكانية، مما يضفي على أجوائها هدوء ساحرا، كما أن الصخور تتميز بظاهرة غريبة تتمثل في تجميع أشعة الشمس طوال النهار، لتبدو في الليل كالفانوس المضيء وسط الظلام، وهذا يرجع إلى تكوينها الجيري الأبيض الذي يمتص أشعة الشمس فتحدث توهجا من اللون الأبيض الساطع طوال الليل.

يقول محمد الخطيب مرشد سياحي للرحلات لـ"العرب" إن السائحين يصابون بالدهشة لما يشاهدونه من آثار وتحف طبيعية في هذا المكان، مضيفا أنه يزور هذه المنطقة في العام الواحد أكثر من 30 مرة، وفي كل زيارة يشعر وكأنها الأولى، بسبب طبيعة المكان الرائعة، إضافة إلى أنه آمن جدا، فلا توجد زواحف أو حيوانات خطيرة.

وأضاف أن السفر من القاهرة إلى المحمية يستغرق نحو 7 ساعات، بينما التحرك بين التلال والاستمتاع بالتجول داخل الصحراء يكون بسيارات الدفع الرباعي، وهناك وسائل أخرى مثل الإبل، حسبما يريد السائح، لكن لا بد من وجود مرشد رحلات يرافق السائح، حتى لا يضل الطريق وسط دروب الصحراء، والكثير منهم يصر على زيارة المحمية لقربها من موقع اكتشاف أقدم ديناصور في العالم، كما كشف بعض العلماء، أما النوم في الليل وسط النجوم، مع لون الصحراء الأبيض، فيعطي السياح إحساسا يشبه قضاء ليلتهم في قبة سماوية.

أما منطقة "قمم المشروم" التي تعتبر الأكثر جذبا للسائحين فقد سميت كذلك، حسب مرشد الرحلات، لوجود منحوتة كبيرة من الحجر الجيري تشبه "المشروم" أو ما يعرف بعيش الغراب،

وتعد الصخرة بمثابة استراحة للزوار حيث تحيط بها أشجار النخيل والزراعات الكثيفة وينابيع المياه ، أما الجزء الأسفل منها فيتكون من الطباشير الأبيض الذي يحتوي على رفات عدد كبير من الحفريات، ما يجعل المنطقة أشبه بالمتحف المفتوح للصحراء والحفريات والحياة البرية وغيرها من المكونات التي تمثل اكتشافا حقيقيا.

■ للسياح آراء

تيغزيرت الجزائرية تزاوج للبحر بالغابة والجبل

❏ **الجزائر** – في قلب منطقة القبائل الجزائرية نحو 120 كلم شرقي العاصمة الجزائرية، تنتصب مدينة تيغزيرت الساحلية كفضاء يسمح للبحر والجبل والغابة بالتعانق.

تتوسط تيغزيرت التي ينطقها البعض ثكزرْث، مدينتي دلس وبجاية، ويعني اسمها بالأمازيغية الجزيرة، وهو معنى توارثته المدينة منذ حقبة الرومان الذين أطلقوا عليها اسم إيومنيوم التي تؤدي المعنى الأول.

تمتلك المدينة زخما كبيرا من الإمكانيات السياحية وثراء طبيعيا، لا سيما النباتات، ويتنافس شجر الزيتون العادي ونظيره المتوحش بالاستحواذ على المكان الذي يغري بمزاولة الرياضة شتاء، والاصطياف صيفا وسط شواطئ رحبة تجمع بين الرمال الصفراء والحصى الجميلة، ما يثير الراغبين في الترفيه.

كل شيء جميل بتيغزيرت، سيما عندما يقف المرء على قمة جبل شرفة، فهو يوجد على أحد المرتفعات التي تعلو سطح البحر بـ130 مترا.

ومما يزيد المدينة إبهارا، تلك المناظر الفاتنة والأخاذة كالبساتين الممتدة على ضفتي الوادي الرقراق التي تتعانق فيها أشجار البلوط بأشجار الرمان و المشمش وغيرها من الأشجار المثمرة.

ويعدّ مرفأ تيغزيرت تحفة سياحية مهمة على نحو يؤهّله للارتقاء كأكبر مشروع تنموي واستثماري، تبعا لتحوّله في ظرف وجيز إلى أكبر مكان للمتعة والترفيه بعد إنشاء مساحات خضراء شاسعة أعطت الميناء شكلا طبيعيا جميلا وصورة سياحية خلابة تريح الأعصاب.

● **محمد من تونس:** المنطقة تشمل أيقونات تاريخية مهمة، فقد تعاقبت عليها حضارات كبرى منها الرومانية والنوميدية والوندالية والبيزنطية، ولا تزال شواهد أثرية ماثلة مثل الأطلال الرومانية والمعابد وغيرها، تتكلم عن حياة عامرة كانت تغمر المكان منذ الآلاف من السنين.

المعالم التاريخية الإسلامية والأضرحة أيضا تستهوي العديد من الناس حتى من البلدان المجاورة، فمدينة مثل تيغزيرت يمكن أن تستهوي في الآن نفسه مختلف شرائح العائلة بدءا بالشباب الباحث عن البحر وصولا إلى كبار السن حيث يجدون السكينة والراحة.

● **فرانشيسكا من إيطاليا:** الأمر ممتع فعلا، لا يمكن تصور الهدوء والراحة النفسية التي يحسها الإنسان عند القدوم إلى هنا. وفي الحقيقة لقد حثتني صديقاتي على زيارة هذا المكان السنة الفارطة عندما كنا لا نزال ندرس في روما، وفكرت فعلا في المجيء إلى تيغزيرت، حيث الشاطئ والشمس. كما أني دارسة تاريخ، ومختصة في البحر الأبيض المتوسط وحضاراته، وهنا نجد آثارا وحكايات قديمة ورائعة من حضارات الأمازيغ والرومان القديمة.

● **عبدالباسط من الجزائر:** قدمت من فرنسا صحبة أبنائي وزوجتي الأجنبية لأكتشف أمكنة لا أعرف عنها الكثير في بلدي.

أعتقد أن بلدة تيغزيرت قادرة على الارتقاء بالجزائر إلى مستوى متميز في قمة هرم السوق العالمية للسياحة، لكن ذلك مرهون بتوفير منتجات سياحية خاصة وجذابة.

على المسؤولين هنا أن يفكروا في تنويع مصادر الاقتصاد، فالثروات الطبيعية آيلة إلى الزوال والاستثمار في السياحة واعد.

■ أين تذهب

لبنان سخونة المشهد تبرده بلدات الاصطياف

❏ **بيروت** - لم تمنع درجات حرارة صيف لبنان المرتفعة، وسخونة المشهد السياسي، والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية، قرى الاصطياف، من مشاركة السياح فرحتهم وانتعاشهم بجمال الطبيعة.

وتستقبل عدد من القرى اللبنانية سنويا آلاف السياح بحثا عن الاستمتاع بطقسها المعتدل خلال الصيف حيث تتراوح درجات الحرارة فيها بين 25 و28 درجة مئوية.

بلدة عالية، التي تطل على العاصمة بيروت، وتبعد عنها 15 كلم، تغص هذه الأيام بأعداد كبيرة من السيّاح من مختلف البلدان العربية، ومواطنين لبنانيين قرروا قضاء الصيف بعيدا عن الأزمات وحر الطقس ورطوبته في مناطقهم الساحلية (35 درجة مئوية).

وتُعرف البلدة بعروس المصايف، وتتوزع على شوارعها الرئيسية، المقاهي، ومراكز التسلية، وأسواق تجارية تشهد حركة لا بأس بها. ويأمل أصحاب المقاهي والمتاجر في البلدة في أن تعطي هذه الحركية أكلها على مداخيلهم.

يقول غابي غريش، الذي يدير مطعما، في وسط البلدة إن "الحركة العام الحالي تبدو أقل من العام الماضي، إلا أننا نأمل تحسّن الأوضاع شيئا فشيئا".

وعاشت بلدة عالية فترات ذهبية في السياحة والاصطياف، حيث اصطاف فيها أكثر من 120 ألف سائح من كافة الدول العربية عام 2004، إلا أن الأحداث الأمنية والسياسية، وخصوصا اندلاع حرب يوليو 2006، أصابت البلدة في العمق، ما أدى إلى نقص لافت في عدد المصطافين، حسب رئيس بلدية عاليه، وجدي مراد.

البلدات الصيفية تمثل متنفسا حقيقيا للبنانيين و الأجانب

وقال مراد إن "الأزمة السورية منعت عشرات الآلاف من المصطافين من قضاء وقت في لبنان، والمجيء إليه عبر الحدود البرية".

غير أنه لفت إلى أن هذا الواقع لم يوقف عزم البلدية على استقطاب الزوّار، موضحا أن "الحركة بدأت تنتعش بعد عيد الفطر، وعدد كبير من العائلات الخليجية موجودة في البلدة، لقضاء العطلة الصيفية فيها". ووصف مراد، بلدة عالية بأنها هادئة، وآمنة، وجميلة، داعيا الجميع إلى زيارتها في أي وقت.

وفي كل من بلدتي صوفر وبحمدون الجبليتين، أسواق، ومقاه مجبولة بروعة الطبيعة والهدوء، وأمل بموسم واعد. وعلى بعد 33 كلم من بيروت، تحتفل بلدة حمانا على طريقتها بقدوم الصيف، فهي تشتهر بمبانيها القرميدية القديمة، وبفاكهة الكرز.

وإلى جانب الأهالي، احتشد المئات من المصطافين والسيّاح، للاحتفال بافتتاح حديقة عامة من شأنها أن تفعّل النشاط فيها.

وتقول نجلا المعلوف، القادمة من الولايات المتحدة الأميركية "لا يحلو لنا الصيف إلا في هذه البلدة". وبالنسبة إلى المعلوف فإن "حمانا هي الأجمل على الإطلاق، بأهلها، وطرقاتها، ومرافقها، ومناظرها الخلابة".

وبالقرب من حمانا، تقع بلدة فالوغا، على تلة تطل على وادي لامارتين الشهير، الذي يُعرف بسحره، واحتضانه لأشجار الصنوبر، والبيوت التراثية القديمة.

■ مواعيد سياحية

◄ خطة مصرية لجذب 7 ملايين سائح عربي

■ تتطلع وزارة السياحة المصرية لجذب 7 ملايين سائح عربي بحلول عام 2020. وقالت وزارة السياحة إن هذا العدد يشكل 3 من أصل 20 مليون سائح تستهدف استقطابهم الخطة الاستراتيجية المصرية، التي ترمي إلى تحقيق إيرادات بقيمة 26 مليون دولار لرفد الاقتصاد المتأزم منذ ثورة 25 يناير

◄ أسبوع للسياحة الفلسطينية في ميلانو

■ افتتحت وزارة السياحة الفلسطينية أسبوع فلسطين السياحي في معرض "إكسبو" بميلانو في إيطاليا. ويعتبر معرض إكسبو ميلان من أكبر المعارض العالمية، حيث تشارك فيه أكثر من 100 دولة، ومن المتوقع أن يستقطب أكثر من 35 مليون زائر. ويوفر المعرض فرصة لتسليط الضوء على مقومات القطاع السياحي الفلسطيني.

◄ مؤتمر للسياحة العلاجية بدبي في أكتوبر

■ تنطلق في مركز دبي الدولي للمؤتمرات، في أكتوبر المقبل، فعاليات الدورة الثالثة من المعرض والمؤتمر الدولي للسياحة العلاجية، بمشاركة أكثر من 100 عارض من أنحاء العالم. وقالت رئيسة شركة هيرشفيلد الاستشارية في الإمارات، إن الإحصاءات تقدر أن السياحة العلاجية في دبي تزيد بمعدل يراوح بين 10 و15 بالمئة كل عام.

◄ عدد زوار قياسي لمتحف متروبوليتان

■ زار 6.3 مليون شخص متحف متروبوليتان ميوزيوم في نيويورك خلال السنة المالية 2015 التي انتهت في يونيو، وهو عدد قياسي منذ بدء الإحصاء قبل أكثر من 40 عاما، على ما أعلن عنه مدير المتحف. ومتحف متروبوليتان في نيويورك هو من أكبر متاحف العالم ومن نقاط الجذب السياحي الرئيسية في المدينة، وهو يفتح أبوابه على مدار الأسبوع منذ أغسطس 2013.

◄ سياحة معرفية في عسير السعودية

■ افتتح أمير منطقة عسير رئيس مجلس التنمية السياحية الأمير فيصل بن خالد بن عبدالعزيز فعاليات ملتقى السياحة المعرفية الأول في أبها السعودية ويضم الملتقى 22 فعالية علمية ومعرفية ويستمر 25 يوما، كما يعد محطة مهمة لتعزيز السياحة المعرفية والاطلاع على الكثير من الفعاليات الداعمة لها.

مايكروسوفت تحصن مواقعها بإطلاق ويندوز 10

مخاوف من ارتدادات فشل ويندوز8 على النظام الجديد

برنامج التشغيل الجديد الذي أطلقته مايكروسوفت يتطابق مع جميع الأجهزة من الكومبيوتر إلى الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية في مسعى من الشركة لكسر هيمنة آبل وغيرها على سوق الأجهزة الذكية.

انتظارات كبرى يعقدها المستخدمون على ويندوز 10 بعد خيبة أمل رافقت النسخ الأخيرة

❏ **واشنطن** – أطلقت شركة مايكروسوفت نظام التشغيل الجديد ويندوز 10 الذي طال انتظاره.

وقالت الشركة إن ويندوز 10 –الذي يأتي بعد نحو ثلاث سنوات من إطلاق نظام التشغيل السابق للشركة– سيتاح كتحديث مجاني في 190 دولة لمستخدمي أنظمة تشغيل ويندوز 7 وويندوز 8.1 وويندوز فون 8.1.

وصمم نظام التشغيل الجديد للاستخدام في أجهزة الكمبيوتر المحمول والكمبيوتر المكتبي والهواتف الذكية وهو جزء من جهود الرئيس التنفيذي ساتيا ناديلا لاستعادة مكانة الشركة بأسواق الأجهزة اللوحية والهواتف المحمولة.

وفي الأسبوع الماضي قالت رئيسة القطاع المالي إيمي هوود إن الشركة تتطلع لجني عائدات من خلال بناء قدرات بحثية وترفيهية داخل ويندوز 10.

وتسعى مايكروسوفت من استراتيجية توفير نظام ويندوز 10 مجاناً إلى وضعه على أكبر عدد ممكن من الأجهزة. لتقوم الشركة بعد ذلك بتعويض أي عائدات مفقودة عن طريق بيع الخدمات، مثل حزمة أوفيس السحابية.

ويقول خبراء إن التحديث المجاني لن يقضم مبالغ كبيرة من إيرادات برنامج ويندوز، حيث لا تزال شركة مايكروسوفت تستوفي رسوماً سنوية من معظم الشركات، وشركات صناعة أجهزة الكمبيوتر التي تحمّل البرنامج على الآلات الجديدة ستستمر في الدفع، مع أن المنافسة من شركة غوغل قد أدت إلى قدر من إعادة التفاوض في الأسعار. في العالم الاستهلاكي، الخسارة المتوقعة من مبيعات البرنامج أجبرت شركة مايكروسوفت على

> أصيبت مايكروسوفت بنكسة كبيرة منذ إصدار ويندوز 8، الذي لم يلق ترحيبا من مستخدمي نظام ويندوز، الذين فضل معظمهم البقاء مع ويندوز

البحث عن أشكال جديدة من الإيرادات، خاصة من الاشتراكات المنتظمة لبرنامج أوفيس 365 والإعلان من محرك بحث بينغ.

وصمم نظام التشغيل الجديد ليعمل على الحواسيب الشخصية، والحواسيب المحمولة، والحواسيب اللوحية، والهواتف الذكية، وذلك جزء من خطة مايكروسوفت لكسر سيطرة شركتي آبل وغوغل على سوق الأجهزة الذكية.

ويشير ريتشارد ووترز في صحيفة الاقتصادية إلى أن شركة مايكروسوفت عانت في السنوات الأخيرة من تراجع هيمنتها المطلقة على سوق برامج التشغيل، بعد ارتفاع حصة آبل ولينوكس والبرامج التي تنتجها شركة غوغل مثل كروم أو.أس. لكن السبب الرئيسي هو زيادة استخدام الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية، التي تهيمن عليها بلا منازع أنظمة آبل ماك أو.أس واندرويد، الذي تنتجه غوغل.ويكمن التحدي الأكبر، في قدرة ويندوز 10 على تحقيق طموح مايكروسوفت في انتزاع حصة من سوق أنظمة تشغيل الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية، والتي لا تزال حصتها ضئيلة فيها رغم شرائها لوحدة نوكيا لصناعة الهواتف.وتواجه مايكروسوفت منافسة شديدة من نظام التشغيل آي أو إس" التابع لشركة آبل، ونظام أندرويد من غوغل، مع العلم أن الأخير يستحوذ على حصة الأسد من سوق الهواتف الذكية والأجهزة اللوحية.

وبدأ الأربعاء طرح أجهزة الحاسوب الشخصي والأجهزة اللوحية العاملة بنظام ويندوز 10 الجديد، في حين سيكون نظام التشغيل متاحاً للهواتف الذكية والأجهزة الأخرى في وقت لاحق من العام الحالي.

وكانت مايكروسوفت قد قالت في أبريل الماضي إنها تهدف لأن يكون هناك مليار جهاز يعمل بنظام التشغيل ويندوز 10 خلال العامين إلى الثلاثة أعوام المقبلة.

ودأبت مايكروسوفت في أنظمة تشغيلها السابقة على ترقيع وتحديث النظام السابق، لكنها قررت هذه المرة استحداث نظام جديد كليا، يبدأ من الصفر ويختلف جذريا عن أنظمتها السابقة في محاولة لاستعادة هيمنتها على سوق برامج تشغيل الأجهزة.

وأصيبت مايكروسوفت بنكسة كبيرة منذ إصدار ويندوز 8، الذي لم يلق ترحيبا من مستخدمي نظام ويندوز، الذي فضل معظمهم البقاء مع ويندوز 7.

وقد تكون تلك الخيبة السابقة عائقا أمام معظم مستخدمي أنظمة ويندوز للانتقال إلى النظام الجديد، بانتظار اكتشاف مواطن الخلل، التي تصاحب عادة إصدارات مايكروسوفت الجديدة في السنوات الماضية.

ويقول الخبراء إن مايكروسوفت دمجت أفضل خصائص ويندوز 7 وويندوز 8.1، فكانت النتيجة ويندوز 10.

وأعلنت أنها ستعمل باستمرار على إضافة المزيد من الخصائص المبتكرة إلى نظام التشغيل الجديد عوضاً عن إصدار نسخ جديدة في المستقبل القريب.

لكن الكثير من المواقع المتخصصة نصحوا مستخدمي الكومبيوتر بعدم المسارعة لتحميل النظام الجديد،وقد عمدت مايكروسوفت قبل أسابيع من الإطلاق الرسمي، إلى إتاحة النسخة الجديدة لمئات آلاف الأشخاص بهدف الاستماع إلى آرائهم وتجربتهم، وبالتالي تحسين النظام، وكان لافتا أن معظم الأصداء كانت إيجابية.

الهواتف الذكية.. تكنولوجيا تضعف ذاكرة الإنسان

❏ **القاهرة** – الهواتف الذكية هي أحد سمات العصر، لما تتمتّع به من إمكانيات وتقنية عالية، جعلت منها رفيقاً أساسياً للإنسان في حياته، تكون معه في كل مكان لتجعله في تواصل دائم مع العالم، وعلى الرغم من كل تلك الإمكانيات والإيجابيات للأجهزة الذكية فإنها لم تخل من سلبيات وتأثيرات ضارة على الإنسان، وخاصة ذاكرته وقدراته الذهنية من التركيز والتفكير.

تبلغ نسبة استخدام الأجهزة الذكية حول العالم حوالي 70 بالمئة، وتحتل دول أوروبا المركز الأول من حيث استخدام الهواتف الذكية، ثم تأتي آسيا والشرق الأوسط، وتزيد نسبة استخدام تلك الهواتف بين النساء بحوالي 65 بالمئة، وتبلغ لدى الرجال 40 بالمئة، وبالطبع ترتكز النسبة الأكبر من استخدام الأجهزة الذكية لدى فئات الشباب، من عمر خمسة عشر عاماً إلى خمسة وثلاثين عاماً.

ومع انتشار تلك الهواتف الذكية واعتماد الإنسان عليها بشكل شبه كامل في أداء الكثير من أعمال الذاكرة والدماغ، كحفظ الأرقام وتسجيل المواعيد، وتاريخ الميلاد، أدى ذلك إلى تأثيرات سلبية على ذاكرة الإنسان وتراجع قدراته الذهنية، فالاعتماد على الذاكرة البشرية تراجع بشكل كبير لدى معظم الناس، منذ أن أصبحت الأجهزة الذكية جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية، سواء من الناحية الترفيهية أو العملية، وازداد الأمر سوءاً بعدما أصبحت الهواتف متصلة دوماً بالإنترنت، فلم يعد الشخص بحاجة حتى لتذكر ومراجعة معلوماته العامة، كون أن بإمكانه اللجوء إلى محرّكات البحث المختلفة للحصول على المعلومة المطلوبة في أيّ وقت وأيّ مكان، ودون أيّ مجهود ذهني.

وعلى الرغم من نظر الكثير لإمكانيات وقدرات الأجهزة الذكية بشكل إيجابي، كونها تُعتبر طفرة تكنولوجية أتاحت للإنسان أن يجد كل ما يحتاج إليه، ويحتفظ به من بيانات ومعلومات في مكان واحد تحت الطلب في أيّ لحظة، فإنه على الجانب الآخر قد تكون لذلك عواقب وخيمة، كون أن الاعتماد على قدرات الهاتف، وعدم تنشيط المخ البشري والتكاسل عن حثه باستمرار على تخزين واستعادة البيانات المختلفة، والقيام بالعمليات الذهنية بشكل يومي، يؤدي مع الوقت لتبلّد الذهن وضعف الذاكرة، بمعنى أن كل الإمكانيات والتقنيات والقدرات التي توفرها التكنولوجيا الحديثة، قد تكون ضارة للإنسان من الناحية الصحية، وهو ما ساهم بقدر ما على انتشار فقدان الذاكرة التدريجي.

صيحات فزع في وجه تمدد أجهزة الذكاء الاصطناعي

❏ **واشنطن** – انضم عالم الفيزياء البريطاني الشهير ستيفن هوكنغ إلى عشرات العلماء والباحثين في الدعوة إلى حظر تسليح أجهزة الذكاء الاصطناعي واستخدامها في الحروب.

وحذر هوكنغ ومجموعة من العلماء الآخرين في رسالة مفتوحة من أنه إذا سارت أي قوة عسكرية كبرى قدما في تطوير تسليح أجهزة الذكاء الاصطناعي لاستخدامها في الحرب، فمن المحتمل أن يندلع سباق تسلح عالمي، وستكون نقطة النهاية في هذا المسار التكنولوجي واضحة، وهي أن تصبح الأسلحة التي تعمل بشكل ذاتي بمثابة كلاشينكوف الغد، بمعنى انتشارها في جميع الأنحاء". وأضافت الرسالة "إن بدء سباق تسلح باستخدام الذكاء الاصطناعي يعد فكرة سيئة، يجب منعه بفرض حظر على إنتاج الأسلحة الهجومية ذاتية التشغيل والتي تبتعد عن سيطرة البشر بشكل كبير".

ويتم تعريف الأسلحة ذاتية التشغيل بأنها تلك القادرة على أن تختار بشكل مستقل الأهداف المعادية ومهاجمتها، وهي لا تشمل الطائرات العسكرية بدون طيار.

وتتماهى هذه المخاوف مع تحذيرات مشابهة أطلقها أكاديمي بجامعة أكسفورد من تعرض الجنس البشري لخطر كبير قد يؤدي إلى انقراضه بنهاية المطاف بسبب إنتاج أجهزة فائقة الذكاء.

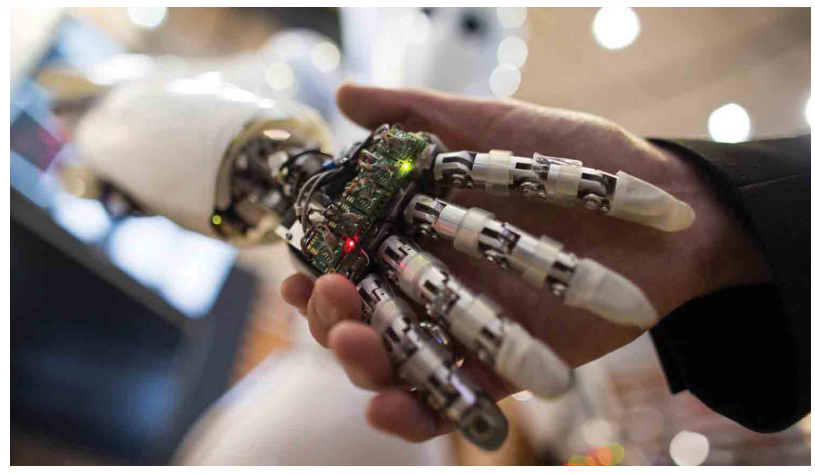

مخاوف من تجاوز ذكاء الآلات دائرة تحكم الإنسان

ونقلت صحيفة الغارديان البريطانية عن دراسة قام بها الدكتور ستيوارت أرمسترونغ أن رؤيته المثيرة للقلق يمكن أن تحدث في أقرب وقت من العقود القليلة المقبلة.وقال أرمسترونغ "سنواجه مستقبلا مخيفا عندما تصبح الآلات أكثر ذكاء من البشر". ويتخيل أرمسترونغ آلات قادرة على تسخير كميات كبيرة من قوة الحوسبة، وبسرعة غير معقولة مقارنة بالدماغ البشري، بحيث تشكل شبكات عالمية تتواصل مع بعضها البعض دون تدخل بشري.

وقد اصطلح على تسمية ما سبق بالذكاء الاصطناعي العام، فعلى النقيض من أجهزة الكمبيوتر التي تقوم بمهام محدودة، ستكون أجهزة الذكاء الاصطناعي قادرة على السيطرة على أنظمة النقل، والاقتصاديات الوطنية، والأسواق المالية، ونظم الرعاية الصحية، .

وتابع أرمسترونغ "كل شيء يقوم به الجنس البشر من أفعال وتصرفات يمكن أن تقوم به آلات ذكية خلال السنوات المائة المقبلة ولكن بسرعة أكبر بكثير ودقة أكثر".

ويشير خبراء عسكريون إلى تزايد الاعتماد على البرمجيات في الحروب إذ يمكن اليوم تشغيل طائرات مسلحة بدون طيار من خلال طيارين عن بعد من خلال متابعتهم لها عبر شاشات الفيديو على بعد آلاف الأميال من ميدان المعركة.

جديد التكنولوجيا

❏ كشفت شركة نوكيا الفنلندية التي كانت أكبر مصنع للهواتف بالعالم سابقا عن كاميرا واسعة المجال صممت لصنع أفلام وألعاب ثلاثية الأبعاد يمكن مشاهدتها وعرضها عبر سماعات توضع على الرأس تحاكي الواقع.

والكاميرا تلتقط تسجيلات مصورة ومسموعة عبر مجال 360 درجة مع ثماني نقاط استشعار وميكروفونات وهي الأولى من نوعها التي تنتجها نوكيا في مجال الحلول الرقمية التي تركز عليها الشركة في تحقيق النمو بالمستقبل.

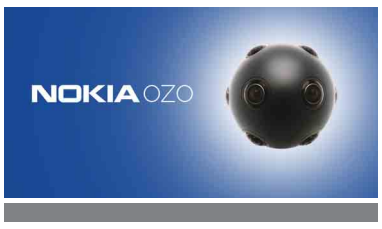

❏ حذر المكتب الاتحادي لأمن تكنولوجيا المعلومات بألمانيا من أن ملايين الهواتف الجوالة التي تعمل بنظام التشغيل أندرويد معرضة لخطر هجوم القراصنة عليها بسبب احتوائها على ثغرات أمنية كثيرة.

وأوضح خبير أمن تكنولوجيا المعلومات، يوشوا دراكه، أن هذه الثغرات موجودة في واجهة الوسائط المتعددة، ومن ثم يمكن أن تصل البرمجيات الخبيثة إلى الهواتف الجوالة وتستقر بها عن طريق رسالة وسائط متعددة.

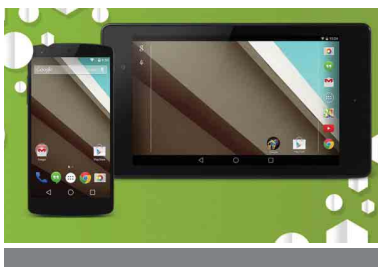

❏ طورت شركة خدمات الإنترنت الأميركية العملاقة غوغل إصدارا جديدا من موقع عرض تسجيلات الفيديو "يوتيوب" للأجهزة المحمولة التي تعمل بنظام التشغيل أندرويد بهدف علاج مشكلة صعوبة عرض الفيديو بشكل رأسي على هذه الأجهزة حيث تظهر الصورة رديئة مع وجود حواف سوداء على جوانب الصورة.

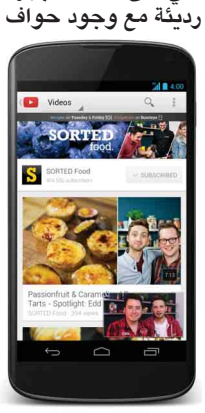

ويتيح الإصدار الجديد من يوتيوب وهو يوتيوب 10.28 عرض الفيديوهات الرأسية بكامل الشاشة دون ظهور هذه الحواف السوداء وهو ما كان يطالب به المستخدمون منذ وقت طويل.

❏ يسمح تطبيق ستيت مي المجاني على الأجهزة التي تعمل بنظام التشغيل آي أو إس حماية الخصوصية من خلال الاتصال بالآخرين وإرسال الرسائل لهم دون مشاركة رقم هاتفك معهم، حيث سيظهر أمام الجهة المتلقية رقما مختلفا يوجده التطبيق من تلقاء نفسه. ويستطيع الطرف الثاني استخدام ذلك الرقم للتواصل معك بكل سهولة. التطبيق مفيد لمن يتزعج من الاتصالات الدعائية والترويجية.

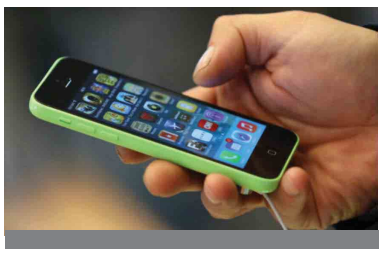

❏ كشفت شركة سامسونغ عمّا قالت إنها أول شاشة في العالم توفر ميزة الشحن اللاسلكي للأجهزة الذكية، وتحمل اسم الطراز "إس إي 370". وقالت الشركة في بيان إن الشاشة، التي تتوفر في قياسين اثنين من حيث حجمها، تزيل العناصر غير الضرورية من مناطق العمل عن طريق إبعاد الكابلات والمنافذ اللازمة لشحن الأجهزة الذكية.

وأوضحت الشركة أن الشاشة الجديدة التي تأتي بدقة متناهية، تعمل مع كافة الأجهزة الذكية التي تستخدم معيار الشحن اللاسلكي العالمي الذي طوّره اتحاد الطاقة اللاسلكية، مشيرة إلى أن معيار "تشي" يعد واحدا من أكثر معايير الشحن اللاسلكي توافرا.

بالون المعدة كبسولة صغيرة تمنح قواما رشيقا ووزنا معتدلا

تقنية البالون تجبر المعدة على تناول كميات أقل من الطعام

يأمل الكثير ممن يعانون من الأوزان الزائدة والسمنة المفرطة في خسارة كيلوغرامات كثيرة في وقت وجيز وهو ما يفقدهم صبرهم عند ممارسة الرياضة أو اتباع أنظمة حمية مضبوطة لأن كل هذه الأساليب تتطلب فترة زمنية طويلة لملاحظة نتائجها. هذا الهوس بسرعة التخسيس زاد من شعبية العمليات الجراحية وعمليات الشفط وتصغير المعدة التي تلقى رواجا كبيرا حول العالم. ومع ذلك ولأن البعض يخشى مخلفاتها أو يعاني من فوبيا العمليات عموما، تمكن العلماء من ابتداع طريقة بالون المعدة التي لا تتطلب تدخلا جراحيا.

❏ **لندن** – تتميز تقنية بالون المعدة بأنها سهلة وبسيطة ولا تستغرق سوى بضعة دقائق. ولا يحتاج هذا البالون إلى منظار يدخل إلى المعدة وإنما هو عبارة عن كبسولة صغيرة يبتلعها المريض ويتم ملؤها بالغاز لتغلق بانتفاخها الجزء العلوي من المعدة.

وأكد رئيس معهد العلوم الجراحية وقسم جراحة المناظير ورئيس مركز التخصصات المتنوعة في علاج السمنة المرضية بجامعة سابينزا الإيطالية، ألبرو فيسور ألفريدو جينكو، أن نجاعة هذه التقنية تصرف المصابين بالبدانة عن اللجوء إلى إجراء عمليات جراحية أكثر كلفة وتعقيدا.

وهذا الإجراء العلاجي لا يستغرق تطبيقه أكثر من عشر دقائق يقضيها من يعاني من السمنة في عيادة الطبيب ثم يخرج ويمارس حياته اليومية بشكل عادي ودون التعرض لأي عوارض مزعجة كالقيء أو الغثيان والألم الذي يرافق عادة بالون المعدة القديم.

وبعد انتهاء مدة العلاج والتي يجب ألا تتجاوز الثلاثة أشهر يتم إزالته من المعدة بالمنظار ومن دون تخدير في مدة لا تتجاوز الـ15 دقيقة.

ويشار أنه يمكن وضع 3 بالونات كحد أقصى، داخل المعدة، حسب حالة كل مريض ودرجة تجاوبه مع العلاج.

وأشار جينكو إلى أن الدراسات والأبحاث الأخيرة حول السمنة والعوامل التي تساعد على الإصابة بها أكدت أن 2 إلى 3 بالمئة ممن يعانون من زيادة الوزن يكونون عرضة للإصابة بالسمنة خلال الثماني سنوات اللاحقة وبالتالي يساعد البالون على التخلص من الوزن الزائد كإجراء احترازي ووقائي يحمي من الوقوع في شباك السمنة مستقبلا.

وجدير بالذكر أن بالون المعدة يناسب الرجال والنساء على حد سواء، إلا أنه يلائم بصورة أكبر النساء، لأن الدراسات أثبتت أنه من بين خمسة مصابين بالسمنة أو يعانون من الزيادة في الوزن يأتي تصنيفهم على حسب الجنس بأن منهم 4 نساء مقابل رجل واحد وبناء عليه يكون الشخص المثالي لبالون المعدة السهل المرأة التي يتراوح عمرها بين 25 و60 سنة والتي تعاني من زيادة في الوزن من 8 إلى 10 كيلوغرامات.

ويذكر أن تطبيق تقنية البالون قد لا تتلاءم مع حالات معينة وينبغي توخي الحيطة والحذر والخضوع لفحص تفصيلي ودقيق من قبل أطباء مباشرين للمرضى، لا سيما المرأة الحامل والمرضعة ومن يعانون قرحة المعدة أو من سبق لهم إجراء جراحات في المعدة أو الجهاز الهضمي.

وأكد الدكتور علاء نوح، أستاذ الكبد والجهاز الهضمي بطب المنوفية، أن بالون المعدة يعتبر من أكثر طرق إنقاص الوزن أمانا.

وأشار إلى أن أنه يساعد على إنقاص الوزن من 20 إلى 40 كيلوغراما في فترة من 6 إلى 8 شهور وهو لا يحتاج إلى استئصال أي جزء من الجهاز الهضمي ولا إلى إعادة توصيل.

وأوضح أنه يمكن للمريض تركيب البالون واستخراجه بعد أداء الغرض منه من إنقاص الوزن دون أي تغييرات أو مخلفات غير محمودة على الجسم.

وقال إن تقنية بالون المعدة تعمل من خلال

> من مميزات بالون المعدة أنه يصلح لجميع الأعمار من الأطفال حتى كبار السن

طريقتين: الطريقة الأولى أنها تحتل نصف المعدة، فيصبح المريض لا يملأ سوى نصف معدته من الطعام والشراب، وهذا ما يقلل حجم الأكل والشراب المتناول. والطريقة الثانية أنها عندما تتحرك في تجويف المعدة تحدث استثارة في جدار المعدة فتسبب بعض الشعور بالغثيان، مما يسبب فقد الشهية. لكن هذه الطريقة الأخيرة قد يتعود عليها الجسم بعد 4 إلى 6 شهور، وبعد ذلك يفقد هذه الميزة ويتبقى احتلال نصف المعدة فقط.

وأكد أنه إذا كان المريض غير متعاون فإن تناوله للحلويات والسكريات والنشويات والدهنيات ولو بكميات قليلة قد يؤدي إلى فشل البالون في إنقاص الوزن.

وبين نوح أنه لتحقيق أعلى استفادة من البالون يجب اتباعه بحمية، حيث أن وجوده بالمعدة يساعد جدا في تحمل أي نوع من الحميات، وبالتالي ملء نصف المعدة المتبقي بمواد غذائية منخفضة السعرات الحرارية هو أفضل وسيلة لإنقاص الوزن في فترة قصيرة.

وهو ما ذهب إليه أيضا البروفيسور رودولف فاينر من أكاديمية البدانة والترهل في فرانكفورت، حيث كشف أن إجراء الحمية الغذائية مع بالون المعدة يمنحان الإنسان فرصة تخفيف الوزن بشكل أفضل مع الاحتفاظ بهذا الفقدان لسنوات طويلة.

وكان فاينر قد أجرى دراسة على شديدي البدانة توصل عبرها إلى أن مؤشر الكتلة الجسدية في ألمانيا يرتفع بشكل سريع وبشكل يهدد بالوصول إلى معدله في الولايات المتحدة خلال أعوام قليلة.

وظهر من الدراسة أن تقليل وزن البدين 10 كيلوغرامات يعني خفض معدل الوفيات بسبب السكري بنسبة 30 بالمئة، ويعني أيضا خفض الوفيات بسبب الأمراض السرطانية بنسبة 40 بالمئة.

وذكر فاينر أيضا أن استخدام بالون المعدة مع الحمية أثبت فاعليته في دراسة عالمية شملت 25 ألف بدين من مختلف بقاع العالم.

وتتطلب العمل في برنامج البالون - الحمية فترة عمل تمتد من سنة إلى سنتين وتكلف 2900 إلى 3900 يورو.

كما أشار نوح إلى أن من مميزات بالون المعدة أنه يصلح لجميع الأعمار من الأطفال حتى كبار السن، وأنه يستعمل كوسيط قبل إجراء العمليات الكبرى.

وينصح نوح باستخدام البالون حتى مع إجراء عمليات التخسيس، كإجراء مبدئي لإنقاص الوزن حتى يسهل إجراء الجراحة بعد ذلك وتخدير المريض. وأكد أنه قام بإجراء عمليات كثيرة باستخدام هذه التقنية لكثير من مشاهير السينما والتلفزيون والغناء.

ويؤكد الأطباء وخبراء التغذية أن آثار بالونات المعدة وعمليات التخسيس تمتد لسنوات فبعد فقدان معظم المرضى لحوالي 80 بالمئة من أوزانهم الزائدة، يستمر النقص لمدة سنتين بعد العملية، ثم ربما يحصل شيء من التحسن في الوزن بعد 3 إلى 5 سنوات.

وتعود نسبة الكولسترول لأكثر من 80 بالمئة من المرضى إلى المعدل الطبيعي خلال ثلاثة أشهر وحوالي 70 بالمئة يعود ضغط الدم لديهم إلى المعدل الطبيعي خلال 3 أشهر، ولا تبقى هناك حاجة إلى تناول الدواء لدى الكثيرين منهم أو تقل الحاجة إلى كمية الجرعات السابقة للعملية، ما يعني التخلص من آثارها الجانبية.

وتتحسن حالة من يشكون من النوع الثاني من السكري خلال أسابيع والكثيرون منهم يتخلصون من الحاجة إلى أدوية السكر أو إبر الأنسولين.

وأكدت العديد من الدراسات العلمية أن أمراض القلب تتراجع لمن يقدمون على آليات التخسيس بمختلف أنواعها، لا سيما ببالون المعدة.

ويساعد فقدان الوزن الزائد مرضى توقف التنفس أثناء النوم ومرضى الربو وقصور أداء الرئة على استرداد عافيتهم شيئا فشيئا.

ورغم نجاعة بالون المعدة وفق جملة من العلماء يرى شق آخر من المراكز الطبية عبر العالم أن له آثارا جانبية قد تطفو لاحقا مثل قروح المعدة وانسداد الأمعاء.

ويقول الخبراء إن انخفاض حدة الأعراض المصاحبة لبالون المعدة الجديد عن البالون التقليدي القديم هي التي تجعل منه خيارا مثاليا لمريض السمنة الذي جربه ولم يخسر وزنه الزائد بالكامل، فبعد انتهاء مدة صلاحية البالون يزال ويخضع المريض لفترة راحة يحددها الطبيب المتابع لحالته وعادة لا تتجاوز العشرة أيام. من بعدها يوضع بالون جديد ليواصل الحمية التي ستؤهله للوصول إلى الوزن المناسب.

ويذكر أنه يمكن للشخص الذي فقد وزنه باستخدام بالون المعدة السهل أن يسترجع بعضا منه، في حال عدم التزامه بالحمية وتقنين كميات طعامه وتغيير أسلوب حياته للأفضل لأن بالون المعدة وسيلة تساعد من يعانون السمنة والوزن الزائد على التحكم في شهيتهم.

ومن بين النصائح والإرشادات التي ينبغي الالتزام بها للحفاظ على وزن صحي، الامتناع عن تناول المشروبات الغازية والأكل ببطء ومضغ الطعام جيدا وتجنب تناول الأطعمة المشبعة بالدهون، وأيضا الالتزام بتناول ثلاث وجبات رئيسية في اليوم مع خفض كميتها أو استبدالها بعدد أكبر من الوجبات وبكميات قليلة يتم تناولها على مدار اليوم كله، لتقليل آثار الشعور بالغثيان والرغبة في التقيؤ. وهذا بالإضافة إلى الالتزام بتناول الأدوية التي يصفها الطبيب من فيتامينات وغيرها والأدوية الخاصة بتقليل حموضة المعدة حتى يفقد المريض الوزن بشكل طبيعي وصحي لا يؤثر على كفاءة عمل أجهزة الجسم.

تعويد المعدة على استقبال كمية محدودة من الأغذية يضبط الوزن

كلما طالت مدة التمارين الرياضية وقلت شدتها تزداد كمية الدهون المحروقة

❏ **هامبورغ** – يعتقد الناس أن تكثيف التمارين الرياضية واختيار أشدها بذلا للجهد وممارستها خلال مدة زمنية وجيزة كفيل بتحقيق نتائج ناجعة وأكثر فاعلية على مستوى اللياقة ومعدل حرق الدهون، بينما تعد الحقيقة مغايرة تماما لذلك، حيث توصلت البحوث إلى نظرية مفادها أنه كلما طالت مدة التمارين الرياضية وقلت شدتها تزداد كمية الدهون المحروقة والمتحولة إلى طاقة.

وأوضحت فيركمايستر –وهي مديرة مركز الرياضة والأنشطة الحركية التابع لمستشفى هامبورغ إبندورف الجامعي– أن هناك طرقا مختلفة لتوليد الطاقة، والتي تتم جميعها بالتوازي، مشيرة إلى أن طريقة توليد الطاقة تتعلق بشدة المجهود المبذول ومدته.

وفي البداية، تعتمد عملية توليد الطاقة على ثلاثي فوسفات الأدينوسين، الداعم للطاقة الخلوية المباشرة.

وتنتج الطاقة عن احتراق الكربوهيدرات ونسبة ضئيلة من الدهون نوعا ما عند القيام بمجهود مكثف لمدة قصيرة، أما الطاقة الناتجة عن احتراق مخزون الدهون والبروتين فتتطلب بذل مجهود لمدة أطول وأقل كثافة.

لذا تنصح فيركمايستر من يريد حرق الكثير من الدهون وخسارة بعض الكيلوغرامات بممارسة الأنشطة الحركية لمدة طويلة وشدة منخفضة. كما أنه من المثالي لإنقاص الوزن الزائد اللجوء إلى التدريب المتقطع الذي يقوم على فكرة زيادة المجهود تدريجيا أثناء ممارسة الأنشطة ذات الشدة المنخفضة لفترات وجيزة.

وجدير بالذكر أن توقيت وكيفية حرق أكبر قدر من الدهون يختلف من شخص إلى آخر، ويتوقف على كتلته العضلية والتغذية ومستوى الضغط العصبي.

ويحذر الباحثون من الإفراط في مدة ممارسة التمارين الرياضية والالتزام بالفترة المناسبة لكل نوع من الرياضات حتى لا يؤدي ذلك إلى نتائج عكسية ويصاب الجسم بالإجهاد والوهن بدل الحيوية واللياقة.

ووفقا لدراسة نشرت في مجلة الكلية الأميركية لأمراض القلب، وشملت أكثر من 1.000 شخص على مدى فترة 12 عاما، أظهرت النتائج أن الركض بوتيرة ثابتة لمدة تقل عن ساعتين ونصف الساعة أسبوعيا يفيد الصحة بشكل عام، في حين أن تخطي هذه الفترة يؤدي إلى نتائج سلبية. وينصح الخبراء بألا تتخطى التمارين الرياضية مدة 150 دقيقة في الأسبوع. وطلبت الدراسة من المشاركين أن يسجلوا برنامج تمارينهم الرياضية، وعدد مرات الركض في الأسبوع وسرعتها، إضافة إلى سجلاتهم الصحية.

> مقدار الدهون المحروقة يختلف من شخص إلى آخر ويتوقف على كتلته العضلية و شكل نظامه الغذائي

وخلص العلماء إلى أن الوتيرة المثالية لممارسة رياضة العدو تبلغ نحو 8 كلم في الساعة، وبما لا يزيد عن ثلاث مرات في الأسبوع أو ساعتين ونصف الساعة في المجموع. وقال الباحث جايكوب لويس ماروت من مستشفى كوبنهاغن إن "الاهتمام بالصحة لا يتطلب الإفراط والمبالغة، التوصيات هي بعدم تخطي العتبة الآمنة".

وتشير الدراسات السابقة إلى نتائج مماثلة أيضا، لا سيما دراسة أجريت على الفئران وأظهرت نتائجها أن الإفراط في ممارسة الرياضة يؤثر على ضربات القلب، وأن الاستمرار على هذا المنوال لوقت طويل يمكن أن يؤدي إلى تلف عضلات القلب.

وقالت مورين تالبوت، ممرضة في مؤسسة القلب البريطانية إن هذه الدراسة تشير إلى أنه "من غير الضروري أن نركض الماراثون إذا أردنا الحفاظ على صحتنا. الرياضة الخفيفة والمعتدلة مثل المشي يمكن أن تكون أكثر فائدة من الرياضة الشاقة". وأضافت: المشي السريع هو الرياضة الأمثل للصحة، كما أنها الخيار المناسب للأشخاص الذين لا يمارسون الرياضة ويريدون أن يبدأوا بتوازن وسهولة.

> الرياضة الخفيفة والمعتدلة يمكن أن تكون أكثر فائدة من الرياضة الشاقة

وكشفت دراسة جديدة أن هرمون إيريسين والذي يرتفع بصورة كبيرة أثناء ممارسة الرياضة يساعد بصورة كبيرة في قدرة الجسم على حرق الدهون.

المشي السريع هو الرياضة الأمثل للصحة

سلطوية المجتمعات الذكورية تدفع المرأة نحو العدوانية تجاه الرجل

المرأة والرجل متكاملان في الحياة رغم دعوات الإقصاء

تواصل المرأة نضالها نحو كسب حقوقها بالمساواة مع الرجل في جميع الدول العربية

ثمة أسباب عميقة تجعل النساء يطلقن هكذا حملة للقضاء على الرجل -نصفهن الثاني- أغلبها نفسية واجتماعية

لا تستقيم الحياة الاجتماعية دون بناء تشاركي بين المرأة والرجل، غير أن البعض ينظر إلى هذه الحياة الثنائية نظرة سطحية وقاصرة مبنية على إقصاء أحد الطرفين، إما بدافع الإيمان بالفوقية أو استنقاصا من قيمة ودور الطرف المقابل. وهو ما يستشري في بعض المجتمعات العربية التي تنظر إلى المرأة نظرة دونية تجعلها تمارس عليها شتى أنواع الضغوط قصد تهميشها وتحجيمها.

سماح بن عبادة

❑ لا تبنى الأسرة -النواة الأولى للمجتمع- بغياب الرجل أو المرأة فكلاهما يكمل الآخر على جميع الأصعدة لإنجاب الأبناء وتربية أجيال المستقبل، هذه معطيات بديهية تدل على أن المجتمع امرأة ورجل أو لا يتكون ولا يستقيم دون أحدهما لذلك تلاقي الأصوات المنادية بإقصاء أحدهما استهجاناً من كل من يعي أن لله حكمة في خلق الرجل والمرأة وكل منهما يكمل الآخر بسماته المختلفة.

تتسم المجتمعات العربية خاصة منها المحافظة بسيطرة العقلية الذكورية على امتداد الأجيال المتتابعة وهي تؤمن بأولوية وأحقية الرجال في كل شيء وبهضم حقوق النساء في جميع المجالات حيث تفرض عليهن القيود وتحرمهن من المشاركة الفاعلة في بناء الدولة والمجتمع وتجحد عليهن حقهن في التعلم والعمل وفي الحياة الكريمة. سيطرت هذه العقلية على المجتمع العربي لعقود طويلة ولا تزال سيطرتها متواصلة إلى اليوم ولعلها في بعض الدول التي شهدت صعودا للتيارات الدينية المتشددة ازدادت سطوة وانغلاقا.

وفي المقابل تواصل المرأة نضالها نحو كسب حقوقها بالمساواة مع الرجل في جميع الدول العربية وإن حققت نجاحات متفاوتة إلا أن المسيرة متواصلة. وتتباين طرق الكفاح للظفر بالحقوق وتختلف تعبيرات الرفض من جيل من النساء إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر. وفي غضون هذه الأيام انتشر هاشتاغ على صفحات التواصل الاجتماعي تويتر تحت عنوان "حملة القضاء على الرجال" وأول ما يلاحظ ومنذ الوهلة الأولى هو التمييز ضد الرجل والعنف الموجه له بالرغبة في القضاء عليه مما من شأنه إثارة العداء الاجتماعي بين الرجل والمرأة ونقض مسلّمة أن المجتمع رجل وامرأة أو لا يكون.

> ما تقوله نساء اليوم رغم ما فيه من مبالغة أنه لم يعد ثمة رجال، بل ذكور فحسب، قد قالته جدتهن عبر العصور ولكن من خلال إبداعهن وخيالهن حيث تعمد المرأة التقليدية إلى تضمينه في الحكايات الشعبية

الانتشار اللافت لهذا الهاشتاغ على العديد من صفحات تويتر وتداوله والردود المتنوعة عليه تلفت الانتباه إلى أن ثمة أسبابا عميقة تقف وراءه أو تجعل النساء يطلقن هكذا حملة للقضاء على الرجل -نصفهن الثاني- أغلب هذه الأسباب نفسية واجتماعية بدرجة أولى وهو ما يجعل مثل هذه التعبيرات مبحثا اجتماعيا هاما يسترعي اهتمام الباحثين في علم النفس وفي علم الاجتماع والمهتمين بقضايا المساواة بين الجنسين.

وترى الكاتبة والصحفية السعودية سكينة المشيخص أن هذه الحملة على تويتر التي انتشرت بشكل واسع في المملكة العربية السعودية ليست إلا متغيرا ظرفيا طارئا في الفكر الاجتماعي وتقول للعرب: لا يمكن التعامل معها كثابت في المسار المجتمعي، ولا تعدو أن تكون نوعا من التسلية التي تطلقها الفتيات في المواقع الاجتماعية، فلا يمكن التفكير في القضاء على الرجال لأن ذلك ضد الطبيعة البشرية، ولا تستطيع المرأة بأي حال الاستغناء عن الرجل، ولكن هناك مظاهر لضغط ذكوري على حرية وحقوق المرأة تدفعها للتفاعل مع مثل هذه الاتجاهات غير الجدّية بالتأكيد.

وترجع المشيخص أسباب انتشار الهاشتاغ إلى الضغط الذكوري المكثف الذي تعاني منه المرأة في كثير من احتياجاتها وحقوقها، وتقول "عموما نحن نعيش في مجتمعات لا تزال فيها تلك السطوة غير المبررة سوى بالأعراف التقليدية التي تضع المرأة خلف الرجل، فيما هي استطاعت فعل الكثير الذي يؤهلها لأن تتقدم ولا تتأخر".

أما الوضع الذي يدفع النساء لشن مثل هذه الحملات أو مساندتها فهو تعرض المرأة لكثير من المضايقات التي تكبل حركتها وحريتها، فهناك انتقاص مريع لها ولقيمتها، ولم يعد متاحا أن تظل حبيسة جدران المنزل بعد أن تلقت تعليما وتأهيلا عمليا مناسبا يجعلها تنطلق بقدراتها الفكرية والعملية وطاقتها الحركية للمساهمة في بناء مجتمعاتها وبلدانها بصورة حضارية مؤثرة وفاعلة ربما أفضل وأكثر من الرجل.

وتضيف سكينة أنه في حال هناك إفراط في حبس المرأة وتقليص حجمها ودورها، تصبح المواقع الاجتماعية موقعا ومنبرا حرا ومفتوحا للتفاعل على نطاق واسع يمنحها قدرات فائقة للتعبير عن ذاتها وما تتعرض له من مضايقات ومعاناة في حياتها. وتقول "لا أتصور أن فكرة القضاء في الهاشتاغ تعني الإقصاء وإنما محاولة لإزاحة الرجل عن طريق المرأة وتقدمها وتطورها".

أما الباحث التونسي في علم الاجتماع د. محمد الجويلي فيقول إنه يبدو لأوّل وهلة أنّ الهاشتاغ الذي أطلقته بعض النساء في الخليج العربي ينـدّدن فيه بالرجل ويدعون فيه إلى القضاء عليه ظاهرة جديدة لا عهد للعرب والعربيّات بها من قبل. ولكن المتمعّن في التراث النسوي العربي التقليدي، تراث الجدّات من خلال حكاياتهنّ الخرافيّة يدرك أنّ لهذه الظاهرة جذورا في ما يمكن أن نسمّيه بـ"هاشتاغ الجدّات" اللواتي عانين الكثير من سطوة الرجال وأنانيتهم وقمعهم وحرمانهم من أبسط حقوقهنّ، وهي ذاتها الأسباب التي تجعل المرأة العربيّة اليوم تطلق حملة من هذا النوع.

ما تقوله نساء اليوم رغم ما فيه من مبالغة أنّه لم يعد ثمّة رجال، بل ذكور فحسب، قد قالته جدّاتهن عبر العصور ولكن من خلال إبداعهن وخيالهن حيث تعمد المرأة التقليديّة بصفة لاواعية إلى العبث بالرجل في حكاياتها الموجّهة إلى طفلها أو حفيدها والتي وقع توارثها جيلا بعد جيل بالسخرية منه وبتصويره كاريكاتوريا في مظهر مزر. وهناك أمثلة وحكايات شعبية كثيرة تقدم هذه الصورة بشكل مغاير لما هو موجود اليوم.

فلا غرابة إذن أن يكون على هذا النحو في هاشتاغ الحفيدات مادامت الأسباب مازالت قائمة. ثمّة بالطبع اختلافات بين الليلة والبارحة أهمّها يتمثّل في أنّ الجدّات كنّ قديما منقطعات عن العالم ويعتقدن أنّ وضعهنّ قدر مسلّط عليهنّ ككلّ النساء، بينما نساء العرب اليوم يعشن في عصر ثورة التواصل الإلكتروني يقارنّ بين حالتهنّ وحالة بنات جنسهن من الشعوب الأخرى ويمتطين أدواتها للتعبير عن سخطهن ورفضهنّ لهذه المنزلة التي يعتقدن أنّ الرجل هو المسؤول الأوّل عنها كما يتمثّل في الفرق بين رجل الأمس الذي كان في العادة أمّيا وجاهلا ورجل اليوم المتعلّم وخرّيج الجامعة الذي يحمل فكر "داعش" حتّى وإنّ لم ينتم إلى دولتهم المزعومة، ما يعني أنّه أخطر من جدّه وأنّ مقاومته تكون أشرس خير من يعبّر عنها الدعوة إلى استئصاله وإبادته.

وفي تحليلها للأبعاد النفسية والاجتماعية "لحملة القضاء على الرجال" تقول سامية خضر أستاذة علم الاجتماع بجامعة عيش شمس بالقاهرة لـ"العرب"، إن المرأة أصبحت عدوا للرجل، عندما أصابها اليأس من أن تكون صديقة له، لهذا طالبت في البداية بنفيه من عالمها الخاص، ونجاحها في ذلك شجعها على المناداة بإبعاده من الحياة العامة.

وأضافت أن القهر النفسي والضغوط التي تعاني منها النساء في بعض المجتمعات دفعاهن لتفضيل الحياة بمفردهن، ولأن البعض منهن ليس بإمكانه معاداة الرجل على أرض الواقع، خرجن بمشاعرهن إلى الفضاء الإلكتروني على أمل أن يكون صوتهن عبر التغريدات المتعددة جرس إنذار يدق ناقوس الخطر قبل وقوع الانفجار الحقيقي.

وأوضحت خضر أن الوضع المشين للمرأة العربية، جعلها تشعر أحيانا بالتلاشي، كما أن تصاعد نسب الاكتئاب ساهم في إدخالها إلى مشاعر العدم، التي تفضي تلقائيا إلى رغبة عارمة في نفي سلطوية الرجل، باعتبارها السبب في حرمانها من الحق في الحياة بالطريقة التي تريدها.

> الوضع المشين للمرأة العربية، جعلها تشعر أحيانا بالتلاشي، كما أن تصاعد نسب الاكتئاب ساهم في إدخالها إلى مشاعر العدم، التي تفضي تلقائيا إلى رغبة عارمة في نفي سلطوية الرجل

وشددت خبيرة علم الاجتماع على أن السلطوية الذكورية، سواء تمثلت في أسرتها الأصلية أو في مؤسسة الزواج، كان لها ما يبررها في الماضي، بسبب انغلاق بعض المجتمعات، لكن الآن هناك الانفتاح التقني الذي منح المرأة الجرأة في التعبير عما تعانيه، ولم يقتصر الأمر على إصدارها شعارات ونظريات بل تعدى إلى الممارسات، حيث طالبت بالحرية للتغلب على سيطرة الزوج والرجل والأب، وتطورت المسألة إلى درجة الدعوة للشذوذ الجنسي باعتباره أحد أشكال الخروج من سيطرة الرجل. وقالت خضر إن هاشتاغ "عالم بلا رجال" يشير إلى اندثار صفات الرجولة في تلك المجتمعات، وأن الرجل فقد قيمته المعنوية، كذلك جانب من تأثيره المادي الذي كان سببا رئيسيا للحفاظ على تواجده في واقع المرأة، ولم يبق له سوى خانة في شهادة الميلاد وبطاقة الصحة وعقود الزواج.

من وجهة نظر خضر أن الهاشتاغ رد فعل طبيعي على عالم إذا أراد أن يبجل المرأة وصفها بالرجل، وإذا أراد أن يسخر من الرجل وصفه بأنه امرأة، وهو دليل دامغ على مرض المجتمعات العربية، فذكوريتها حولت المرأة من الندية إلى الأنانية المطلقة.

وبرأي قدري حفني خبير علم الاجتماع المصري فإن الهاشتاغ عبثي وغير مسؤول، ومتوقع أن يكون الرد عليه هاشتاغ يطالب بـ"عالم بلا نساء"، وكل من الجنسين له مبرراته وهذا ليس بجديد.

وقال حفني لـ"العرب" عبر التاريخ كانت هناك دعوات ذكورية ونسوية على حد سواء تشجع فكرة الندية بين الرجل والمرأة وتؤجج العداوة بينهما، لكن هذا لا يعني أنه يمكن الاستغناء عن دور أي منهما في حياة الآخر.

هذا ويظل انتشار مثل هذا النوع من الحملات في الفضاء الافتراضي أو انتشار الممارسات الاجتماعية والسلوكات التي تطرد الرجل من حياة المرأة ظرفية وفئوية وكثيرا ما ترتبط بحدث أو ظاهرة بعينها، وبالتالي فهي ليست إلا تعبيرات يفرزها واقع تشعر فيه المرأة بهضم حقوقها وكرامتها فتندفع نحو رد الفعل بالوسائل المتاحة لها، وأحيانا تصل ردود فعل النساء إلى العنف ضد الرجل تعبيرا على رفضهن لسيطرته المطلقة على حياتهن منذ الطفولة كأب وأخ وحتى في سن الشباب بعد الزواج ولأولويته في نيل الحقوق والحريات خاصة في الفضاء العام أي في العمل والدراسة وبقية مجالات الحياة.

ثقافة الـ«سيلفي» تعيد تشكيل عادات التسوق

الفتيات لا يتحملن الظهور بمظهر قديم على مواقع التواصل الاجتماعي

انتشرت في السنوات القليلة الماضية عمليات البيع والشراء عبر الإنترنت، في شكل جديد للتسوق، حيث أصبحت تسهل على الكثير من الفتيات البحث عن الملابس المناسبة التي تواكب ظهورهن المتواصل على الشبكات الاجتماعية خاصة فيسبوك وانستغرام.

جيل الألفية الجديدة برجاله و نسائه يفضل التسوق عبر شبكة الإنترنت

□ **لندن** – أكد المختصون أن التسويق عبر الإنترنت والتجارة الإلكترونية أصبحا من أبرز مفاهيم العصر الحديث لزيادة نسب التداولات التجارية الناجحة لجميع المنتجات والسلع بأقل وقت وجهد.

وأشار ثورستن ايموث الشريك المؤسّس في موقع "ستايل بوب" للتسوق الإلكتروني، إلى أن 100 ألف متسوق يتسوق من ستايل بوب سنويا، وأن نسب النموّ السنوي لدى الموقع تراوح بين 30 و70 بالمئة، وأما أكثر الدول طلبا للموضة ومتابعة لها على المستوى العالمي فهي ألمانيا، الولايات المتحدة الأميركية، إنكلترا، وأستراليا.

وأكد أن التواصل مع الزبائن حول العالم عملية شبه مستحيلة، لكن العمل من خلال موقع إلكتروني مختلف ، حيث أن البوتيك يصبح على الإنترنت، وبضاعته متاحة للجميع حول العالم، حيث يستطيع أي كان زيارة الموقع واختيار الأزياء الفاخرة من أسماء لامعة في عالم الأزياء، وطلبها والحصول عليها بسرعة، أما التحديات التي تواجه البوتيك الإلكتروني فهي كبيرة، حيث يترتب عليك نقل تجربة تسوق البضائع الفاخرة من العالم الواقعي إلى عالم افتراضي، وهي عملية كانت صعبة.

ومن جهة أخرى كشفت دراسة خاصة بسلوك التسوق عبر الإنترنت، شارك فيها 4000 شخص من ثمانية بلدان في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، أن أكثر من ربع المشاركين في الدراسة تسوقوا عبر الإنترنت في 2014. وأظهرت بأن النساء أكثر من الرجال نشاطا في التسوّق الإلكتروني وأكثر المشترين هم بين 45 و49 عاما.

وأشارت إلى أن تطبيق انستغرام يحتل المرتبة الأولى في التسوق من الصفحات الشخصية والتسويقية المخصصة لبيع البضائع لدى السيدات، وأن أكثر المتسوقات اللواتي يقبلن على شراء واقتناء البضائع من الشابات تتراوح أعمارهن بين 21 و30 عاما بنسبة 37 بالمئة. وتتمثل البضائع التي تدفع النساء للتسوق إلكترونيا في "الحقائب النسائية، والساعات، والإكسسوارات" بنسبة 63 بالمئة. وأكد خبراء أن جيل الألفية الجديدة يفضل التسوق عبر شبكة الإنترنت، بحيث لم تعد المتاجر والأسواق تجذبه.

> هناك شيء واحد تقلق حياله فتاة الألفية الثالثة يتمثل في أن ينظر إليها وهي ترتدي الشيء نفسه عدة مرات في صورها على الإنترنت

وأكد تقرير أنجزه الكاتبان أندريا فيلستيد من لندن وهانا كوتشلر من سان فرانسسكو ونشر في صحيفة "فاينانشيال تايمز" البريطانية، أن هناك شيء واحد تقلق حياله فتيات الألفية الثالثة يتمثل في أن ينظر إليها وهي ترتدي الشيء نفسه عدة مرات في صورها على الإنترنت. وأن تبدو بمظهر قديم على انستغرام ومواقع التواصل الاجتماعي الأخرى، قد يكون جريمة ضد الأزياء تبلغ من الفظاعة درجة لا تستطيع أن تتحملها.

وأوضح الخبراء أن قلق إناث الألفية حول الظهور عدة مرات في الزي نفسه في الصور على الإنترنت يقود إلى تغييرات جوهرية في طريقة تسوقهن. وأشاروا إلى أن تأثير انستغرام على الشابات اللواتي يرغبن في تجديد مظهرهن على وسائل الإعلام الاجتماعية دون إنفاق الكثير قد يبدو نعمة لتجار التجزئة. وأكد التقرير أن الشبكات الاجتماعية التي تتوق إلى الدخل الإضافي، تقوم بتثبيت "نقرات الشراء" لجعلها أسهل على المتسوقين للشراء من موقع تويتر، أو من تعليق على بينتريست، أو حتى صورة انستغرام.

وقالت شينا سوفير، مديرة التسويق والاتصالات العالمية في توب شوب، شركة التجزئة المختصة بالموضة القائمة على استخدام وسائل الإعلام الاجتماعية "المكسب الحقيقي هو القدرة على التسوق من انستغرام". وأضافت "وهكذا فإن هذه الفتاة ستنفق أقل على بعض الأشياء، لكنها تظل راغبة في اقتناء سترة جيدة أو قطعة علوية جيدة من توب شوب. إنها ترى في ذلك نوعا من الفخامة".

وكشف التقرير أن كثير من النساء الشابات، خاصة اللاتي ولدن بين عامي 1982 و2000، أصبحن من المشاهير على الإنترنت حيث يوثقن كل جانب من جوانب حياتهن، ويشاهدن الأخريات وهن يفعلن الشيء نفسه. تقول سوفير "ما نراه الآن مع فتاة الألفية الأصغر سنا تلك، هو أنها تعرض نفسها على وسائل الإعلام الاجتماعية".

ويعتقد المحلل في سانفورد بيرنشتاين، جيمي مريمان، أن ظهور السيلفي يقود الشابات لشراء شيء جديد في كثير من الأحيان. لكن بما أنه ليس لديهن دخل أكثر متاح للإنفاق على الملابس، فإنهن يسعين إلى الحصول على القيمة من شركات التجزئة مثل بريمارك في المملكة المتحدة، أو فوريفر 21 في الولايات المتحدة.

وبين التقرير أنه على الرغم من صعوبة التمييز بين تأثير ثقافة السيلفي وبين الاتجاهات الاقتصادية الأوسع نطاقا، إلا أن البيانات تشير إلى أنها تلعب دورا في الشراء. فعلى الصعيد العالمي، حيث شهد نمو المبيعات في كثير من فئات الملابس تباطؤا بين عامي 2010 و2013، لكنه أظهر بعض الانتعاش في عام 2014. كما قال إن المنتجات الفعلية التي تشتريها الشابات يجري تأثرها أيضا بالسيلف. ونبه إلى أن الأزياء البخسة لا تنسجم مع الوعي البيئي لجيل الألفية، لكن العديد من النساء الشابات يقمن بتدوير ملابسهن –ربما عن طريق بيع ما لم تعد تريده على موقع إي باي– لتمويل مشتريات جديدة.

وأشار إلى أنه في أسبوع الموضة في لندن، تعاونت توب شوب مع تويتر لتقديم أحدث التقليعات من منصات عرض الأزياء ومن الصفوف الأمامية لعملائها.

وأوضح أنه باستخدام تكنولوجيا تويتر تم رصد التغريدات لتحديد الاتجاهات الناشئة، ومن ثم تمت مطابقتها مع منتجات توب شوب، التي كانت متاحة على الفور للشراء عبر الإنترنت وفي المتاجر.

وقال جون سميث، كبير مسؤولي التشغيل في سلسلة متاجر بربري للسلع الفاخرة التي كانت واحدة من أولى الشركات التي تبيع عبر تويتر "كل شيء يتم طمسه. مواقع التجارة الإلكترونية تبدأ في امتلاك منصات اجتماعية، والشبكات الاجتماعية تعرض السلع.

وعرضت بربري في إحدى التجارب، على المتسوقين شراء طلاء الأظفار عن طريق تويتر. وكانت المبادرة ناجحة لذلك كررتها مع عطر "ماي بربري" في عيد الميلاد الماضي.

ومن جهة أخرى أشار التقرير إلى أن إدخال تفاصيل الدفع والعناوين على لوحة مفاتيح الهاتف الذكي أثناء التجوال على متن حافلة أو الانتظار عند بوابة المدرسة يعتبر أمرا صعبا، نظرا لأن المساحة على شاشة الجوال ضيقة جدا، حيث أن المتسوقين الأكثر ولاء فقط يمكنهم تحميل التطبيق.

طبق اليوم

معكرونة بالدجاج والخضار

* **المقادير:**

- 1 دجاجة
- 2 أعواد قرفة
- 5 حبات هيل
- 2 ورق غار
- حبة بصل صغيرة وأخرى كبيرة الحجم
- كيلوغرام معكرونة حسب الرغبة
- فص ثوم مفروم
- ملعقة صغيرة كاري
- نصف ملعقة صغيرة كركم مطحون
- فلفل أسود
- حبة طماطم كبيرة مقطعة مكعبات صغيرة
- كوب معجون طماطم
- مكعب مرق الخضار
- 2 أكواب خضار مشكلة مجمدة
- بصل أخضر
- نصف كوب بقدونس
- ملح حسب الرغبة

* **طريقة الإعداد:**

- تقطع الدجاجة إلى 8 قطع وتسلق مع البهارات، ثم تقطع إلى قطع أصغر بعد أن تنضج.
- تصفى المرقة وتترك جانبا، وفي قدر على نار عالية يوضع القليل من الزيت ثم يضاف البصل ويترك حتى يحمر، يضاف الثوم مع التحريك ثم توضع قطع الدجاج.
- تقلب المكونات جيدا ثم تضاف البهارات.
- تضاف صلصة البندورة ومرق الخضار ثم البندورة الطازجة.
- تضاف الخضار المشكلة وتترك على نار هادئة حتى تتجانس النكهات.
يضاف البقدونس وتطفئ النار.
- أثناء ذلك تسلق المعكرونة في مرقة الدجاج ثم تصفى.
- تخلط المعكرونة المسلوقة وخلطة الدجاج ثم تترك على نار هادئة مدة 20 دقيقة.
- تسكب المعكرونة وتزين بالبصل الأخضر.

موضة

فساتين تجسد موضة بداية القرن العشرين

□ جسّد المصمم اللبناني راني زاخم مجموعة خريف وشتاء 2015–2016 التي عرضها ضمن فعاليات أسبوع باريس للموضة، عاصفة شمسية اقتحمت مخيلة محبي الموضة ومتابعيها بألوانها الزهية بدءا من الذهبي والبرتقالي والأحمر الناري وصولا إلى الأسود المرصّع بالماس.

وأكد خبراء الموضة أن مجموعة زاخم الجديدة هي إلاّ ترجمة عصرية لتاريخ الموضة في بداية القرن العشرين. وبين الدانتيل الفرنسي الذهبي المطرّز بالكريستال، واللوريكس الفضّي والريش، وبين الشيفون الحرير والأورغنزا الأنيق وشلالات الشواروفسكي، عادت المجموعة إلى العصر الذهبي عندما كانت الموضة والتألّق السبيل الوحيد للترفيه عن النفس وتخطّي الألم الذي خلّفته الحرب العالمية.

وقد تضمّنت مجموعة فساتين المصمّم اللبناني فساتين طويلة وقصيرة وفضفاضة، إذ تستطيع المرأة أن تختار الثوب الذي يتناسب مع ذوقها ورغباتها لتتألّق، حيث تم التركيز على تقديم الفساتين التي تعكس جمال المرأة وأنوثتها وحيويتها.

وبرزت الفساتين المنسدلة على القوام والمنتفخة، كما تم الاستعانة بتصميم القفطان الاختيار الأول للمرأة العربية، وطرزت أغلب الفساتين بالذهبي والفضي، وأختتم العرض بفستان زفاف بسيط.

بارات اللاذقية

هيفاء بيطار

□ قد يبدو عنوانا "وقحا" وسوريا غارقة في دماء أبنائها، وقد يبدو عنوانا "مضحكا" وصعب التصدي! لكن هذه هي الحقيقة فاللاذقية تزدهر بالبارات، ويمكنك أن تقرأ لافتات عملاقة –مطعم وبار– أشعر وأنا أتسكع في شوارع اللاذقية بالذهول دوما، ذهول من يعجز عن لحم أجزاء روحه المتصدعة، إن لم أقل المتناحرة! أحاول أن أنفصل عن ذاتي وأن أستعرض حياة تلك المرأة –نموذج إنسان سوري يعيش في اللاذقية– أحاول أن أطرد شعوري الدائم بالتمزق والذهول، وذلك الإحساس المستميت أن أمسك طرف الخيط: خيط الحياة التي ضاعت منا، نحن السوريون. أجدني دوما أتذكر الرواية الرائعة لجبرا إبراهيم جبرا (شارع الأميرات) حيث ارتبط لديه التفكير بالمشي، نبهني هذا المبدع العظيم لحقيقة توليد الأفكار من خلال المشي. أستعرض يومي الذي بدأ مع زكريا وهذا اسمه الحقيقي، زكريا نازح من حلب عمره 12 سنه، التقيته في العيادة العينية في المشفى الوطني، كان برفقة رجل اعتقدته أباه للوهلة الأولى، لكن كثافة الحزن في عيني زكريا جعلني أحزر –دون أن أسأل– أن هذا الرجل ليس والد زكريا. كان زكريا مع محسن، هكذا قدم نفسه بعد أن قال لي إن أم زكريا وأباه ماتا في حلب بعد أن سقط عليهما صاروخ، لم تتحرك عضلة في وجه زكريا! وجدتني أردد كببغاء زكريا والصاروخ! وكي أهرب من وطأة المأساة التي صهرتنا ليس نحن الثلاثة فقط –زكريا والمُحسن وأنا– بل صهرت كل من في العيادة العينية من مئات النازحين إلى العاملين إلى رائحة زهر الليمون العابثة والتي لا تستحي وتتسلل من النافذة، كلنا صهرتنا رائحة خاصة بسوريا رائحة الموت الوقح والذي لا يستحي من شدة عشقه لسوريا، كي أهرب من وطأة المأساة وجدتني أسأل زكريا بلهجة تفاؤل زائفة: في أي صف أنت يا زكريا؟ فرد بصوت كبره الحزن: لقد ضاعت علي السنة الدراسية. زكريا يحتاج لنظارة ليرى بوضوح أكبر المأساه. زكريا يعيش الآن مع مُحسن، لا أعرف إن كان مُحسنا ولديه أربع إخوة توزعوا على مُحسنين، لا يعيش زكريا تحت سقف واحد مع إخوته، لم تسقط دمعه من عينه ولم يتذمر، كأنه أذعن أن الحياة هي وحش لا طاقة لطفل على رده، لعل زكريا يتمنى لو كان في حضن أمه أو أبيه حين مزقهم الصاروخ شظايا من لحم بشري تطايرت كفراشات من لحم ودم ثم احترقت.

أفحص عشرات من النازحين الذين ينافسون مصطفى في مآسيهم، أود أن أصرخ حتى تتقطع حبال حنجرتي: تعالوا يا صناع السينما وسجلوا أفلاما وثائقية حية في سوريا، لن تحتاجوا لأبطال ولا ممثلين فكل شيء متوفر في سوريا، أعود إلى البيت ووجه زكريا محفور كالوشم في ذاكرتي، وأجدني أعجز عن إسكات صوت: زكريا والصاروخ الذي يضج في أذني باستمرار. عند العصر أفر من المنزل ومن روحي وأتسكع في شوارع اللاذقية، هل اعتدت على منظر الحواجز التي تفاجئني كل مرة بجديد، الآن الحواجز أصبحت جدارا من البراميل الضخمة وفوقها طبقة من دواليب الشاحنات الضخمة وفوقها أكياس من الرمل، ثمة شوارع مغلقة تماما بالحواجز ولا يمكن للسيارات أن تعبرها، ثلة من المجندين يحملون البوارد يشربون المتة والشاي. أتابع السير وأتوقف أمام بناء فخم شديد البذخ وقد تقدمته يافطة عملاقة –مطعم وبار– يا سلام! لم يسبق أن قرأت اسم بار قبل سنتين ونصف! الآن هذا الاسم يلعلع، يصفعني خيالي بوجه زكريا والصاروخ وبكلمة بار، وتصاب عيناي بالحول، فعين تتفحص اللافتة الأنيقة مطعم وبار، وعين تهيم هناك في القصير وريف دمشق وريف حلب، عين ترى الدمار بأفظع وأوحش أشكاله وعين تتأمل كلمة بار! وعقل مرضوض يفكر أفكارا غريبة بأن كلمة بار هي ذاتها الابن البار! لا أعرف معنى افتتاح العديد من البارات في اللاذقية! لم لا تعطى تلك الملايين للنازحين! لم لا يشترى بها دواء وخبزا وثيابا لأطفال سوريا الذين تغص بهم الشوارع يتسولون شيئا من رحمة بشر بلا قلوب، أو تحولت قلوبهم إلى مضخة لدم فاسد. ألعن نفسي فأنا فاشلة، لا يساعدني المشي على لحم تصدعات روحي كما كان يفعل جبرا إبراهيم جبرا، أتابع المشي ووجه زكريا والصاروخ –أعجز عن فك التلاحم الوثيق بين اسم زكريا وكلمة صاروخ– يحتل خيالي ويلتصق بكل مشهد حولي ويزداد التصاقه بكلمة بار. كيف يمكن لزكريا أن يحتمل تلك المأساة الفظيعة، لعله شاهد الصاروخ يفتت جسد أمه وجسد والده، لعله أراد أن يقذف بنفسه معهما صارخا خذوني معكما، لكن يدا امتدت وأبعدته. هل على زكريا الابن البار أن يقصد بارا في اللاذقية ليخدر آلام روحه، يا سلام ما أجمل اللهو بالكلمات. هل اللاذقية آمنة! هل تزيدها البارات أمانا و"تشبها" بالحياة! ولماذا أشعر بالخراب والأذى والألم الذي لا يطاق كلما تمشيت في شوارعها، أليس الوطن وحدة متكاملة كالجسد؟ كيف أشعر أنني معافاة إذا كان كل جزء مني ومن وطني الحبيب ينزف ويقصف ويدمر وثمة منطقة صغيرة فقط فيها بارات! كما لو أن الغاية اختبار قدرتنا على مقاومة الجنون، كما لو أن العيش اليومي في سوريا هو مجرد اختبارات للصبر والتحمل.

ما بين وجه زكريا والصاروخ ولافتات عملاقة وبراقة لبارات اللاذقية أنوس، أحاول أن أتوازن كما تتوازن ملعقة على حافة كأس، كأس طفح فيه الكيل، كما طفح الألم من قلوب كل السوريين، ماذا بعد لمن نتوجه بالصراخ: يا أبتي أبعد عني هذه الكأس فقد شربناها حتى الثمالة. لا يبالي خيالي بألمي، يضحك ساخرا: لديك بارات اللاذقية التي تعدك بمزيد ومزيد من كؤوس الألم.

الموسيقار يعزف لحن وداع الكالتشيو

الملاعب الإيطالية ستفتقد بيرلو بعد أربع سنوات مع السيدة العجوز

ودعت الجماهير الإيطالية واحدا من ألمع نجومها الذين عرفتهم كرة القدم العالمية، وهو القائد والمايسترو أندريا بيرلو، ليضع حدا لمسيرة أربع سنوات مع السيدة العجوز ويكمل مشواره في الدوري الأميركي لكرة القدم.

□ **روما** - يعتبر النجم الإيطالي أندريا بيرلو أحد أكبر أساطير خط وسط منتخب الآتزوري وصيف بطل أوروبا لكرة القدم. بيرلو الملقب بالمايسترو أو المهندس أو الموسيقار، يراه البعض أعظم موهبة جاد بها الزمان على الملاعب الإيطالية خلال العقد الأخير. بعد خطواته الأولى بنادي فليرو انتقل إلى نادي بريشيا وبعدها إلى نادي إنتر ميلان ولكنه لم يستطع إثبات نفسه لتتم إعارته لنادي ريجينا ثم بعد ذلك لناديه السابق بريشيا ليلعب تحت إدارة المدرب ماتزوني. هناك لعب بيرلو بجانب أسطورة إيطالية أخرى ومعشوق أندريا في صباه النجم روبرتو باجيو.

ورأى المدرب ماتزوني في بيرلو ما لم يره في غيره، فأعاد توظيفه في مركز صانع الألعاب المتأخر لتبزغ موهبة المايسترو في سماء إيطاليا وينتقل بعدها 2001 إلى ميلان الذي كان محطته الأبرز ويمتد مشواره مع الروسونيري لعقد من الزمن. وتحت قيادة المدرب كارلو أنشيلوتي تحوّل بيرلو من لاعب وسط مهاجم إلى لاعب وسط مدافع بدون الكثير من الأدوار الدفاعية، لكن بأدوار أكثر في وسط الملعب، فلعب المايسترو تحديدا خلف البرتغالي روي كوستا وأمام صحبته الجديدة أمبورزيني وسيدورف وغاتوزو وهذا الأخير صنع ثنائيا مع بيرلو لا يقهر.

خلال هذه الحقبة تطور أداء ميلان كثيرا ليصبح أحد أقوى فرق العالم، وكان الفضل في ذلك بالطبع لوجود بيرلو وكوكبة من ألمع نجوم ميلان بداية بالقائد التاريخي للروسونيري باولو مالديني مرورا بتشيفشينكو وانتهاء بكاكا مع ميلان بلقب السكوديتي الإيطالي مواسم 2004 و2011، وكأس إيطاليا موسم 2003، وبلقب دوري أبطال أوروبا مواسم 2003 و2007، مع الوصول لنهائي إسطنبول الشهير العام 2005 وخسارته أمام ليفربول، ومن ثم كأس السوبر الأوروبي عامي 2003 و2007، وكأس العالم للأندية 2007، وكأس السوبر الإيطالي عامي 2004 و2011.

وكان خطأ ميلان الذي لا يغتفر التفريط السهل بصانع ألعابه الموهوب اعتمادا على تقدمه في السن لينتهي هذا المشوار المرصع بالألقاب عام 2011 وينتقل بيرلو مجانا إلى فريق السيدة العجوز يوفنتوس.

بيرلو اللاعب المخضرم الذي جعل من كرة القدم أسلوب حياته وعبر عن ذلك من خلال نشر سيرته الذاتية "أنا أفكر إذا أنا ألعب". الكبير بيرلو الذي استطاع أن ينسلخ عن جلده أكثر من مرة ونجح في إعادة لملمة أوراقه واكتشاف نفسه من جديد في وقت ظن الجميع أن مسيرته انتهت وقت انتقاله مجانا من قلعة الروسونيري متوجها نحو قلعة السيدة العجوز والتي أبى إلا أن يستعيد شبابه معها ويتوج نفسه شيخ شبابها بلا منازع وليصبح أهم ركائز الفريق ومفاتيح لعب البيانكونيري. خلال 4 سنوات قضاها الموسيقار هناك توج خلالها بلقب بطل الدوري المحلي أربع مرات، والكأس مرة، وكأس السوبر الإيطالي مرتين العامين 2012 و2013، ووصافة دوري أبطال أوروبا في العاصمة الألمانية برلين في يونيو الماضي، وقد أحرز 19 هدفا خلال 164 مباراة، وصنع 36 هدفا.

أما على صعيد المنتخبات فقد فاز المايسترو ببطولة أوروبا تحت 21 عاما التي أقيمت في سلوفاكيا العام 2000، حيث توج بيرلو فيها بلقب هداف البطولة ثم حصل على الميدالية البرونزية في أولمبياد أثينا العام 2004 ليرفع أغلى الألقاب العالمية ويتوج بكأس العالم في ألمانيا العام 2006 والتي أبهر فيها أنظار العالم بأدائه الراقي ونظرته الرائعة للملعب وتمريراته الحاسمة وضرباته الحرة المميزة. تم اختيار بيرلو كثالث أفضل لاعب خلال هذه الكأس ومن ثم أفضل ممرر في المسابقة بأربع تمريرات حاسمة.بيرلو الذي كان بالفعل الجندي الخفي والقائد الصامت في صفوف منتخب الآزوري كما يشهد على ذلك مارتشيلو ليبي مدربه بمونديال ألمانيا، قائلا "بيرلو قائدنا الصامت لكنه يترك قدميه تتحدثان عنه ولو كان الأمر عائدا لي لقدمت إليه الكرة الذهبية".

صحيح أنه لم يتوج بها واحتل المركز الخامس في ترتيبها في العام 2007 بعد فوزه بدوري أبطال أوروبا للمرة الثانية في مسيرته مع الميلان والتي توج بها آنذاك زميله في الفريق البرازيلي ريكاردو كاكا فإنه استطاع أن يحصد احتراما وإعجابا قل نظيرهما من خصومه قبل مناصريه اعترافا من الجميع بموهبته وسحره الكروي. وختم بيرلو مسيرته الناجحة مع إيطاليا بالحصول على الوصافة بنهائي كأس أوروبا العام 2012 والذي خسره أمام منتخب لاروخا الأسباني.

من يحمل المشعل؟

عملاق إيطاليا هو مفتاح نجاح أي فريق لعب بألوانه.. بيرلو الذي يجيد اللعب على طريقة السهل الممتنع، ليس باللاعب السريع أو الذي يجيد الدفاع أو الالتحامات القوية ولكنه يعوض كل هذا بقدرته المميزة على ضبط إيقاع اللعب فهو يعرف تماما متى يرفع من وتيرة اللعب ويرسل كرات طويلة لمهاجمي الفريق.

كما يعرف بيرلو كيف يمرر للخلف فيكسر إيقاع هجمات الفريق الخصم. ومع انتقال العجوز الشاب إلى الدور الأميركي ليلعب في صفوف فريق نيويورك سيتي ولينضم لكل من أسطورة البلوز فرانك لامبارد ونجم البلاوغرانا السابق دافيد فيا.

وستفقد الملاعب الإيطالية المايسترو وقائد أوركسترا يوفنتوس واللاعب صاحب اللمسة السحرية حتما، وقد أنهى مشواره الكروي الأسطوري على ملاعب الكالتشيو بأفضل طريقة ممكنة وذلك بالتتويج بالثنائية المحلية وبتحقيق الوصافة بدوري أبطال أوروبا.

صحيح أن بيرلو غادر أراضي الكالتشيو وأعلن اعتزاله الدولي بعد مونديال البرازيل ولكن لا نريد أن يكون الحال كما قال ميشال بلاتيني رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم "إنه جزء من آخر المبدعين عندما يذهب بيرلو كل شيء سيذهب".

وإن كان بيرلو لاعبا ذا كاريزما صامتة ومتميزة ونجما فوق العادة ويصعب تكراره، فإن أرض الآتزوري قادرة على إنجاب بيرلو آخر، والآن كل الآمال معقودة على النجم الباريسي ماركو فيراتي ليحمل مشعل المايسترو ويسير نحو فتح آفاق جديدة وزاهية للكرة الإيطالية التي وإن غابت شمسها فإنها لن تختفي أبدا. فهل يفعلها فيراتي ويسير على خطى سلفه وملهمه، ويصبح خير خلف لخير سلف.

خطأ كبير

واعترف أدريانو غالياني نائب رئيس ميلان أن التخلي عن أندريا بيرلو لاعب خط وسط الفريق السابق كان أكبر خطأ ارتكبه في مسيرته كما تحدث عن أهداف ميركاتو النادي. غالياني ادعى أنه لم يكن المسؤول الوحيد عن رحيل بيرلو مجانا في 2011 بعد انتهاء عقده والتوقيع مع يوفنتوس، حيث فاز هناك بأربعة ألقاب إسكوديتو. وقال غالياني "الخطأ الأكبر الذي قمت به في الميركاتو كان التخلي عن بيرلو، رغم أنه خطأ يتحمل مسؤوليته بعض الأشخاص إلى جانبي، لا تسألوني من هم". وأضاف حول اهتمام ميلان بإبراهيموفيتش "لديه عقد مع باريس سان جيرمان حتى 2016 وليس هناك أكثر من ذلك لأقوله". رومانيولي؟ "الأمر يعتمد على روما، قدمنا لهم 25 مليون يورو لكن اللاعب لن يأتي إن لم يرغب روما ببيعه وإن لم يأت سنبقى كما نحن". التجديد لميكسيس ودي يونغ؟ "لديهما الكثير ليقدماه، لقد أثبتا ذلك في مواجهة الديربي أمام إنتر في الصين". وفشل التعاقد مع جاكسون مارتينيز؟ "كان بعيدا عنا خطوة واحدة لكنه اختار أتلتيكو مدريد، لكننا سعداء بالتعاقد مع باكا، إنه لاعب رائع وتدرب على يد مدرب موهوب في إشبيلية".

وخاض النجم الإيطالي بيرلو، أولى مبارياته يوم الأحد الماضي، مع فريقه الجديد نيويورك سيتي الأميركي بعد انتقاله إليه قادما من صفوف يوفنتوس الإيطالي، ليزامل النجمين الإنكليزي فرانك لامبارد والأسباني ديفيد فيا، في صفوف الفريق. شارك بيرلو بديلا في لقاء فريقه أمام أورلاندو سيتي الذي يضم بين صفوفه النجم كاكا، وحرص بمجرد نزوله أرض الملعب في الدقيقة 57 من زمن المباراة، على الذهاب نحو كاكا لمصافحته، حيث أنهما لعبا سويا من قبل في صفوف ميلان الإيطالي. وانتهى اللقاء بفوز نيويورك سيتي على أورلاندو سيتي بخمسة أهداف مقابل ثلاثة.

> إن كان بيرلو نجما يصعب تكراره، فإن أرض الآتزوري قادرة على إنجاب بيرلو آخر، والآن كل الآمال معقودة على النجم الباريسي ماركو فيراتي ليحمل مشعل المايسترو

وصرح بيرلو بأنه غادر يوفنتوس كي يترك الدوري الإيطالي ورأسه مرفوع من دون أن يصل إلى مكان حيث يتخلى عنه النادي، لذلك قرر بيرلو الانتقال إلى نيويورك سيتي الأميركي، في وقت نوه النجم الإيطالي بأنه لم يترك يوفنتوس نتيجة ضغوطات بل كان قرارا شخصيا، لأنه على ثقة أن موعد المغادرة يجب أن يكون الآن ولا ينبغي الانتظار بعد.

في المقابل نفى بيرلو أن يكون لخسارة نهائي دوري أبطال أوروبا علاقة بمغادرته النادي الإيطالي، حيث نوه بأنه اتخذ القرار قبل المباراة النهائية، وحتى لو توج مع "السيدة العجوز" باللقب الأوروبي كان قرار المغادرة جاهزا، في حين شدد بيرلو على أنه قضى مع يوفنتوس أفضل سنوات حياته، خصوصا عندما صعد الفريق إلى الدرجة الأولى مجددا، وعند تحقيق لقب الدوري الإيطالي في أربعة مواسم متتالية.

وقال اليوفي في بيان "شكرا أيها المايسترو، لا يمكن بدء هذا الوداع بطريقة أخرى، شكرا لكل ما جعلتنا نعيشه ونشاهده ونفوز به في السنوات الأربع الماضية". ووصف النادي بيرلو بأنه لاعب صاحب "كاريزما صامتة وسيطرة على الكرة وقدمين حساستين ودقيقتين"، مما يجعله "نجما فوق العادة ويصعب تكراره".

أرسنال وتشيلسي يقصان شريط الموسم بلقاء كأس السوبر الإنكليزي

المدفعجية أمام فرصة اختبار قدراته التنافسية مع غريمه الأزلي البلوز

يقص فريقا تشيلسي وأرسنال اليوم الأحد شريط انطلاق الموسم الجديد لكرة القدم الإنكليزي، عندما يلتقيان على أستاد ويمبلي الأسطوري في مباراة الدرع الخيرية، حيث يبحث كل منهما عن اللقب الأول له تزامنا مع إعلان ضربة البداية للعام 2015–2016.

معركة كبار الدوري الإنكليزي تتجدد منذ البداية

□ **لندن – سيختبر أرسنال قدراته التنافسية على لقب الدوري الإنكليزي لكرة القدم عندما يفتتح موسم 2015–2016 الرسمي بمواجهة جاره تشيلسي في مباراة الدرع الخيرية. وتمثل مباراة الدرع الخيرية (كأس السوبر الإنكليزي) نقطة البداية التقليدية للموسم الكروي في إنكلترا كما تحظى باهتمام بالغ من الجميع لأنها تأتي قبل أيام قليلة من انطلاق فعاليات الموسم الجديد في الدوري الإنكليزي والذي ينطلق السبت المقبل.**

فريق المدرب الفرنسي أرسين فينغر حقق نهاية موسم رائعة، إذ فاز في 20 مباراة من أصل 26 في مختلف المسابقات واحتفظ بلقب الكأس على حساب أستون فيلا 4–0، ما أهله لخوض هذه المباراة أمام تشيلسي الذي أحرز لقب الدوري عن جدارة.

وتابع أرسنال مشواره التصاعدي خلال فترة الاستعدادات ففاز في مبارياته الأربع، والأهم من كل ذلك، توصله على ما يبدو إلى حل مشكلة حراسة المرمى بضمه العملاق التشيكي المخضرم بيتر تشيك من تشيلسي بالذات.

ويخوض أرسنال المسابقة للمرة الحادية والعشرين باحثا عن لقبه الرابع عشر بعد تتويجه العام الماضي على حساب مانشستر سيتي 3–0، فيما أحرز تشيلسي اللقب أربع مرات آخرها في 2009 وذلك في 11 مشاركة.

وقال لاعب وسط أرسنال الدولي جاك ويلشير "نريد الفوز بالدوري، نشعر بأننا مع بعض لعدة سنوات، لقد جلبنا لاعبين من طراز عالمي حصلوا على ما يكفي من الوقت للاستقرار، وأضفنا حارسا عالميا يملك خبرة كبيرة. لقد أحرزنا كل الألقاب هنا، لذلك نشعر بأننا في موقف قوي".

وعلق مدرب الفريق أرسين فينغر قائلا "إنها مباراتنا المقبلة وهناك لقب في دائرة المنافسة، بالطبع نرغب في تحقيق الفوز، هذا لا يعني بالضرورة بدء الموسم بشكل قوي ولكن الفوز باللقب أفضل لثقة اللاعبين".

ويأمل أرسنال في عدم الإفراط بالأحلام، فبعد فوزه السنة الماضية على مانشستر سيتي، بطل الدوري آنذاك بثلاثية نظيفة، أنهى الدوري متخلفا بفارق 12 نقطة عن تشيلسي. لكن مدرب تشيلسي البرتغالي جوزيه مورينيو اعتبر أرسنال مرشحا جديا للمنافسة على لقب الدوري، وذلك بعد ضمه في الموسمين الماضيين لاعبين رائعين أمثال الألماني مسعود أوزيل والتشيلي أليكسيس سانشيس.

وأغاظ مورينيو فينغر عبر اتهام فريق شمال لندن بإنفاق مبالغ طائلة لتعزيز صفوفه، فقال الفرنسي المخضرم "أعتقد أنه لا يجب الاستماع لما يقوله الآخرون".

وأضاف فينغر الذي لم يفز على مورينيو في 13 محاولة "لأنه في أسبوع واحد قد نحصل على مقاربتين: الأولى بأني لا أنفق كثيرا، والثانية بأني أنفق كثيرا". ويبدو أن الأنظار ستتركز على بيتر تشيك (33 عاما) الذي أمضى 11 موسما ناجحا مع فريق غرب العاصمة خاض خلالها 494 مباراة، قبل أن يزيحه البلجيكي الشاب تيبو كورتوا إلى مقاعد البدلاء الموسم الماضي بعد انتهاء إعارته إلى أتلتيكو مدريد الأسباني، فطلب اللاعب الذي يحظى بعلاقة مميّزة مع مالك النادي الملياردير الروسي رومان إبراموفيتش نقله إلى شمال العاصمة.

وأحرز تشيك، الذي انتقل مقابل 10 ملايين جنيه إسترليني في يونيو الماضي، لقب الدوري أربع مرات مع تشيلسي ولقب دوري أبطال أوروبا 2012.

وحث مدافع تشيلسي برانيسلاف إيفانوفيتش جماهير فريقه على عدم إطلاق صافرات الاستهجان بحق الحارس العملاق "آمل أن ينال الاحترام لأنه يستحق ذلك". وحتى الآن لم يتعاقد أرسنال سوى مع تشيك في فترة الانتقالات، لكنه أعلن الجمعة تمديد عقد مهاجمه الدولي ثيو والكوت ولاعب وسطه الأسباني سانتي كازورلا. ولن يشارك سانشيس في المواجهة بعد حصوله على فترة راحة إثر تسجيله ركلة الترجيح الفائزة في مرمى الأرجنتين في نهائي كوبا أميركا الأخيرة، كما يغيب المهاجم الدولي داني ولبيك لإصابة في ركبته.

وينتظر جمهور "المدفعجية" بعض الوجوه الجديدة على غرار أليكس إيوبي (19 عاما) والفرنسي جيف رين–أديلايد (17 عاما) وتشوبا أكبوم (20 عاما) الذين تألقوا في المباريات الاستعدادية.

ويملك تشيلسي سجلا حافلا أمام خصمه أرسنال الذي لم يخسر في آخر 8 مباريات أمامه، حيث كشف مورينيو أن قلب الدفاع الدولي غاري كايهل والبرازيلي دييغو كوستا جاهزان للمشاركة. كما يتوقع أن يشارك المهاجم الكولومبي راداميل فالكاو (29 عاما) القادم على سبيل الإعارة من موناكو.

> مورينيو أغاظ فينغر بعد اتهامه فريق شمال لندن بإنفاق مبالغ طائلة لتعزيز صفوفه

دي ماريا في باريس بحثا عن بريق مفقود

مراد البرهومي

❑ شارفت مرحلة الأولد ترافورد، أي معقل نادي مانشستر يونايتد، بالنسبة إلى النجم الأرجنتيني إنخل دي ماريا على النهاية، ليقترب تبعا لذلك من خوض مغامرة جديدة يعزز بها رصيده من التجارب بعد أن تقمص في السابق أزياء ثلاثة فرق أخرى بخلاف مانشستر.

وتؤكد آخر الأخبار والمعطيات أن هذا اللاعب وافق رسميا على التعاقد مع نادي باريس سان جيرمان الفرنسي، بل ووصل الأمر إلى درجة حصول الاتفاق على كل الجزئيات المتعلقة بالعقد الجديد ولم يعد أمام دي ماريا والنادي الباريسي سوى الإعلان الرسمي عن "الزيجة".

لكن في خضم هذه التحركات والأخبار المتعلقة بالدولي الأرجنتيني يبقى السؤال المرافق للخطوة الجديدة في عالم الاحتراف بكبرى الأندية الأوروبية هو هل يحصد دي ماريا النجاح الذي حققه سابقا مع ريال مدريد أم تكون المرحلة المقبلة امتدادا للتجربة المريرة والفاشلة مع مانشستر؟

نظريا يبدو دي ماريا الذي ولد سنة 1988 ونشأ في نادي روساريو سنترال الذي قدمه لأوروبا من خلال بوابة نادي بنفيكا البرتغالي قبل اللعب بعد ذلك مع النادي الأسباني العريق ريال مدريد، على استعداد لاستعادة بريقه السابق وتألقه الكبير في أسبانيا، خاصة أنه مازال صغير السن حيث لم يتجاوز 27 عاما وبمقدوره اللعب لسنوات طويلة إضافية.

لكن على أرض الواقع تبدو المهمة صعبة للغاية ولا يمكن التكهن بما سيحصل لهذا اللاعب مع النادي الفرنسي، خاصة إذا استحضرنا ما حدث له الموسم الماضي في إنكلترا حيث قضى موسما متقلبا واستثنائيا ولم يقدر على مواصلة مسيرة التألق والإبداع على الأراضي الإنكليزية لعدة أسباب، أهمّها عدم قدرته على التأقلم مع حاجيات ومتطلبات الجهاز الفني لمانشستر، وكذلك تعرضه المستمر للإصابات ما حال دون مشاركته بصفة مسترسلة.

والثابت أيضا أن دي ماريا الذي لم تتحدد بعد مسألة خروجه من مانشستر لن يجد في صورة تأكد خبر رحيله إلى عاصمة الأنوار الطريق مفروشة بالورود كي يستعيد سالف ألقه ونجاحاته السابقة التي حققها سابقا مع الريال خاصة أن المعطيات الجديدة المتوفرة في النادي الباريسي قد لا تضمن له أن يكون نجما كبيرا من يومه الأول، والتجارب السابقة في هذا النادي تؤكد هذا المعطى، حيث قدم عدد كبير من اللاعبين النجوم غير أنهم فشلوا في إثبات الذات بفرنسا على غرار مواطنه إيزيكال لافيزي والإيطالي مينيز والفرنسي كاباي دون أن ننسى البرازيلي دافيد لويز الذي لم يحقق الموسم الماضي النجاح الكبير بعد أن فضل إغراءات الفريق الفرنسي من الناحية المالية على البقاء مع نادي تشيلسي الإنكليزي.

ربما يمكن تفهم موقف دي ماريا الساعي للخروج من سطوة وسلطة لويس فان غال المدرب الهولندي لمانشستر يونايتد، حيث عامله ببرود كبير ولم يعول عليه في أغلب مباريات نهاية الموسم الماضي مفضلا عليه لاعبين آخرين، لكن يبقى أمرا آخر غاية في الأهمية قد يكون شجّع هذا اللاعب على السعي إلى تحويل وجهته نحو العاصمة الفرنسية، هذا الأمر يبدو مرتبطا بشدة بالجوانب المالية، فبلغة الأرقام ستكون الصفقة قياسية بأتم معنى الكلمة إذ سيكلف هذا التعاقد باريس سان جيرمان حوالي 63 مليون يورو لمدة أربعة أعوام، وسيحصل اللاعب على 11 مليون يورو خالصة الضرائب كل عام، وهو ما يعني أن الامتيازات المالية التي سيحصل عليها مستقبلا ستكون أفضل مما سيغنمه مع مانشستر يونايتد.

ولهذا السبب من حق دي ماري ألا يتردد كثيرا في قبول العرض والرضوخ لإغراءات أموال النادي الباريسي.

أما من الناحية الرياضية فإن الرحيل من "جحيم" مانشستر نحو فضاء أرحب وأقل ضغطا قد يكون عنصرا مؤثرا لاختيار هذا القرار، فاللعب بالدوري الإنكليزي يبدو مختلفا تماما عن المنافسة في الدوري الفرنسي مع باريس سان جيرمان الذي فرض منذ سنوات سيطرته على منافسات الدوري المحلي، وبالتالي فإن فرضية تذوّق طعم التتويج مع فريقه الجديد تبقى نسبتها أكبر بكثير قياسا بما يمكن أن يحققه مع مانشستر يونايتد، دون أن ننسى أن لدي ماريا ضمانات أخرى تتعلق أساسا بالتعويل عليه ضمن التركيبة المثالية باستمرار وهو ما افتقده في مانشستر يونايتد.

وفي المحصّلة فإن دي ماريا، الذي فقد نسبة كبيرة من مؤهلاته وأسهمه في سوق النجوم الكبيرة في العالم، يعلم جيّدا أن تاريخ باريس سان جيرمان لا يقارن البتة مع تاريخ مانشستر يونايتد العريق، لكنه أدرك أن الرحيل من "عش الدبابير" حيث "لسعات" المدرب لويس فان غال قوية و"سياط" نقد وسائل الإعلام الإنكليزية حادة، يبدو أفضل وأسلم من البقاء في هذا النادي العريق، لذلك فإن اللعب في فريق طموح لا يتوانى بالمرة في دفع الأموال ويوفر له فرصة اللعب بشكل دائم، يبدو الضمانة الأساسية في رحلة البحث عن الألق المفقود.

* كاتب صحفي تونسي

صلاح يتدرب بعيدا عن كاميرات المراقبة

❑ روما – اختار النجم الدولي المصري محمد صلاح لاعب تشيلسي الإنكليزي لكرة القدم في ثالث أيامه بالعاصمة الإيطالية روما أن يقوم بتدريبات سرية مع مدرب متخصص، حيث لا يمكنه خوض تدريبات جماعية مع فريق الذئاب قبل التوقيع الرسمي.

تقارير صحيفة إيطالية كشفت عن أن النادي خصص لصلاح مدربا لخوض تدريبات سرية تساعده على استعادة جاهزيته، حيث أنه لم يتدرب في الصيف الحالي في انتظار إتمام الصفقة بشكل رسمي بعد انتهاء أزمة فيورنتينا الإيطالي.

هذه التقارير أشارت إلى أن اللاعب سيمكنه التدريب مع روما، فور انتهاء أزمة "الفيولا" الساعي للحصول على تعويض لإتمام الصفقة، متعللا باختراق بعض بنود استعارة اللاعب في النصف الثاني من الموسم الماضي.

وكان صلاح قد صرح بأنه لا يستطيع الانتظار حتى بدء مهامه الرسمية مع فريق العاصمة، مشيدا بالاستقبال الحافل الذي حظي به في مطار روما يوم الأربعاء الماضي.

وكان النجم المصري محمد صلاح لاعب تشيلسي الإنكليزي لكرة القدم، قد كسر حاجز الصمت أخيرا حول صفقة روما الإيطالي، مشيرا إلى أنه لم يتوقع على الإطلاق حرارة الاستقبال من الجماهير العاشقة لنادي العاصمة منذ وصوله يوم الأربعاء الماضي.

وقال صلاح في تصريحات صحيفة "لم أكن أتوقع مثل هذا الاستقبال الحافل من قبل الجماهير، لا أستطيع الانتظار حتى توقيع العقد وبدء المباريات مع فريق العاصمة".

وأكدت مصادر صحفية قريبة من الذئاب أن مدرب الفريق رودي جارسيا عقد اجتماعا مبدئيا مع اللاعب، وعبّر له عن مدى احتياج الفريق لخدماته خلال الموسم المقبل.

وكان صلاح قد اجتاز بنجاح الكشف الطبي الذي خضع له في انتظار ترضية الطرف الثالث وهو نادي فيورنيتا الإيطالي الذي يسعى للحصول على التعويض، حيث يرى أن هناك اختراقا في بنود التعاقد مع اللاعب على سبيل الإعارة في النصف الثاني من الموسم الماضي.

يذكر أن صلاح سيجد منافسة شرسة من الأرجنتيني إيتوربي والصربي ليايتش والإيطالي فلورينزي والإيفواري جيرفينيو لحجز مركزي الجناحين في التشكيلة الرئيسية، فيما سيكون المهاجم الصريح إما القائد توتي أو الإيفواري دومبيا.

وجدير بالإشارة أن جماهير روما تُمني نفسها بأن تكون ثاني تجاربها مع اللاعبين المصريين أفضل حال من سابقتها، حيث ضم فريق العاصمة اللاعب المصري المعتزل أحمد حسام ميدو صيف العام 2004 من أولمبيك مارسيليا الفرنسي في تجربة لم يكتب لها التوفيق، كما شارك اللاعب في عدد قليل من المباريات وقامت إدارة النادي وقتها بإعارته إلى توتنهام الإنكليزي الذي قام بشرائه بعد ذلك.

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

إطلاق «المثلجات المعلقة» على غرار القهوة في إيطاليا

❑ روما – على غرار تقليد "القهوة المعلقة" تستعد المقاهي ومحلات بيع المثلجات في إيطاليا إلى اقتراح مبادرة جديدة على حرفائها طيلة شهر أغسطس تتمثل في ترك مثلجات مجانية لمن يحتاجها.

واقترحت جمعية "سالفامامي" المعنية بمساعدة الأسر المحرومة المبادرة على أصحاب محلات بيع المثلجات في إيطاليا التي يعتبرها عشاق المثلجات جنة "الآيس كريم"، إذ يشكل هذا الصنف من الحلوى جزءا أصيلا من ثقافة البلد الأوروبي، توارثته الأجيال منذ حقبة الرومان التي اقتصر تناوله فيها على الصفوة من أثرياء الإمبراطورية الرومانية الذين حظوا بمتعة تذوق أوائل أنواع "الآيس كريم"، حيث تعد إيطاليا إحدى الدول الرائدة في صناعته.

وقالت رئيسة الجمعية ماريا غراتسيا باسيري إن هذا التقليد يقوم على ثقة متبادلة بين صاحب المقهى وفاعل الخير الذي ينبغي ألا يلتقي بأيّ طريقة بالمستفيد من المثلجات الذي دفع ثمنها.

وتقوم مبادرة "المثلجات المعلقة" على مبدأ بسيط يقضي بشراء قطعة من المثلجات لكن يتم دفع ثمن قطعتين. وتبقى القطعة الثانية "معلقة" ريثما يستفيد منها أحد المحتاجين مجانا.

وقالت الممثلة وعارضة الأزياء المالية يوما دياكيت خلال حفل انطلاق أول تجربة للمبادرة في روما "أنا أمّ وأعرف شعور الوالدين عندما يطلب الأبناء شراء المثلجات لكنهم لا يستطيعون الاستجابة لذلك. لا يجب أن يكون الشخص غنيا لكي يستطيع مساعدة المحتاجين، قطعة آيس كريم تكفي أحيانا".

ويكتب عدد المثلجات المعلقة على ألواح بالطبشور في المحلات التي تبيعها وتقدم لكبار السن أو الأطفال الذين لا يستطيعون دفع ثمنها.

مثلجات مجانية للمحتاجين خلال الصيف في المدن الإيطالية باقتراح من الجمعيات الخيرية

وانتشر تقليد "القهوة المعلقة" (suspended coffee) قديما في نابولي بإيطاليا وبعدها بدأت بلدان أخرى في استيراد ذلك التقليد والعمل به، حيث يصل عدد المقاهي التي تعتمد تقليد "القهوة المعلقة" 200 مقهى في أنحاء العالم.

وتداعب إيطاليا شهية السكان والسائحين طوال العام بـ"الآيس كريم" الإيطالي أو "الجيلاتو" كما يسميه الإيطاليون طوال العام بفضل تنوع أشكاله ونكهاته، فلم يعد "الآيس كريم" مجرد نوع من أنواع الحلوى التي يفضل تناولها في أوقات الحر الشديد.

وتوفر في إيطاليا مئات المتاجر المتخصصة في تصنيع "الآيس كريم" وبمذاقات مبتكرة وغير مألوفة تجعل منه وجبة متكاملة.

أنجلينا جولي تدافع عن ضحايا العنف الجنسي في بورما

❑ رانغون – التقت الممثلة الأميركية أنجلينا جولي أول أمس الجمعة مع أعضاء مجموعة تدافع عن حقوق النساء والمشاركات في برنامج لتوعية الناخبات قبل الانتخابات المقبلة في بورما.

وحثت جولي، بورما على ملاحقة مرتكبي الاعتداءات الجنسية بعد لقاء "مؤثر" مع نساء ضحايا في شمال البلاد الذي يشهد حربا أهلية.

وأوضحت الممثلة الأميركية في بيان نشرته السفارة البريطانية "أظهرت هذه الزيارة ضعف وضع النساء والفتيات المقيمات في مناطق تشهد نزاعات في وجه العنف الجنسي والاتجار بالبشر وانتهاكات أخرى للحقوق البشرية".

وأضافت أن "لقاء الناجيات من العنف الجنسي في إقليم كاشين كان مؤثرا".

وتزور جولي الموفدة الخاصة لمفوضية الأمم المتحدة العليا لشؤون اللاجئين بورما منذ الأربعاء بدعوة من المعارضة أونغ سان سو تشي الحائزة على جائزة نوبل للسلام والتي التقتها أمس السبت مع عاملات في قطاع النسيج لمناقشة ظروف عملهن في إحدى أفقر دول آسيا.

وبعد لقاء في مقر إقامة سو تشي في رانغون توجهتا إلى مدينة تقع في الضاحية الغربية لعاصمة بورما الاقتصادية.

وتجمّع عشرات الأشخاص لاستقبالهما قرب مقر إقامة العاملات. وتطرقت الممثلة والمعارضة مع العاملات إلى ظروف عملهن فضلا عن مسائل تتعلق بالتعليم والتربية على ما جاء في بيان نشره عبر فيسبوك حزب المعارضة البورمية.

كما التقت جولي الرئيس ثين سين قبل أن تزور إقليم كاشين في شمال البلاد الذي يشهد حربا أهلية منذ العام 2011 أسفرت حتى الآن عن نزوح أكثر من 100 ألف شخص.

وقالت جولي إنه رغم عمل المنظمات غير الحكومية المحلية "ثمة حاجة عاجلة لمساعدة طبية ومساندة قانونية ونفسية، فضلا عن إطار قانوني متين للتأكد من تحميل مرتكبي أعمال العنف الجنسية مسؤولياتهم".

ولا تزال بورما تشهد عدة نزاعات في مناطقها الحدودية.

واتهم الجيش الذي حكم البلاد على مدى عقود قبل أن ينسحب لتحل مكانه حكومة شبه مدنية العام 2011، لفترة طويلة بانتهاكات خطرة لحقوق الإنسان بما في ذلك العنف الجنسي، ووجهت اتهامات إلى المتمردين أيضا بارتكاب انتهاكات.

آمال ماهر للتونسيين من قرطاج: نحن أقوى من أي ظروف

❑ تونس – بحلاوة صوتها وإحساسها المرهف شدت المطربة المصرية آمال ماهر بأجمل أغانيها وأدت لعمالقة الفن العربي عندما صعدت مرة ثانية على مسرح قرطاج الأثري لينتشي الجمهور الذي حضر حفلها مساء الجمعة.

واستمتع الجمهور بصوت الفنانة المتألقة عندما غنت أجمل أغانيها "رايح بيا فين" و"سكة السلامة" و"في إيه بينك وبينها" و"من السنة للسنة" كما قدمت الأغنية التراثية التونسية "سيدي منصور" التي تفاعل معها الجمهور بحماس ورددها بإتقان.

وقالت الفنانة التي كانت ترتدي فستانا أسود مخاطبة جمهورها "أهلا بيكم. أنا فخورة أنني أقف على مسرح قرطاج اليوم في ظل الظروف التي نمر بها لكن نحن أقوى من أيّ ظروف".

وأضافت وسط هتاف الجماهير "إن شاء الله دائما تونس تبقى أحلى مكان في الدنيا وإن شاء الله يكون يوم جميل وتستمتعوا".

واستمرت الفنانة المصرية في الغناء لتقدم باقة من أجمل أغاني عمالقة الفن العربي مثل أم كلثوم وعبدالحليم حافظ وسط تفاعل الجمهور الذي عاد إلى زمن الفن الجميل بجمال صوتها وحلاوته وقدرتها على أداء الأغاني الطربية.

ولم تكن الفنانة المصرية قد اشتهرت كثيرا عندما صعدت لأول مرة على المسرح الأثري بقرطاج عام 2006 لكنها سحرت الجماهير بأدائها الرائع للأغاني الطربية وأغانيها الخاصة لاسيما الأغنية الشهيرة "إيه بينك وبينها".

واعتبرت المصرية آمال ماهر نجمة الدورة 51 لمهرجان قرطاج الدولي الذي يستمر حتى الثامن عشر من أغسطس الجاري.

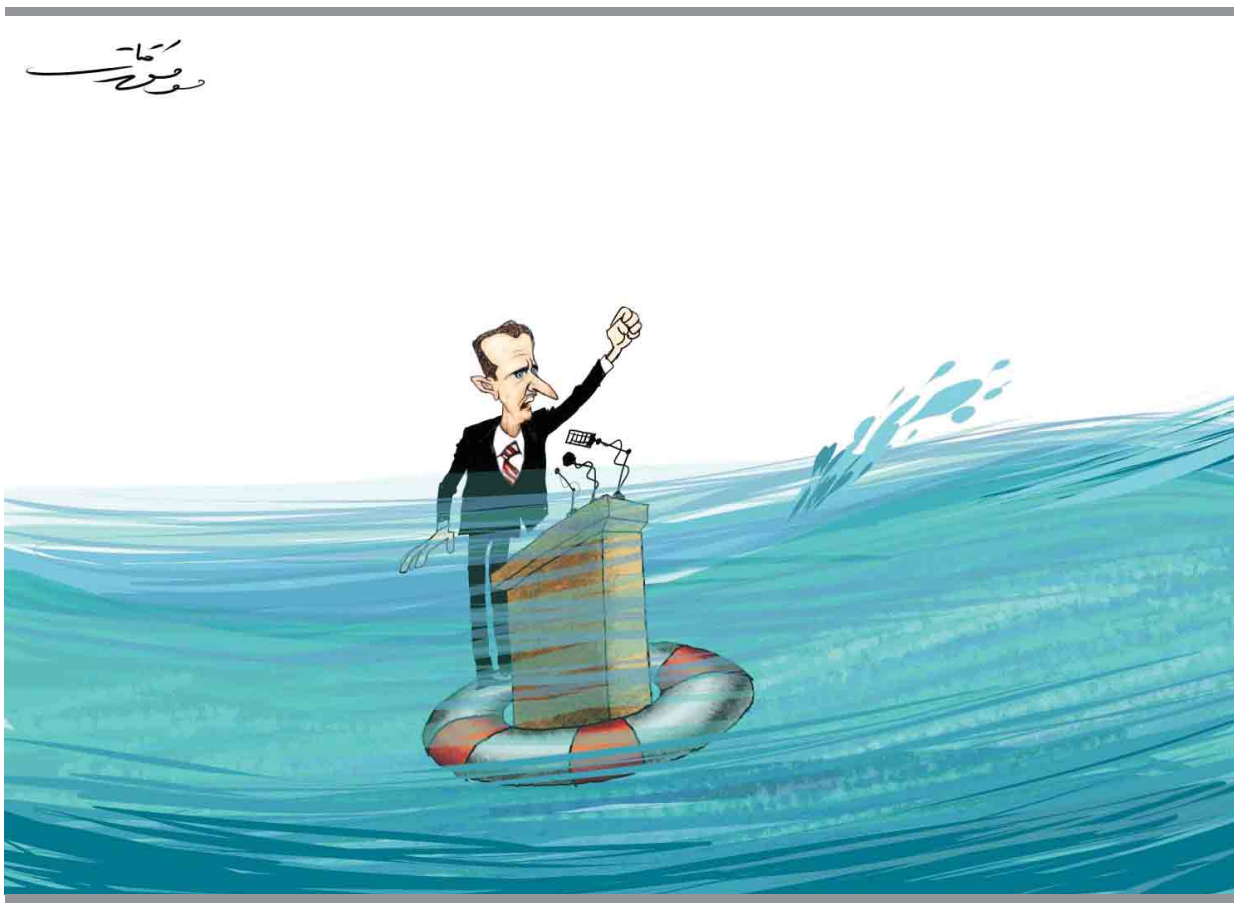

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

مقاهي مبارك

❑ ناشد عدد من الزملاء الصحفيين الرئيس الأسبق حسني مبارك كي يتحدث إلى قنوات فضائية مصرية أو عربية، يحكي فيها عن تجربته في كيفية إدارة مصر على مدار 30 عاما. وزعموا أن مبارك سيقدم بهذه الأحاديث شهادة تاريخية عن أطول فترة قضاها حاكم لمصر طوال 7 آلاف عام على أن يذكر فيها الأخطاء والإيجابيات بكل نزاهة.

والحقيقة أنني استحضرت في ذهني مقالا كتبه عام 2009 زميلنا في جريدة "العربي" الناصرية محمد علي خير. ذهب خير إلى مكتب صفوت الشريف أمين عام الحزب الوطني وأحد أقوى رموز حكم مبارك، وسأله كيف يحكم الرئيس مصر؟ كانت الإجابة صاعقة وصادقة.

قال الشريف إن الرئيس استنّ لنفسه قاعدة منذ اليوم الأول لحكمه، وهي أن لا يفاجأ بصدور قرار مهم من أيّ مسؤول بالدولة دون علمه ويستوي في ذلك الوزراء والمحافظون ورؤساء الهيئات الكبرى والجامعات. وإذا أصدر أيّ مسئول قرارا وظهر في وسائل الإعلام يتم عزله فورا. إذا عرف الشعب قرارا قبل الرئيس، فعلى المسؤول الذي أصدره أن يلملم أوراقه ويغادر مكتبه من نفسه. لكن كيف يعرف المسؤول أن هناك قرارا مهمّا وآخر غير جدير بالاهتمام؟

بالممارسة.. وضرب الشريف مثالا للقرارات المهمة بالمذكرة التي رفعها حبيب العادلي وزير الداخلية الأسبق للرئيس طالبا إغلاق المقاهي في الثامنة مساء وأن يتم إدخال الكراسي لداخل المقهى من الساعة الخامسة، وذلك لتقليل الازدحام على الأرصفة وانسياب المرور وتخفيف استهلاك الكهرباء.

فوجئ العادلي باستدعاء مبارك له ووجد نفسه وسط اجتماع موسّع لمعظم الوزراء المهمين ومعهم مدير المخابرات الراحل عمر سليمان. طلب الرئيس من العادلي عرض اقتراحه للحضور. والمدهش أن الجميع وافقوا عليه ما عدا مبارك وعمر سليمان! غضب مبارك وانفعل وقال للعادلي: تريدني أن أغلق المقاهي مبكرا حتى تزيد معدلات الجريمة وبدلا من أن تسرّي الناس عن نفسها، يتجهوا للجريمة والسرقة.

رفض مبارك الفكرة وقال المقاهي رئة الناس وفكرة إدخال الكراسي مرفوضة. سأله العادلي لماذا يا ريس! أجابه لأن العامل والموظف "طالع عين أمه "في الشغل ويعود لشقته الضيقة يجد زوجته وأولاده "فوق بعض".. الرجل لو حبس في منزله 5 دقائق سيدخل في شجار مع زوجته وربما يطلقها لأنها سترهقه بطلباتها ورغبات الأولاد.. إذن فإن الجلوس في المقهى بمثابة "تفريغ" لغضب بداخله من ضيق الرزق والمكان. وإذا عاد للغرفة ربما ينتحر أو يقتل زوجته أو أولاده. وختم مبارك حديثه قائلا: إذا أغلقنا المقاهي سترتفع نسب الطلاق وتتشرد الأولاد وتزيد الجريمة.. "انسى الفكرة الزفت دي يا عادلي"، وكالعادة أيد الوزراء رأي الرئيس بعد أن كانوا يمتدحون العادلي. هنا يجب أن تسأل نفسك إذا كان مبارك يعلم كل هذا عن شعبه وأنه "مخنوق وروحه في منخاره"، فلماذا لم يخفف عنهم بشيء آخر غير المقاهي! ثم انفجرت 25 يناير وأطاحت به من الحكم ولم تنفعه المقاهي أو تشفع له!